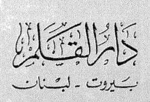
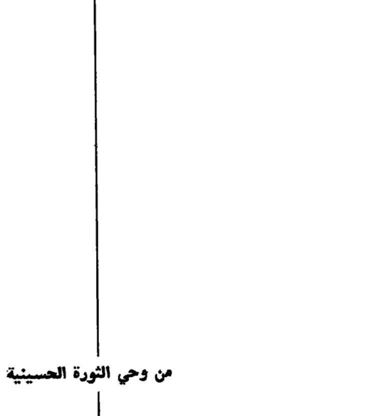
هاشم معروف الحسني

من وحي الثورة الحسينية





من وحي الثورة الحسينية

هاشم معروف الحسني

من وحي الثورة الحسينية

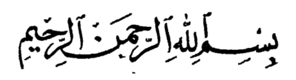


من وحي الثورة الحسينية

يعرض هذا الكتاب صورا عن مواقف الحسين (ع) من الحاكمين قبل ثورته وأهداف الثورة بعد ان وجد لها المناخ المناسب كما يقـــدم صورا عن بطولات العقيلة زينب بنت علي والعلويين والطالبيين وعـــن حياة العقيلة منذ طفولتها حتى فارقت الدنيا وعن مرقدها والمآتم الحسينية والمراحل التي مرت بها ومواقف الحاكمين منها معتمدا أوثـــق المصادر وأقربها من المنطق والواقع لابراز هذه الجوانب من سيرة اهل البيت على واقعها وأرجو ان اكون قد وفقت لذلك .

هاشم معروف الحسني

المقدمـــة



والصلاة والسلام على محمد وآله والأئمة الهداة المهدين ورحمتـه وبركاته . وبعد فان المتتبع في بطون الأسفار والمصادر يجد الكثير من الابطال وعظماء الرجال الذين دفعهم دينهم وايمانهم الى الجهر بكلمـة الحق والدعوة الى العدالة باقتحام ميادين الجهاد والثورة على الظلـم هنا وهناك لينالوا شرف الدفاع عن عقيدتهم والمعذبين في الارض مـن جور الطغاة وفراعنة العصور ولو أدى ذلك الى استشهادهم والتضحية بكل ما يملكون ولقد سجل التاريخ عشرات الثورات والانتفاضـات لأولئك الابطال المجاهدين وتحدث عن انتصاراتهم ومنجزاتهم ولكنه لم يحدث عن ثورة في تاريخ الشعوب والامم عاشت كما عاشت ثـورة

الحسين وكان لها من الضجة في عالمها وما بعده في كل زمان ومكان ما كان لثورة الحسين . وأعطت وقدمت للانسان المسلم وغيره من المنجزات والقيم والمثل العليا ما اعطته وقدمته ثورة الحسين ولا تزال حية تعكس تفاعل الامة مع التاريخ في تحرك وعطاء مستمر في حاضر المسلمين كما كانت في ماضيهم الغابر وأغنت بعطائها وأفكارها وأهدافها النبيلة تاريخ الاسلام كما كشفت زيف أدعيائه والمتخذين منه ستارا يخفون وراءه ما يضمرونه من شرك وشر وسوء لدعاته المخلصين ، ولم يكن ذاك الا لانها لم تكن لعصر دون عصر ولا لفئة من الناس دون فئة كما لم تكن وليدة ظروف طارئة او تحركات سياسية محدودة الآثار والدوافع وبعيدة عن احاسيس الامة وانفعالاتها : بل كانت النور الساطع للمسلمين في جميع تحركاتهم الهادفة لاتمام المسيرة بالاسلام الى الهدف الاسمى والغاية القصوى التي ارسل محمد بن عبد الله رسول الرحمة والكرامة والحرية من اجلها ؛ وكانت المرآة الصافية للحاضر الذي كانت تعيشه الامة ولواقعها الذي كانت ترسف في أغلاله والحقيقة الدائمة التي تتصل بالتكوين الدائم لعقل الانسان وقلبه ومجتمعه وتلبي جميع حاجاته وطموحاته .

انها الثورة الوحيدة من بين تلك الثورات والانتفاضات التي عبأت الانسان المسلم وغيره منذ حدوثها ودفعت به في الطريق الدامي الطويل طريق النضال والتحرر من الاستغلال والاستعباد والتسلط وأسهمت ولا تزال تسهم بدور هام في تكوين الشخصية الثقافية والاجتماعية والسياسية بعد ان كان المسلمون يوم ذاك يفقدون حريتهم وروحهم النضالية وحتى وجودهم بفعل سياسة الحاكمين الامويين ، وقدمت مع ذلك للامة نماذج من القيادات والاتباع ترسم لها مواقعها في مواجهة الاحداث والمواقف التي تعترض طريقها في مسيرتها نحو المستقبل الافضل والمجتمع الافضل ، واستمرت تلك القيادات في مسيرتها بالرغم مما كان

يعترضها من انتكاسات تعرقل مسيرتها وأحيانا الى الفشل الذي كان من نتائج تشدد تلك الانظمة في اجراءات القمع والارهاب لترسيخ انظمتهم التي فرضوها على المجتمع من جسيع نواحيه . ومع كل ما مرت به تلك القيادات خلال مسيرتها التاريخية من مراحل الصراع والجهاد تعـرض فيها الشيعة لألوان من الاذى والعدوان : فقد كان لها مواقف مشهورة وبطولات رائعة كانت ثورة الحسين تمدها بالعزيمة والثبات وتدفع بهم الى الامام واستمرت تلك الثورات التي كانت روح كربلاء تسيرها يتلو بعضها بعضا في مواجهة تلك الدولة الجائرة حتى أنهكتها وقضت عليها وحلت محلها دولة اخرى قامت بسواعد الشيعة الذين كانت ثورة الحسين تسيرهم ، ولكنها مثلت اسوأ الادوار التي كانت تمثلها الدولة الاموية ، فكانت الثورات والانتفاضات تتلو الواحدة الاخـــرى بقيادة العلويين وغيرهم الى غير ذلك من الانتفاضات التي لا يخلو منها عصر من العصور ولا زمان ومكان ، ولكن البعض من تلك الثــورات لم يكتب لها ولا لقادتها الخلود الا لفترات محدودة من الزمن لانها كانت وليدة ظروف محدودة او انفعالات عاطفية او مصالح مخصوصة الى غير ذلك مـــن الدوافع وكان عمرها محدودا بعمر محتواها وطواها التاريخ كما طوى غيرها من الاحداث .

ان ثورة الحسين كانت الوهج الساطع الذي اضاء المسالك لمن اراد المسيرة بالاسلام في طريقها الصحيح والمرآة الصافية للتخلص من الحاضر الذي كانت تعيشه الامة ومن واقعها الذي كانت ترسف في أغلاله، ومن اجل ذلك فقد دخلت في أعماقهم جيلا بعد جيل وستبقى خالدة خلــود قادتها تستمد بقاءها وخلودها من اخلاص قادتها وتفانيهم في سبيـــل الاسلام والمثل العليا ما دام التاريخ .

وكنت قد تحدثت عن ثورة الحسين ودوافعها بشكل اقرب الى الايجاز منه الى التبسيط في كتابي الانتفاضات الشيعية في العصر الامـــوي

وعرضت فيه صورا عن مواقف العقيلة الكبرى زينب بنت علي وفاطمة في كربلاء والكوفة وقصر الخضراء في مجلس يزيد بن ميسون ، وبعد تلزيم الكتاب الى الناشر وتقديمه الى المطبعة وجدت رغبة ملحة من بعـــض الشباب المؤمن في اصدار كتاب مستقل حول اهداف الثورة الحسينية ومراحلها وحياة العقيلة ومراحلها من طفولتها الى آخر مرحلة منهـــــا ومرقدها الذي لا يزال مجهولا ومرددا بين المدينة وضاحية الشام ومحلة الفسطاط من القاهرة وعن المآتم الحسينية والمراحل التي مرت بها خلال تلك العصور التي تلت مصرع الحسين (ع) لتكون في متناول الجميع على حد تعبير أولئك الشباب .

وبعد تردد دام وقتا ليس بالقصير وبعد الالحاح لتحقيق هذه الامنية وضعت هذا الكتاب وافتتحته بفصل عن الثورة الحسينية وأهدافها استخلصت قسما من ذلك الفصل مما عرضته في كتابي الانتفاضات الشيعية وأضفت اليه ما انتهيت اليه في هذه الدراسة وعرضت ابرز الجوانب من حيـــاة العقيلة منذ طفولتها وما قيل حول مرقدها كما تعرضت للمآتم الحسينية ومراحلها ومواقف الحاكمين منها الموالين والمخالفين وقد جرني البحث عن مراقد الأئمة والاولياء الى الوقوف قليلا مع اولئك الحاقدين على الشيعة من شيوخ الوهابيين وغيرهم وأرجو ان اكون قد وفقت لكشف بعض الحقائق التي لا يزال يكتنفها الغموض ولتلبيـــة رغبات الشباب وبقية القراء ومنه سبحانه أستمد العون والتوفيق وأن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه الكريم وأن لا يحرمني من شفاعة الحسين وأبيه وجده انه قريب مجيب .

هاشم معروف الحسني

موقف الحسين (ع) من معاوية وتحركاته

لقد اتخذ معاوية وغيره من الحاكمين الامويين من الاسلام طلاء خفيفا يسترون به نزعاتهم الجاهلية التي كانوا يعملون لإحيائها وتحوير الاسلام الى مؤسسة تخدم مصالحهم وأهوائهم وكان المجتمع الاسلامي يتململ تحت وطأة الظلم والاضطهاد الذي عبرت عنه مواقف حجر بن عـــدي وعمرو بن الحمق الخزاعي وأصحابهما الذين قاوموا ظلم معاوية وأنصاره، ولكن تلك المقاومة لم تأخذ مداها ولم تضع حدا لتصرفـــات الحاكمين وجورهم بل سرعان ما كانت تهمد او تموت فـــي مهدها عندما يلاحق اولئك الجزارون طلائعها بقتلهم او زجهم في السجون والمعتقلات بدون ان يحرك المجتمع ساكنا ، واذا تحرك انسان أغدقوا عليه الاموال وأغروه بالوعود كما حدث لمالك بن هبيرة السكوني الذي غضب لمصرع حجر بن عدي وأصحابه وراح يستعد للثورة ولما علم بتحركه معاوية ارسل اليه معاوية مائة الف درهم فأخذها وطابت نفسه .

لقد عاصر الحسين (ع) جميع تلك التحركات التي قام بها الامويون

والحاقدون على الاسلام ومبادئه الانسانية العادلة ، لقد عاصرها منذ ان نشئت مع ابيه وأخيه وأصحابهما الكرام ، وها هو بعد استشهاد اخيه بجنود العسل التي أعدها معاوية لكل من كان يخشى منه على دولته وأمويته ، يقف وحيدا في وجه معاوية وأجهزة حكمه الارهابي ، ويرى بعينيه اولئك الصفوة بقية السيف من شيعة ابيه وأخيه يساقون أفواجا الى الجلادين والجزارين في مرج عذراء وقصر الخضراء ، ويرى منهج معاوية وحواشيه الذي اعتمدوه للوصول بالامة الى هذا المصير الكالح وكيف يطاردون ويضطهدون العشرات والمئات من المسلمين عندما ينكرون ظلما وعدوانا على القيم والمقدسات وكرامة الانسان .

لقد عاصر مع ابيه وأخيه جميع تحركاتهم المعادية للاسلام وبقي وحيدا في ساحة الصراع مع معاوية وأجهزة حكمه الارهابي المستبد الذي اراد للأمة ان تتحول عن اهدافها وللاسلام ان ينحرف عن مسيرته ورآهم كيف يحورون الاسلام ويزوّرون مبادءه الانسانية التي جاء بها محمد بن عبد الله رحمة للعالمين ، ورأى حملة التخدير على حساب الدين والكذب على رسول الله وكيف يبيع المسلم نفسه وحياته وحريته وكرامته بحفنة من الدراهم للحاكمين الظالمين ويرضى بحياته على ما فيها من نكد وقسوة وحرمان .

لقد رأى كل ذلك وكان القلق يستبد به والالم يحز نفسه وقلبه لمصير الرسالة والانسانية في ظل هذا التحول الخطير الذي كان الامويون يعملون على تعميقه واستئصال الشخصية الاسلامية ليطمئن الحاكمون ان تصرفاتهم لن تثير أي استنكار لدى الجماهير ويختفي من ضمائرهم الشعور بالإثم الذي يدفع المسلم الى الثورة على الظلم والظالمين .

لقد استخدم الامويون لاستئصال الروح الاسلامية والشخصية الاسلامية بالاضافة الى الاموال وجميع وسائل الارهاب ، مدرسة الرواة

والمحدثين والقصاصين وعلى رأس هذه المدرسة ابو هريرة وكعب الاحبار وسمرة بن جندب وغيرهم ممن استخدموهم لصنع الاحاديث وأفرزت مصانعهم ألوانا من الاحاديث نسبت الى النبي (ص) افتراء وبهتانا ، ومن ابرزها وأرضاها لمعاوية والحزب الاموي ما كان يتضمن القدح في علي وآل علي .

لقد بذل معاوية ما يعادل نصف المليون من الدراهم لسمرة بن جندب ليروي له عن الرسول ان الآية ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل نزلت في علي بن ابي طالب ، وان الآية ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله نزلت في قاتله عبد الرحمن بن ملجم فروى له ما اراد الى كثير من أمثال ذلك حتى اصبح تسخير المحدثين لهذه الغاية من السنن المتبعة عند من جاء بعده من الامويين والعباسيين .

فقد جاء عن هشام بن الحكم انه طلب من شهاب الزهري او غيره من الرواة ان يروي له عن الرسول ان الآية والذي تولى كبره له عذاب أليم نزلت في علي بن ابي طالب فروى له ما اراد وعندما أوعز الحاكمون لانصارهم بتدوين الحديث دونوا جميع هذه الانواع من المخترعات ولم يأذنوا لهم بتدوين ما جاء عن النبي في فضله ، فقد جاء في المجلد الثاني من ضحى الاسلام لاحمد امين ان خالد بن عبد الله القسري طلب من الزهري ان يكتب سيرة النبي ، فقال له الزهري : ان سيرة النبي يمر بها الكثير من سيرة علي ومواقفه الخالدة في خدمة الاسلام فما أصنع بهذا النوع من المرويات ؟ فلم يأذن له بتدوين شيء يشير الى فضل علي وتمجيده الا اذا تضمن قدحا او ذما .

ومن تلك الالوان التي افرزتها تلك المدرسة ما يرجع الى تمجيد بني أمية وبلاد الشام وما الى ذلك مما يتعلق بعثمان بن عفان ومعاوية بن هند

واعطائهما صفات القديسين كالذي رواه ابو هريرة عن النبي (ص) انه قال : ان الله ائتمن على وصيه ثلاثة انا وجبرائيل ومعاوية ، وانه قال : اذا لقيتم بعدي اختلافا فعليكم بالامين عثمان بن عفان .

ومن تلك المرويات ما يرجع الى تخدير المسلمين عن الثورة والتحرك ضد الحاكمين مهما بالغوا في الجور والظلم وان مقاومتهم لاستبدالهم بغيرهم حتى ولو كان البديل من أعدل الناس وأحرصهم على مصالح المسلمين وعلى مسيرة الاسلام لا يقرها الاسلام .

فمن ذلك ما رواه اصحاب الصحاح عن النبي (ص) انه كان يقول : من رأى من اميره شيئا يكرهه فليصبر عليه فان من فارق الجماعة شبرا ومات مات ميتة جاهلية ، وانه كان يقول : ستكون بعدي هنات وهنات فمن اراد ان يفرق امر هذه الامة وهي جمع فاضربوه بالسيف كائنا من كان ومن خرج على امام زمانه فاقتلوه ، الى غير ذلك مما رواه البخاري في صحيحه وغيره من محدثي السنة في مجاميعهم .

والى جانب ما انتجته مصانع ابي هريرة وغيره من تلك العصابة اخترع الحاكمون لونا آخر من ألوان التضليل الديني وهو تأسيس الفرق الدينية التي تقدم للجماهير تفسيرات للدين تخدم تسلط الحاكمين وتبرر جورهم وظلمهم كفرقتي المرجئة والمجبرة اللتين ظهرتا في عهد معاوية وساعد على دعمهما وانتشارهما حتى اصبحتا من أوفر المذاهب حظا لدى الحاكمين وفراعنة العصور ، هذا بالاضافة الى عدالة الصحابة التي لا تقل خطرا عن فكرتي الارجاء والجبر والتي تجعله واباه والمروانيين الاوزاع من الكذبة والمجرمين في صفوف الصلحاء ولا تسمح لاحد ان ينالهم بسوء .

لقد رافق ابو عبد الله كل ذلك وكان يتلوى ويتألم للمصير السيء الذي ينتظر الاسلام من معاوية وغيره من القردة الذين سينزون على منبر الرسول ويستخدمون الاسلام لجاهليتهم الاولى ، وكانت مبررات

الثورة على الحكم الاموي موفورة في عهد معاوية والحسين يدركهـا ويعرفها وأحيانا كان يعبر عنها في المجالس والمجتمعات والمناسبـات ويصارح بها معاوية في الرسائل التي كان يوجهها اليه بين الحين والآخر.

وجاء في بعض اجوبة رسائله اليه : وهيهات هيهات يا معاوية لقد فضح الصبح الدجى وبهرت الشمس أنوار السرج لقد فضلت حتـى افرطت واستأثرت حتى اجحفت ومنعت حتى بخلت وصبرت حتى جاوزت ولم تبذل لذي حق حقه بنصيب حتى اخذ الشيطان منك حظه الاوفـر ونصيبه الاكبر .

وفي رسالة ثانية وجهها اليه جاء فيها : أولست المدعي لزياد بن سمية المولود على فراش عبيد من ثقيف وزعمت انه ابن ابيك ورسول الله يقول: الولد للفراش وللعاهر الحجر فتركت سنة رسول الله واتبعت أهواءك بغير هدى من الله، ولم تكتف بذلك حتى سلطته على المسلمين يقطع أيديهم وأرجلهم ويسمل عيونهم ويصلبهم على جذوع النخل حتى كأنك لست من هذه الامة وليسوا منك .

أولست يا معاوية صاحب الحضرميين الذين كتب فيهما ابن سمية انهما على دين علي (ع) فكتبت اليه ان يقتل كل من كان على دين علي فقتلهم ومثل فيهم بأمرك ودين علي هو دين ابن عمه الذي كان يضربك ويضرب عليه آباءك وبه جلست مجلسك الذي انت عليه ، وقلت فيما قلت : انظر لنفسك ولأمة جدك ولدينك أن تشق عصا هذه الامة وأن تردهم الـى فتنة ، واني يا معاوية لا أعلم فتنة اعظم على هذه الامة من ولايتك عليها ولا اعظم نظرا لنفسي ولديني ولأمة جدي من ان أجاهدك .

وكان معاوية يتمنى عليه ان يخفف من أسلوبه معه ويتوسل لذلـك بالشدة حينا وباللين والمغريات حينا آخر وبخاصة عندما عزم على البيعة لولده من بعده ، لان سكوته يؤمن له انقياد الامة ويمكنه من ممارسـة سياسته بدون خشية ولكن الشدة لم تكن لتحد من نشاطه ولا المغريات

لتخدعه عما يؤمن به ويعمل من اجله لان دوره الرسالي يفرض عليه ان لا يسكت ولا يهادن وأن يثور راجيا ان تهز ثورته ضمير الامة التـــي انحنت وخضعت لجبروت السلطة زمنا طويلا ، ولأن المجتمع الذي خضع طويلا لجبروت الامويين وانحنى لكبريائهم لم يعد يصلحه الكلام ولا بد له من شيء جديد يهزه ويحركه .

هذا الواقع الكالح الذي كانت تتخبط فيه الامة وضع الحسين (ع) وجها لوجه امام دوره التاريخي ورسالته النضالية وفرض عليه ان يثور من اجل ركامة الامة وانقاذ شريعة جده من اعدائها الألداء عندما يجد ان ثورته ستعطي ثمارها المرجوة وان شهادته ستقضّ مضاجـــع الظالمين والطغاة المستبدين وتبقى المثل الغني بالعطاء لكل ثائر على الظلم والجور والطغيان في شرق الارض وغربها .

(لماذا حارب الحسين يزيدا ولم يحارب معاوية)

والسؤال الذي يراود الاذهان في المقام ويفـــرض نفسه هو ان الحسين (ع) لقد عاصر معاوية مع ابيه وأخيه وعاصره بعد اخيه كمـا ذكرنا نحوا من عشر سنوات وكان وحده مهوى الافئدة ومحط آمـــال المعذبين والمشردين والمضطهدين ولم يترك معاوية خلال تلك المدة مـن حكمه بابا من ابواب الظلم الا وانطلق منه ولا منفذا للتسلط على الناس الا وأطل منه فقتل آلاف الصلحاء وعذب وشرد واضطهد مئات الالوف بلا جرم ارتكبوه ولا بيعة نقضوها ، وكان ذنبهم الاول والاخير هو ولائهم لعلي وآل علي وكان القدوة لجميع من جاء بعده من الامويين فـــي جورهم واستهتارهم بالقيم والمقدسات وتحوير الاسلام الى الشكل الذي يحقق أحلام ابي جهل وأبي سفيان وغيرهمـــا من طواغيت القرشيين والامويين ، ولم يكن ولده ابن ميسون الا صنيعة من صنائعه وسيئة من سيآته ، فلماذا والحالة هذه قعد عن الثورة المسلحة في عهد معاوية مع وجود جميع مبرراتها واكتفى بالثورة الاعلامية في حين ان المبررات التي

دفعته على الثورة على يزيد كانت امتدادا لتلك التي كان يمارسها معاوية من قبله .

هذا التساؤل يبدو ولاول نظرة سليما ومقبولا ولكنه بعد التدقيق ومتابعة الاحداث التي كان المسلمون يعانون منها وواقع معاوية بن هند والوسائل التي كان يستعملها لتغطية جرائمه لم يعد لهذا التساؤل ما يبرره ذلك لان الواقع المرير الذي فرض على الامام ابي محمد الحسن بن علي (ع) ان يصالح معاوية ويتنازل له عن السلطة الزمنية فرض على الحسين ان لا يتحرك عسكريا في عهد معاوية وأن يفرض على شيعته وأصحابه الخلود الى السكينة وانتظار الوقت المناسب ، لان الحسن لو حارب معاوية في تلك الظروف المشحونة بالفتن والمتناقضات مع تخاذل جيشه وتشتيت أهوائهم وآرائهم ، ومع شراء معاوية لاكثر قادتهم ورؤسائهم بالاموال والوعود المغرية بالاضافة الى ما كان يملكه من وسائل التضليل والإعلام التي كان يستخدمها لتضليل الرأي العام ، لو حارب الحسن في تلك الظروف فكل الدلائل تشير الى ان الحرب ستكلفه نفسه ونفس اخيه الحسين واستئصال المخلصين من أتباعه وشيعته ولا ينتج منها سوى قائمة جديدة من الشهداء تضاف الى القوائم التي دفنت في مرج عذراء ودمشق والكوفة وغيرها من مقابر الشهداء الابرار .

وبلا شك فان الامام أبا محمد الحسن لم يكن يتهيب الشهادة لو كانت تخدم المصلحة العامة وتعد المجتمع الاسلامي اعدادا سليما للثورة والتضحية بكل شيء في سبيل المبدأ والعقيدة كما فعلت ثورة الحسين في حينها التي قدمت للانسان المسلم نمطا جديدا من الثوار لا يستسلم للضغوط مهما بلغ حجمها ولا يسام على انسانيته ودينه ومبدأه مهما كانت التضحيات ، ولم يكن الحسين أقل ادراكا لواقع المجتمع العراقي

من اخيه الحسن ، فقد رأى من خيانته وتخاذله واستسلامه للضغوط مثل ما رأى اخوه وأبوه من قبله لذلك كله فقد آثر التريث ليينما تتوفر لشهادته ان تعطي النتائج التي تخدم الاسلام وتبعث اليقظـــة والروح النضالية في نفوس المسلمين وراح يعمل على تهيئة المجتمع الاسلامـي للثورة وتعبئته لها بدل ان يحمل على القيام بثورة ستكون فاشلة في عهد معاوية وتكون نتائجها لغير صالحه .

لقد مضى على ذلك في حياة اخيه وبعد وفاته ففي حياته حينما جاءته وفود الكوفة تطلب منه ان يثور على معاوية بعد ان يئسوا من استجابة اخيه . قال لهم : لقد صدق اخي ابو محمد فليكن كل رجل منكم حلسا من احلاس بيته ما دام معاوية حيا كما جاء في الاخبار الطوال للديمري ، وبعد اخيه كتبوا اليه ووفدوا عليه يسألونه القدوم عليهم ومناهضة معاوية فأصر على موقفه الاول وقال لهم : أما اخي فأرجو ان يكون قد وفقه الله وسدده فيما فعل وأما انا فليس من رأيي ان تتحركوا في عهد معاويـــة فالصقوا بالارض واكمنوا في البيوت واحترسوا من الظنة والتهمة ما دام معاوية حيا ، الى كثير من مواقفه التي تؤكد بأنه كان يرى ان الثورة على معاوية لا تخدم مصلحة الاسلام والمسلمين وان الخلود الى السكينـــة والابتعاد عن كل ما يثير الشبهات وضغائن الامويين عليه وعلى شيعتــه وأنصاره في حياة معاوية أجدى وأنفع لهم وللمصلحة العامة وفي الوقت ذاته كان كما ذكرنا يعمل لاعداد المجتمع وتعبئته بانتظار اليوم الــذي يطمئن فيه بأن شهادته ستعطي النتائج المرجوة .

وبالفعل لقد اتسعت المعارضة في عهده وظهرت عليها بوادر التغير والميل الى العنف والشدة وبخاصة بعد ان جعل ولاية عهده لولده الخليع المستهتر ، فكان لكل حدث من أحداث معاوية صدى مدويا في اوساط المدينة وخارجها حيث الإمام الحسين الرجل الذي اتجهت اليه الانظار

من كل حدب وصوب وهو ما حدا بالامويين الى التحسس بهذا الواقع والتخوف من نتائجه . فكتب مروان بن الحكم الى معاوية يحذره من التغاضي عن الحسين وأنصاره وجاء في كتابه اليه : ان رجالا من اهل العراق ووجوه الحجاز يختلفون الى الحسين بن علي واني لا آمن وثوبه بين لحظة وأخرى ، وقد بلغني استعداده لذلك فاكتب الي برأيك في امره . ولم يكن معاوية في غفلة عن ذلك وكان قد أعد لكل امر عدته بوسائله التي كان يهيمن بها على الجماهير المسلمة ، والحسين يعرف ذلك ويعرف بأن ثورته لو كانت في ذلك الظرف ستنجلي عن استشهاده ، والاستشهاد بنظره لا وزن له ولا قيمة اذا لم يترك على دروب الناس وفي قلوبهم وهجا ساطعا تسير الاجيال على ضوئه في ثورتها على الظلم والطغيان في كل ارض وزمان .

وكان معاوية يدرك ويعي بما للحسين من منزلة في القلوب وبأن ثورته عليه ستزجه في أجواء تعكر عليه بهاء انتصاراته التي احرزها في معركة صفين وفي صلحه مع الامام الحسن بن علي (ع) ، ولو قدر لها ان تحدث يوم ذاك فسوف يعمل بكل ما لديه من الوسائل ليتخلص منه قبل استفحالها وقبل ان يكون لها ذلك الصدى المفزع في الاوساط الاسلامية ولو بواسطة جنود العسل التي كان يتباهى بها ويستعملها للفتك بأخصامه السياسيين حينما كان يحس بخطرهم على دولته وأمويته ولو تعذر عليه ذلك فسوف يمارس جميع أشكال الاحتيال والتضليل والمراوغة حتى لا يكون لشهادة الحسين ذلك الوهج الساطع الذي ينفذ الى الاعماق ويحرك الضمائر والقلوب للثورة على دولته وأعوانها ، ولكي يبقى أثرها محدودا لا يتجاوز قلوب اهله ومحبيه وشيعته الى حين ثم يطوي النسيان ذكراه كما يطوي جميع الذكريات والاحداث .

ولعل ذلك هو الذي اضطر الحسين الى التريث وعدم مواجهة معاوية بالحرب ودعوة اصحابه وشيعته الذين كانوا يراسلونه ويتوافدون

عليه بين الحين والآخر الى ان يلتصقوا بالارض ويكمنوا في بيوتهـــم ويحترسوا من كل ما يثير حولهم الظنون والشبهات ما دام معاوية حيا •

وكما كان يعرف معاوية وأساليبه كان يعرف ان خليفته الجديد محدود في تفكيره ينساق مع عواطفه وشهواته وتلبية رغباته الى أبعد الحدود بارتكاب المحارم والآثام والتحلل من التقاليد الاسلامية ويندفع مـــع نزقه فيما يعترضه من الصعاب من غير تقدير لما وراءها من المخاطر ، ومن اجل ذلك وقف من بيعته ذلك الموقف واعتبرها من أخطر الاحداث على مصير الامة ومقدراتها ، ولم يجد بدا من مقاومتها وهو يعلم بأن وراء مقاومته الشهادة وان شهادته ستؤدي دورها الكامل وتصنع الانتفاضة تلو الاخرى ، حتى النصر ، ولم يكن باستطاعة يزيد مواجهتها بالاساليب التي اعتاد ابوه تغطية جرائمه بها ، لانه كما وصفه البلاذري في أنساب الاشراف من أبعد الناس عن الحذر والحيطة والتروي صغير العقل متهورا سطحي التفكير لا يهم بشيء الا ركبه ، ومن كان بهذه الصفات لا بد وأن يواجه الاحداث بالاسلوب الذي يتفق مع شخصيته ، وهو ما حدث في النهاية بالنسبة اليها والى غيرها من المشاكل التي واجهته خلال السنين الخمس التي حكم فيها بعد ابيه •

موقف الحسين من بيعة يزيد بن ميسون

لقد كان الحسين الوارث الوحيد لتلك الثورة التي فجرها جـــده الرسول الاعظم على الجاهلية الرعناء والعنصريـة والوثنية لانقـــاذ المستضعفين في الارض من الظلم والتسلط والاستعباد وواصلها ابوه وأخوه من قبله ، وكان دوره القيادي للسير بها على خطا جده وأبيه سنة ستين للهجرة حيث الامة كانت باتتظار من ينهض بأعبائها ويكـــون الحارس الامين المسؤول عنها بعد ان اخذت دعائمها تنهار وتتقوض تحت ضربات بني أمية وأعوانهم، وجميع معطياتها التي انطلقت قبل خمسين عاما او اكثر قد صادرها الامويون وأعوانهم والكتاب الكريم رفع علـــى حرابهم وحراب جلاديهم ، والفكر العقائدي الذي جاء به الاسلام ليبني العقول والقلوب خضع لتوجيه السلطات الحاكمة ، وسيوف المجاهدين انتقلت الى الجلاوزة والجلادين للتنكيل بالصلحاء والابرياء ، والصدقات والغنائم التي كانت تصل الى مسجد الرسول وتذهب منه الى بيـــوت الفقراء والمساكين اصبحت تنتقل الى قصر الخضراء لشراء الضمائـــر

وتخدير المعارضين للسلطة الحاكمة وجيل الثورة الثاني بين من تعرض للابادة الجماعية في مرج عذراء وقصر الخضراء وبين من سيطرت عليهم مبادىء الردة والمرجئة والمجبرة والمتصوفة فأقعدتهم عن التحرك وأفقدتهم القدرة على النضال وغرست في نفوسهم وقلوبهم بذور الاستسلام للواقع المرير الذي كانت تتخبط فيه الامة من جور الامويين وامعانهم في تزوير السنة وتحريف مبادىء الاسلام وتعاليمه لصالح جاهليتهم التي حاربت محمدا اكثر من عشرين عاما .

ومن هنا كان دور الحسين الوريث الوحيد لثورة جده وأبيه على الشرك والوثنية والعنصرية شاقا وعسيرا لانه لم يرث معهما جيشا ولا سلاحا ولا مالا ولا أي قوة جبهوية او مجموعة منظمة غير نفسه وحفنة من بنيه واخوته لم يكن يملك غير ذلك ويملك في الوقت ذاته القدرة على الانزواء للعبادة ومكانه من الجنة مضمون ، ولكنه لم يكن من طينة أولئك الذين اختاروا العبادة طريقا الى الجنة بدلا عن الجهاد والتضحيات ، لانه يدرك ان الطريق الاكمل الى الله هو طريق الحق وطريق الحق هو الجهاد والنضال والالتزام بمبادىء الثورة الاسلامية وتعاليمها . واذا جاز على غيره من صلحاء المسلمين ان ينزوي في المساجد للعبادة ويتخلى عن النضال والجهاد فلا يجوز ذلك على الحسين وارث الرسول وعلي (ع) بأن يتخلى عن وعيه النضالي ويلجأ الى زوايا المعابد تاركا للجاهلية الجديدة المتمثلة في حكم يزيد ان تستفحل في بطشها بقيم الحق والعدل وكرامة الانسان فلم يبق امامه الا الثورة وبدونها لا يكون سبطا للرسول وابنا لعلي (ع) ووارثا لهما وقدره ان يكون شهيدا وابنا لاكرم الشهداء وأبا لآلاف الشهداء ، وأن يكون المثل الاعلى لجميع الاحرار الذين يناضلون من اجل الحق والعدل والمستضعفين في الارض من الرجال والنساء .

لقد حاول معاوية ان يفرض بيعة ولده يزيد على الحسين فلـــم يتهيأ له ذلك ولا سكوته عنه وهو أدنى ما كان يرجوه معاوية ويتمناه ، واستمر الحسين على موقفه من تلك البيعة التي فرضها معاوية علـــى المسلمين بالسلاح والمال والتشهير بمعاوية وأحداثه وتحريض المسلمين على تلك البيعة الغادرة : ومات معاوية سنة ستين من الهجرة والحسين على موقفه المتصلب منها ، كما امتنع جماعة من البيعة تأسيا بالحسين (ع).

وكما ذكرنا من قبل فان يزيد بن ميسون لم يكن كأبيه في حزمـــه واحتياطه للمشاكل والاحداث والتستر بالدين ليسدل ذلك الستـــار الشفاف على جرائمه وتصرفاته كما كان يفعل ابوه من قبله ؛ ولما انتقلت السلطة اليه كان من الاولويات عنده ان يلزم الحسين ومن تخلف معه من وجوه الصحابة ببيعته فكتب الى الوليد بن عقبة حاكم المدينة يوم ذاك كتابا يأمره فيه ان يأخذ البيعة من الحسين وعبـــد الله بن عمـــر وابن الزبير ولا يسمح لهم بالتأخير ولو لحظة واحدة ، وعندما استلـــم الكتاب استدعي الحسين اليه ليلا ، وعندما دخل الحسين عليـــه اخبره بموت معاوية وقرأ عليه كتاب يزيد اليه فأراد الحسين (ع) ان يتخلص منه بدون استعمال العنف ، فقال له : مثلي لا يبايع سرا فاذا خرجت غدا الى الناس ودعوتهم لها ارجو ان يكون امرنا واحدا ، وكان الوليـــد يتمنى ان لا تضطره الامور الى التورط مع الحسين بما يسيء اليـــه فاقتنع بجوابه ، ولكن مروان بن الحكم ابت له أمويته الحاقدة ان يخرج الحسين من مجلس الوالي معززا مكرما كما دخل فحاول ان يستفـزه ويشحنه عليه فقال له : لان فارقك الحسين الساعة ولم يبايع لا قدرت منه على مثلها حتى تكثر القتل بينك وبينه ولكن احبسه فان ابى ولـــم يبايع فاضرب عنقه .

وهنا لم يعد امام الحسين (ع) في مقابل هذا التحدي الصارخ الا ان

يعلن عن موقفه من يزيد وحكومته وعن تصميمه على الثورة مهما كانت التضحيات وقد اصبح وجها لوجه امام دوره التاريخي الذي يتحتم عليه ان يصنعه فوثب عند ذلك ليعلن عما ينطوي عليه بكل ما في الصراحة من معنى فقال له : ويلي عليك يا ابن الزرقاء انت تأمر بضرب عنقي كذبت ولؤمت ، ثم أقبل على الوليد وقال : ايها الامير انا اهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة بنا فتح الله وبنا ختم ويزيد فاسق فاجر شارب للخمور وقاتل للنفوس المحترمة ومستحل لجميع الحرمات ومثلي لا يبايع مثله •

وجاء في مثير الاحزان لابن نما ان الوليد بتحريض من مروان رد على الحسين بأسلوب يتسم بالحدة والغلظة فهجم من كان مع الحسين من اخوته ومواليه وبيدهم الخناجر وأخرجوه من المنزل ، فقال له مروان : لقد عصيتني والله لا يمكنك من مثلها ابدا ، فرد عليه الوليد بقوله كما جاء في رواية الطبري : ويح غيرك يا مروان لقد اخترت لي ما فيه هلاك ديني أقتل حسينا ان قال لا أبايع يزيدا والله ان امرءا يحاسب بدم الحسين لخفيف الميزان يوم القيامة لا ينظر الله اليه ولا يزكيه وله عذاب أليم •

وأضاف الى ذلك ابن عساكر في تاريخه ان أسماء بنت عبد الرحمن بن الحارث زوجة الوليد انكرت عليه ما جرى منه مع الحسين (ع) فأجابها بأنه كان هو البادىء بالشتم والسب ، فقالت له : أتسبه وتسب أباه ان سبك ، فقال لها لا اعود لذلك ابدا •

لقد اعلن الحسين ثورته على يزيد ودولته بتلك الكلمات التي وجهها الى الوليد بن عقبة المكلف بتوطيد حكمه في الحجاز وفي مدينة الرسول بالذات ولم يكن الوالي يحسب ان الحسين سيعلنها في مجلسه بتلك الصراحة وفي المجلس من هم أشد عداء لمحمد وآل محمد ورسالة محمد

من يزيد وأبيه .

ان فيـــه الوزع وابن الوزع طريد رسول الله الذي لا يستطيع ان يزيح عن قلبه ونفسه تلك العقد الدفينة التي خلفتها معاركهم مع الاسلام وانتصاراته التي ارغمتهم على التظاهر به مرغمين وما تلا ذلك من ابعادهم عن المدينة الى مكان مقفر من بلاد الطائف وتحريض المسلمين علـــى مقاطعتهم ردا على ايذائهم للنبي وتجسسهم عليه وهو في بيته مـــع اهله ونسائه .

هذا الموقف وما تلاه من المواقف الاخرى التي كان من جملتها موقفه مع مروان بن الحكم وهو ينصحه ان يبايع ليزيد بن معاوية فرد عليـــه بقوله : وعلى الاسلام السلام اذا ابتليت الامة براع مثل يزيد بن معاوية، وقوله ان الخلافة محرمة على آل ابي سفيان . كل هذه المواقف الحسينية تشكل اعلانا صريحا لتصميمه على الثورة ومناهضة الحكم الامـــوي بقيادة يزيد بن معاوية مهما بلغ حجم التضحيات في سبيلها ، وقد بلغت مواقفه هذه يزيدا بأقصى حدود السرعة بواسطة الامويين الذين كانوا يفاوضونه ويراقبون جميع تحركاته وتصرفاته ويحصون عليه حتى أنفاسه.

لقد بلغت مواقف الحسين يزيدا بكل أبعادها ومضاعفاتها فأفقدتـه وعيه واندفع مع نزقه ومضى يعمل للتخلص من الحسين قبل ان يخرج من مدينة جده ويستفحل خطره فدس جماعة من جلاديه لقتله في المدينة قبل مغادرتها الى العراق او اي بلد آخر كما تؤكد ذلك اكثر المصادر ، ولعل ذلك هو ما حدا بالحسين الىمغادرة المدينة الى مكة مع بنيه واخوته وأسرته ليفوت على يزيد بن ميسون وحفيد هند آكلة الاكباد ما كـــان يخطط له من اجهاض ثورته وهي لا تزال في مراحلها الاولى . وقد اختار الحسين (ع) لنفسه مكة وهو في طريقه الى الشهادة على تراب كربلاء ليضع المسلمين حيث يجتمعون فيها في ذلك الفصل من جميع مناطـــق الحجاز امام الواقع المرير الذي ينتظرهم في ذلك العهد المظلم ، ويضع

بين أيديهم ما يحدق بالاسلام من دولة ابي سفيان العدو الاكبر لمحمد ورسالته وما عزم عليه من الثورة والتضحية لانقاذ شريعة جده من اولئك المردة أحفاد ابي سفيان والحكم بن العاص طريد رسول الله حتى ولو كلفه ذلك حياته وحياة بنيه وجميع أسرته ؛ وفيها اجتمع بتلك الوفود ومن بقي من أنصار جده ووضعهم تجاه مسؤولياتهم واستعرض جميع أحداث معاوية ومواقفه المعادية للاسلام وما ينتظرهم من خليفته المستهتر الخليع ودعاهم الى نصرته وجهاد الظالمين ، ومضى في طريقه الى الهدف الاسمى والغاية القصوى وهو يتمثل بقول القائل :

ان كان دين محمد لم يستقم   الا بقتلي يا سيوف خذيني

تاركا وراءه آراء المشيرين والناصحين الذين لم تتسع آفاقهم لاهـداف ثورته وما سيكون لها من الآثار السخية بالعطاء على مدى التاريخ •

(سنة احدى وستين)

لقد كانت سنة احدى وستين مسرحا لصراع عنيف بين ارادتين ووقف التاريخ مذهولا بين تلك الارادتين ارادة الخير وارادة الشر تمثلت الاولى في شخصية عظيمة خرجت من بيت علي وفاطمة أضفت عليها القداسة هالة من الاشعاع كأنه اشعاع الفجر المنبلج في كبد الظلام ، وتمثلت الثانية ارادة الشر في رجل أقل ما يقال فيه انه كان ربيب الشرك والجاهليـــة وحفيدا لابي سفيان وزوجته هند آكلة الاكباد .

والاول هو الامام الحسين سبط الرسول الاعظم وشبل علي بن ابي طالب (ع) ذلك الإمام العظيم والبطل الخالد .

لقد كان الحسين فرعا لشجرة التوحيد الممتدة جذورها الطيبـــة الزكيـــة لهاشم سيد العرب فـــي زمانه ويزيد شوكة مـــن حسك نابت في تربة سبخة من ارض موات أنبتت اخبث شجرة كان بنو أمية مــــن تاجها ، ولقد عكست واقعة الطف الدامية التي شهدت مأساتها ارض كربلاء أثر كلا الجانبين بل أثر تلك الارادتين الارادة الخيرة الهادفـــة

للاصلاح واستئصال الشرك والوثنية تلك الارادة المتمثلة فـي الحسين وصحبه ، والارادة الثانية الشريرة الهادفة للفساد وسفك الدماء واستعباد الصلحاء والاحرار واعادة الجاهلية بكل أشكالها ومعالمها كما كان يمثلها حفيد ابي سفيان وآكلة الاكباد .

لقد وقف الحسين وقفته العظيمة التي حيرت العقول بما فيها مـن معاني البطولات والتضحيات التي لم يحدث التاريخ بمثلها فـي سبيل العقيدة والمبدأ وحرية الانسان وكرامته فردا امام دولة جبارة تخضع لنفوذ ملك ظالم جبار يحتل الصدارة في قائمة الطغـاة والسفاحين والمجرمين في كل ارض وزمان .

لقد وقف الحسين وقفته الخالدة التي كانت ولا تزال مصدرا مـن أوفر المصادر حظا بكل معاني الخير والفضيلة والمثل العليا رافضا الخنوع والاستكانة لحكم ذلك الذئب الكاسر المتمثل في هيكل انسان يسميه الناس يزيدا ، وقدم دمه ودماء ذويه واخوته وأنصاره قربانا لله وللدين ليبقى حيا ما دامت الانسانية تحتضن الاجيال على مدى العصور وبقي الحسين خالدا خلود الدهر بدفاعه عن كرامة الانسان وحريته وعقيدته وبسواقفه التي اعلن فيها ان كرامة الانسان فوق ميول الحاكمين ولا سبيل لأحد عليها .

وذهب يزيد ومن على شاكلته من الحاكمين في متاهـات الفناء ، والتاريخ تتبعهم لعنات الاجيال الى قيام يوم الدين .

عش في زمانك مـا استطعت نبيـلا
واتـرك حديثـك للـرواة جميـلا
ولعـزك استرخص حياتـك انـه
اغلـى والا غادرتـك ذليـلا

تعطـــي الحياة قيادها لـــك كلمـــا

صيرتهـــا للمكرمـــات ذلـــولا

العـــز مقياس الحياة وضـــل مـــن

قد عد مقياس الحيـــاة الطـــولا

قـــل كيف عاش ولا تقل كم عاش من

جعـــل الحياة الى عـــلاه سبيـــلا

لا غرو ان طـــوت المنية ماجـــدا

كثرت محاسنـــه وعـــاش قليـــلا

قتلـــوك للدنيـــا ولكن لـــم تـــدم

لبني أميـــة بعد قتلـــك جيـــلا ٠

بين هجرة الرسول وهجرة الحسين

هجرتان من اجل الاسلام ورسالة الاسلام ، الاولى منهما كانت فرارا من الموت الذي استهدف رسالة محمد بشخصه ، وقد نفذها الرسول الاعظم بأمر من ربه ليتابع رسالته وينقذها من مشركي مكة وجبابـــرة قريش كأبي سفيان وأمثاله والثانية قام بها سبطه الحسين بن علي (ع) ولكنها كانت للشهادة بعد ان ادرك ان الاخطار المحدقة برسالة جده لا يمكن تفاديها وتجاوزها الا بشهادته .

لقد هاجر رسول الله من مكة الى يثرب لاجل رسالته بعد ان تآمرت قريش على قتله لتتخلص منها ، لان بقاءها وانتشارها مرهون بحياته ، وبعد ان وجدت ان جميع وسائل العنف التي استعملتها معه على اختلاف اصنافها وأنواعها خلال ثلاثة عشر عاما لم تغير من موقفه شيئا كما لم تجدها جميع الاغراءات والعروض السخية ، وكان رده الاخير علـــى عروض ابي سفيان وأبي جهل ومغرياتهما ، والله لو وضعتم الشمس في يميني والقمر في شمالي ما تركت هذا الامر او اموت دونه .

وعادت قريش بعد جميع تلك المراحل التي مرت بها معه تخطط من جديد للقضاء على رسالته لاسيما بعد ان أحست بأن يثرب ستكون من اعظم معاقلها وستنطلق منها الى جميع انحاء الحجاز والى العالم بأسره ، فاجتمع قادتها في مكان يعرف بدار الندوة وراحوا يتبادلـــون الآراء للتخلص منه فاقترح بعضهم ان يضعوه في احدى البيوت مكبلا بالحديد بعيدا عن أعين الناس ومجالسهم الى ان يأتيه الموت ، كما اقترح آخرون ان يطرد من مكة حتى لا يتحملوا مسؤولية قتله ، واتفقوا اخيرا على ان يباشروا قتله على ان تشترك فيه جميع القبائل المكية ويتولى ذلك من كل قبيلة فتى من أشد فتيانها واتفقوا على الزمان والمكان الذي يتم فيـــه التنفيذ وقد اشار القرآن الكريم الى ذلك في الآية :

واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ، والذي تعنيه الآية ان الله قد فوت عليهم هذا التخطيط وأخبر رسوله بما كان من امرهم ، وأمره بالخروج مـــن مكة ليلا وأن يأمر عليا في المبيت على فراشه قبيل خروجه .

وحينما عرض الامر على علي (ع) لم يتردد لحظة واحدة في التضحية بنفسه في سبيله وقال له : أوتسلم انت يا رسول الله ان فديتك بنفسي، فرد عليه النبي (ص) بقوله : بذلك وعدني ربي ، فطابت نفسه عند ذلك وتبدد ما كان يساوره من خوف وقلق على النبي ، وتقدم الى فراشـــه مطمئن النفس رابط الجأش ثابت الفؤاد واتشح ببيرد الحضرمي الذي اعتاد ان يتشح به في نومه .

وتمت الهجرة في جوف الليل من مكة الى الغار ومنها الى يثرب في السادس من ربيع الاول ، واعتمد المسلمون تلك الهجرة في تواريخهم منذ عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب على أثر خصومة بين اثنين في دين يدعي احدهما استحقاقه في شهر شعبان بموجب سند بيده ، وسأل

الخليفة الدائن أي شعبان هذا أشعبان هذه السنة او التي بعدها ؟ ولما لم يطمئن لاحد منهما جمع المسلمين في المسجد ليعتمد لهم تاريخا ، والمسلمون يوم ذاك لم يكن لهم تاريخ خاص ، فكان بعضهم يؤرخ بعام الفيل وبعضهم بحرب الفجار وأكثرهم كانوا يعتمدون تواريخ الدول المجاورة لشبه الجزيرة العربية ، واختلفت آراء الصحابة في الزمان الذي يعتمدونه في تواريخهم وكادوا ان يتفرقوا بدون ان ينتهوا الى نتيجة حاسمة لولا ان عليا أقبل عليهم بالمعهود من رأيه السديد وقال : نؤرخ بهجرة الرسول من مكة الى المدينة فأعجب ابن الخطاب برأيه وهتف قائلا: لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها ابو الحسن ، واقترن رأيه هذا باعجاب الحضور وتقديرهم لان هجرة الرسول كانت المنطلق لانتصار الاسلام على الشرك والوثنية وحدثا تاريخيا لعله من ابرز الاحداث في تاريخ الدعوة، واستمر المسلمون على ذلك في تواريخهم ولم يحدث التاريخ عنهم بأنهم اعتبروا شهر المحرم بداية لسنتهم الهجرية ، ولعل ذلك لم يحدث الا بعد مقتل الحسين وبعد ان اصبحت الايام الاولى من شهر المحرم ايام حزن عند اهل البيت وشيعتهم فجعلها الامويون بداية للسنة الهجرية وعيدا من أعيادهم ، ولا يزال المسلمون عند مواقفهم من تلك الايام الاولى من ذلك الشهر ، فالشيعة يحتفلون بذكرى الحسين (ع) ويرددون تلك المأساة في مجالسهم ومجتمعاتهم بما تحمله وتنطوي عليه من الاخلاص للعقيدة والمبدأ والتضحيات الجسام فيسبيل الحق والمستضعفين وكرامة الانسان، وغيرهم من مسلمي السنة يحتفلون به كبقية الأعياد ويتباهون بمظاهر الفرح والزينة وأنواع الاطعمة .

ومهما يكن فلقد كانت الهجرة من مكة الى المدينة في السادس من ربيع الاول بعد مرور ثلاثة عشر عاما على ولادة الاسلام ، وفي اليوم الثاني عشر منه كان النبي في المدينة بين أنصاره الجدد الذين احتضنوه

وأخلصوا لرسالته وأنقذه الله من تلك المؤامرة الدنيئة التـي استهدفت حياته ورسالته وحاك خيوطها شيخ الامويين يوم ذاك ابو سفيان بـن حرب ، وسلم محمد لرسالته التي ارغمت ابا سفيان وغيره من مشركي مكة بعد سنوات قليلة من تلك الهجرة على الانضواء تحت لوائها بقلوبهم المشركة الحاقدة يتململون بين أقدام طريدهم بالامس يستجدون عفـوه ورأفته أذلاء صاغرين .

وأبت نفسه الكبيرة التي اتسعت لتعاليم السماء ورسالة الاسلام الا ان تتسع لابي سفيان وحتى لزوجته هند آكلة الاكباد وغيرها مـــن المشركين والمشركات وأعلن العفو العام حينما دخل مكة فاتحـا منتصرا متجاهلا جميع سيآتهم بكلماته الخالدة التي لا تزال سمة خزي وعار ما دام التاريخ : اذهبوا فأنتم الطلقاء ، وأعطى لابي سفيان العدو الاكبر للاسلام ما لم يعطه لاحد من المشركين .

وهل غيَّر هذا الموقف العظيم الذي لا يمكن ان يصـــدر من أي انسان مهما كان نوعه ، هل غيَّر من نفس ابي سفيان وروحه شيئا ، وهل ادرك ان موقفا كهذا لا يصدر الا عن انسان تسيره ارادة السماء ؟ ان النفوس الحقودة اللئيمة لا علاج لها الا بالاستئصال والرسول العظيـم يعلم ذلك ويعلم ان ما صنعه مع البيت الاموي لا يغير من طبيعته ولكن مصلحة الاسلام يوم ذاك فرضت عليه ان يعالجهم بهذا الاسلوب ويستعمل معهم العفو والرحمة بدلا من معاملتهم بما يستحقون .

وبقي الحزب الاموي بقيادة ابي سفيان يتحين الفرص ويستغـــل المناسبات وحينما انتقلت الخلافة الى سليل بيته عثمان بن عفان أحس بنشوة تملأ نفسه الحاقدة وذهب يقوده غلامه لينفس عما تراكم في نفسه من أحقاد على الاسلام ودعاته ، الى قبر الحمزة ليركله برجله ويقول : قم يا ابا عمارة ان الذي تجالدنا عليه لقد اصبح تحت أقدامنا .

وخلال سنوات معدودات من حكمهم استطاعوا ان يحققوا لهذا البيت اكثر أمانيه واتجهوا يعملون لوثنيتهم وجاهليتهم حتى لا يبقى لرسالة محمد ناطق على منبر او محراب وليصبح أئمة المساجد والقراء والرواة أبواقا للسلطة الحاكمة والقبضة الاموية الجديدة التي تعمل للسلطة والجاهلية باسم الاسلام اداة لغسل الادمغة من عقائده وحشوها بمبادىء الردة والوثنية . وظلوا يعملون بهذا الاتجاه الوثني حتى انقلبت القيم وسحقت التعاليم وذهبت رياح الجاهلية بجهود المخلصين وجاءت بكنوز الذهب للمنافقين ، وأصبح التوحيد ستارا للشرك والاسلام لا يعني سوى الاستسلام للحاكمين ، والسنة قاعدة للسلطة ، والحديث عرضة للوضع والتزوير والتحريف والالسن قطعت او اشتريت بأموال الفقراء والمساكين .

اما اصحاب السابقة والجهاد فقد تقاضوا الثمن ولايات وامارات ، واعتزل فريق للعبادة وفريق ساوموا على سكوتهم عن الظلم والجور حتى لا يواجهون النفي والموت في صحراء الربذة ومرج عذراء وقصر الخضراء، وعادت الجاهلية الجديدة أثقل ظلا وأشد ظلمة ووحشية والعدو الجديد أشد دهاء وأكثر نضجا وذكاء .

وفجأة سطع ضوء في الظلام ومن بين ركام الاسلام المتداعي وأضاءت للملأ ملامح امل جديد في دياجي ذلك الظلام المطبق وبدا للعالم انسان يخط على التراب بدمه ، الا واني لا ارى الموت الا سعادة والحياة مع الظالمين الا برما .

انه الحسين بن علي وفاطمة سبط ذلك الرسول الذي هاجر من مكة ليثرب قبل ستين عاما لاجل رسالته وانقاذها من الشرك والوثنية ومرة ثانية وفي ظروف لعلها اسوأ على الانسانية والرسالة من الظروف التي خرج فيها جده من قبل لانقاذ البشرية مما كانت تعانيه من عسف وجور

واستغلال خرج من بيت محمد وعلي البيت الذي وسع التاريخ كله فكان اكبر منه خرج غاضبا مصمما على الموت كأن في صدره اعصارا هو في طريقه الى الانطلاق • خرج لاجل الرسالة التي هاجر لاجلها جده الرسول الاعظم من قبل يتلفت من حوله وحيدا أعزل يرى الرسالة وآمال الفقراء والمستضعفين تساق الى قصر الخضراء في دمشق لا يملك سلاحا غير الشهادة التي يراها زينة للرجال كما تكون القلادة زينة للفتاة وهاجر للحصول عليها على هدى وبصيرة وشبحها ماثل نصب عينيه يتطلع الى تربة كربلاء مع ركبه بصبر وصمود وهو يقول : خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفلاة أفلا ترون الى الحق لا يعمل به والى الباطل لا يتناهى عنه ليرغب المؤمن في لقاء ربه محقا •

لقد هاجر من مدينة جده الى مكة ومنها الى العراق بعد ان رأى رسالة الاسلام تتعرض للانهيار ومصير الانسان يوم ذاك اسوأ من مصير انسان الجاهلية نافضا يديه من الحياة لا يملك في مقابل عدوه سوى سلاح الشهادة وفي كل مرحلة كان يقطعها وهو يحث السير اليها كان يشير الى أنصاره الذين رافقوه في تلك الرحلة ليموتوا معه والى اهل بيته الذين هم كل ما يملكه من الحياة الى هؤلاء جميعا كان يشير ويكشف لهم عن معاني الشهادة وأهدافها ومعطياتها ويشهد العالم بأسره بأنه قد أدى للانسانية كل ما يقدر عليه •

لقد كان سيد الشهداء يدرك ويعي اهمية الرسالة الملقاة على عاتقه ويعلم بأن التاريخ ينتظر شهادته وانها ستكون ضمانا لحياة أمة وأساسا لبناء عقيدة وهتكا لاقنعة الخداع والظلم والقسوة وأداته لسحق القيم ومحوها من الاذهان وانقاذا لرسالة الله من أيدي الشياطين والجلادين ، وهذا هو الذي كان يعنيه بقوله لاخيه محمد بن الحنفية وهو يلح عليه ويتملل بين يديه باكيا حزينا ليرجع الى حرم جده : لقد شاء الله ان

يراني قتيلا وشاء ان يرى حرمي وعيالي سبايا .

لقد اعطى الحسين للعالم كله بشهادته دروسا مليئة بالحياة غنية بالقيم وروعة الجمال وأصبح هو ومن معه من طفله الى اخوته وأنصاره وغلمانه انقدوة الغنية بعطياتها للعالم في كل زمان ومكان يعلسون الابطال كيف يموتون في مسلكة الجلادين الذي ذهبت ضحية سيوفهم آمال الجيال من الشباب وتلوت تحت سياطهم جنوب النساء وأبادوا وأجاعوا واستعبدوا رجالا ونساء ومؤذنين ومعلمين ومحدثين .

لقد ترك الحسين واخوته وأصحابه وحتى غلمانه دروسا سخية بالعطاء والقيم حافلة بالعبر والمثل التي تنير العقول وتبعث في النفوس والقلوب قوة الايمان بالمثل العليا والمبادىء السامية التي دعا اليها وضحى بكل ما يملك من اجلها ولا تزال الاجيال تستلهم منها كل معاني الخير والنبل والفضيلة وسيبقى الحسين وأنصاره مثلا كريما لكل ثائر على الظلم والجور والطغيان الى حيث يشاء الله .

لقد هاجر من مدينة جده الى ارض الشهادة والخلود ليقدم دمه الزكي ودماء اخوته وأنصاره الخالدين ثمنا لإحياء شريعة جده الرسول الاعظم وانقاذها من مخالب الكفر والانحراف ، ولكي يضع حدا لسياسة البطش والتنكيل واراقة الدماء وليعلن بصوته المدوي الذي لا يزال صداه يقض مضاجع الظالمين ان الاسلام فوق ميول الحاكمين وان المثل والقيم فوق مستوى مطامعهم الرخيصة وان الحرية والكرامة من حقوق الانسان في حياته ولا سلطان للحكام والطغاة عليها .

أجل ان رسالة الحسين (ع) كانت ولا تزال امتدادا لرسالة جده وجهاده امتدادا لجهاد جده وأبيه امير المؤمنين بطل الاسلام الخالد الذي قام الاسلام وانتشر بسيفه وجهاده .

وكما خيبت هجرة الرسول مساعي المتآمرين على قتله بخروجه من

مكة الى يثرب بعد ان بات على فراشه بطل الاسلام الخالد ليدرأ عنه خطر الاعداء ويفديه بنفسه من مؤامرة ابي سفيان وحزبه كذلك خيبت شهادة سبطه الثائر العظيم آمال أمية وأمانيها ومما يطمح اليه حفيدها يزيد بن معاوية من تحطيم الاسلام وعودة الجاهلية والاصنام آلهة آبائه وأجداده وسجلت انتصارا حطم اولئك الجبابرة الطغاة ودولتهم الجائرة العاتية التي قابلها الحسين وقضى عليها بشهادته ودمه الزكي الطاهر بالرجال والعتاد والاموال .

ولرب نصر عاد بشر هزيمة   تركت بيوت الظالمين طلولا

لقد قاتل مع الحسين (ع) اثنان وسبعون شخصا من اخوته وأبنائه وأنصاره الابطال الذين امتحن الله قلوبهم بالايمان فقاتلوا دفاعاً عن الحق والعقيدة ورسالة الاسلام وأرخصوا حياتهم لإعلاء كلمة الله في الارض وكانوا مع قلة عددهم وكثرة الحشود التي اجتمعت لقتالهم يكرون على تلك الحشود بقلوبهم العامرة بالتقوى ونفوسهم المطمئنة الى المصير الذي أعده الله للمجاهدين في سبيله فيفرون من بين أيديهم فرار المعزا اذا شدت عليها الذئاب ورحم الله السيد حيدر الحلي القائل :

جاءوا بسبعين الف سل بقيتهم   هل قابلونا وقد جئنا بسبعين

لقد ترك لنا الحسين وجد الحسين والأئمة من ذرية الحسين من اقوالهم وسيرتهم وسلوكهم وجهادهم مدرسة غنية بكل ما نحتاجه في الحرب والسلم والشدة والرخاء والفقر والغنى وكل نواحي الحياة فما اولانا ونحن ندعي الاسلام والتشيع لهم ان نرجع الى سيرتهم ونسير على خطاهم ونصنع من ميراث أمتنا وقادتنا خير أمة اخرجت للناس .

ولو نظرنا ومع الاسف الشديد الى مبادىء التشيع التي تجسد الاسلام بكل فصوله وخطوطه وقارنا بينها وبين ما نحن عليه من تخاذل وتراجع واذلال وانحراف عن الاسلام ومبادئه وقيمه وجدنا انفسنا من ابعد الناس عن علي وبنيه وعن الحسين بالذات الذي نحتفل في كل عام بذكراه ونبكيه ونردد بألسنتنا يا ليتنا كنا معكم فنفوز فوزا عظيما ، وأنا لا أشك بأن الحسين لو وجد في زماننا هذا لصنع من القدس وجنوب لبنان كربلاء ثانية وسوف لا يناصره ممن يدعون الاسلام والتشيع وممن يتباكون على القدس والجنوب ويتاجرون بهما في البيانات والخطب وعلى صفحات الجرائد اكثر من العدد الذي ناصره في كربلاء الاولى .

ان بكاء الباكين وتباكيهم على الحسين وعلى القدس والجنوب لم يكن الا لانه يلتقي مع مصالحهم او لبعض الحالات الطبيعية التي تسيطر على الانسان احيانا ، فهل هؤلاء مع الحسين ومبادئه ومع القدس القبلة الاولى للمسلمين وفلسطين التي اغتصبتها وشردت اهاليها قوى الشر والعدوان . ومع جنوب لبنان الذي عبثت فيه الاهواء والاطماع ومزقته الى احزاب وشيع لا تحصى حتى ولو تعارض ذلك مع مصالحهم وأهوائهم ، فعشرات الشواهد والارقام تؤكد ان مصالحنا وأهوائنا اذا تعارضت مع الحسين وجميع القيم ومع القدس والجنوب وجميع المظلومين والمعذبين لم نعد نتعرف على الحسين ولا على مبادئه وقيمه ولا على القدس والجنوب ولا على المظلومين والمعذبين ولو خرج من يحمل مبادىء الحسين في زماننا هذا لحاربناه كما حاربه اولئك بالامس ولقطعنا رأسه ورؤوس من يناصره وأهديناها لمن يحمل روح يزيد وابن زياد وما اكثرهم في زماننا هذا .

لقد بكى عمر بن سعد على الحسين في كربلاء وسالت دموعه على لحيته عندما رآه يجود بنفسه والدماء تنزف من جسده وفي نفس الوقت

أمر اصحابه بقتله وقال لهم : انزلوا اليه وأريحوه . والانسان في الغالب قد يتأثر وينفعل من غير قصد واختيار كما يتنفس ويتألم ويفرح ويحزن وسرعان ما يتغير وكأنه انسان آخر ، وبذلك نستطيع ان نفسر بكاء اكثر الباكين على الحسين من المحبين والمجرمين القساة وهم يستمعون الى حديث كربلاء وما حل بها من الفجائع على اهل البيت عليهم السلام .

وجاء عن بعض العلويات انها قالت : حين استشهد اخي الحسين هجم العدو على خيامنا للسلب والنهب ودخل خيمتي رجل ازرق العينين فأخذ ما في الخيمة ونظر الى زين العابدين وهو على نطع وكان مريضا فجذبه من تحته ورماه الى الارض والتفت الي وأخذ القناع عن رأسي وقرطين كانا في أذني وجعل يعالجهما ويبكي حتى أنتزعهما ؛ فقلت له : نسلبني وأنت تبكي ؟ فقال : ابكي لمصابكم اهل البيت .

وبلا شك فان الكثيرين من الذين يبكون لمصاب اهل البيت وما حل بهم في كربلاء يحملون روح هذا المجرم ازرق العينين ، ولو تسنى لهم ان يسلبوا الحوراء او غيرها خمارها اذا اقتضت مصلحتهم ذلك لا يقصرون ولا يتورعون ، وأي فرق بين ازرق العينين الذي اقتحم خيام الحسين وأخذ النطع من تحت الإمام السجاد وانتزع القرطين من أذني الحوراء وبين من يدعون التشيع والاسلام في زماننا هذا ويعتدون على أموال الناس وحقوق الناس وكرامتهم غير مكترثين بالاديان ولا بالاخلاق والاعراف التي لا تقر الاساءة لاحد من الناس .

ان هؤلاء لا فرق بينهم وبين عمر بن سعد وأزرق العينين ولو وجدت العقيلة الحوراء في زماننا هذا لا يتورعون عن انتزاع قرطها ولا عن قتل اخيها وأبيها اذا اقتضت مصلحتهم ذلك ، وفي الوقت ذاته يتأثرون وينفعلون وقد يبكون عندما يستمعون الى حديث كربلاء وما فعله ازرق

العينين .

وسلام الله على الحسين وأنصاره شيوخا وشبانا الذين لا تـزال ذكراهم حية تثير الاسى والشجن في نفوس المحبين وحتى في نفوس الكثيرين في زماننا هذا من أمثال ابن سعد وأزرق العينين ، ولكن ذلك الاسى سرعان ما يتبخر ولا يعلق من تلك الذكرى وأهدافها السامية في النفوس والعقول الا صورا لا تتجاوز عالمها ومحيطها ثم تتبخر وكأنها لم تكن .

وأعود لأكرر بأن المسلمين لو استغلوا ذكراك يا ابا عبد اللـه وتضحياتك الجسام في سبيل الاسلام وخير الانسانية ، واستغلوا مولد الرسول وسيرته العطرة الغنية بمعطياتها الذي يحتفلون به في هذه الايام من كل عام من على منابرهم وبالهتاف والتصفيق في شوارعهم لبضـع ساعات ثم يعودون مسرعين الى نوادي القمار والخمور والبغاء وخدمة اعداء الاسلام بأموالهم وجميع طاقاتهم ، لو استغلوا ذكرى سيد الشهداء ومولد الرسول (ص) لمرضاة الله ورسوله ولصالح الاسـلام والمسلمين وبث الوعي ورص الصفوف في مقابل الغزاة من اعداء الاسلام والمسلمين لا لاشاعة الجهل والتفريق والاتجار بالدين وعواطف الناس لكانوا من افضل الامم وأقواها في مشرق الدنيا ومغربها وسلام الله على الحسين الذي لم يحدث عن مثله التاريخ :

فيا ايها الوتر في الخالديـن	فـذا الى الان لم يشفـع
ويا واصلا من نشيد الخلود	ختـام القصيدة بالمطلـع
ويا بن التـي لم يقع مثلها	كمثلك حملا ولم ترضـع
تعاليت مـن مفزع للحتوف	وبـورك قبرك من مفـزع
تمر الدهور فمن يسجـد	على جانبيـه ومن ركـع

ورحم الله من قال في وصفه :

اضمير غيب الله كيف لك الفنا نفذت وراء حجابــه المخزون
ونصاك جبهتك السيوف وانها لولا عينيــك لم تكن ليمين
ما كنت حين صرعت مضعوف القوى فأقول لم ترفــد بنصر معين
اما وشيبتك الخضيبة انهــا لا يركــل اليــة ويمين
لو كنت تستام الحياة لارخصت منها لك الاقدار كــل ثمين
اوشئت محو عداك حتى لا يرى منهم على الغبراء شخص قطين
لاخذت افاق البلاد عليهــم وشحنت قطريهـا بجيش منون
حتى اذا لم تبق نافخ حزمــة منهم بكل مفاوز وحصــون
لكن دعتك لبذل نفسك عصبة حان انتشار ضلالها المدفــون
فرأيت ان لقاء ربــك باذلا للنفس افضل مــن بقاء ضنين

(ما اروع يومك يا ابا الشهداء)

شموخ مع التاريخ وصمود مع الاجيال يتجلى بكل وضوح في أفق الحياة الواسع ومع سير الزمن السرمدي لا يطويه دوران الايام ولا تنسيه الدهور والاعوام يجدد الآلام ويثير الاحزان والاشجان بالرغم من مرور المئات من الاعوام ذلك هو يومك الخالد يا ابا عبد الله الذي ضربت فيه أمثالا بلغت اقصى حدود السمو في التضحية والفداء وأوضحت المعالم البارزة للسبل التي يجب ان تكون منهجا لعبور العقبات الصعاب فــي هذه الحياة فما اروع هذا الخلود وما اسمى معانيه لو برزت بوضوح حقائقها ورسمت دقائق خطوط اهدافها لترفع المشعل الوهاج للاجيــال المتعاقبة وتلتهم ثمرات تلك المآثر السامية وتستلهم منها الصبر والعقيدة لتحقيق الاهداف التي دعا اليها الاسلام وكافح من اجلها دعاته الاوفياء لتطهير الارض المقدسة من دنس الظالمين والغاصبين .

ما اروع يومك يا ابا عبد الله ويا ابا الشهداء ذلك اليوم الذي وقفت فيه تخاطب أنصارك وأهل بيتك قائلا : اما بعد فقد نزل بنا من الامر ما

قد علمتم وان الدنيا قد تغيرت وتنكرت وأدبر معروفها ولم يبق منها الا صبابة كصبابة الاناء وخسيس عيش كالمرعي الوبيل ألا ترون الى الحق لا يعمل به والى الباطل لا تناهى عنه ليرغب المؤمن في لقاء ربه محقا فاني لا ارى الموت الا سعادة والحياة مع الظالمين الا برما .

فكانت التضحية وكان الفداء الذي ادمى القلوب ومزقها وكان النصر حليفه فلقد استقامت بشهادتك يا ابا عبد الله أركان الاسلام وتبين الرشد من الغي وظلت كلمة لا اله الا الله محمد رسول الله التي حاربهـــــا الحزب الاموي مدوية في الفضاء خالدة في أجوائه خلود يومك .

لقد اراد لها يزيد بن ميسون الفناء بقتلك وأراد الله لك ولها البقاء فبقيت وبقيت مع التاريخ تستنير الاجيال بذكراك ويستلهم منها المخلصون سبل الثورة على الظلم والطغيان وبقي ذكر اولئك الطغاة عارا تتبرأ منه الاحفاد والاجيال وتتبعهم اللعنات ما دام التاريخ .

فما أصبرك يا ابا عبد الله وما اروع يومك حينما وقفت في ارض المعركة وحيدا لا ناصر لك ولا معين تتلفت يمينا وشمالا فلا ترى سوى اصحابك وبنيك واخوتك صرعى على ثرى الطف المديد والاعداء تحيط بك من كل نواحيك تحدق في خيامك الخالدة الا من النساء والاطفال والصراخ يتعالى من هنا وهناك وأنت تتلوى لهول ذلك المشهد وتلك الحشود الهائلة وقد شهرت أسنة رماحها في وجهك فتغمض عينيك من هول ذلك المنظر ومما حل ببيت الرسالة وأحفاد الرسول فلا تجد مــــن يأويهم ويكفلهم من بعدك .

ثم تتلفت الى أنصارك فلا ترى سوى الجثث المبعثرة من حولك فما أهوله من منظر وما ارزأها من مصيبة لم يحدث التاريخ بمثلها ومع كل ذلك فلم تلن لأولئك الطغاة ومضيت في ثورتك على الباطل ثورة الايمان بكل معانيه وأبعاده على الكفر بكل اباطيله تقول : والله لا اعطيكم بيدي اعطاء الذليل ولا أقر لكم اقرار العبيد وبقيت خالدا خلود الدهر .

لقد تمخضت مواقف الحسين بن علي (ع) يوم عاشوراء ذلك اليوم التاريخي من خلال ما ارتسم فيها من البطولات والصمود امام تلك الجحافل العاتية عن جلائل المعاني السامية وتجلت من سطورها الدامية روائع من صفحات الايمان الثابت والعقيدة المخلصة وطفقت تحمل في مشاعلها نزعة الانعتاق من ربقة الاستغلال والاستعباد واندفعت تخط للاجيال أبعاد الكفاح الثوري وترسم للعصور سمات الصمود والثبات وتدفع بالمناضلين المكافحين الى تعلقهم بما يرسمونه من تخطيط لمعتقداتهم الفكرية وما ينتهجونه من تحديد لمنطلقاتهم النضالية في المسار النضالي وما يحددونه من مواقف جريئة امام تحديات الحاكمين واستغلالهم لخيرات الشعوب وأرزاق العباد .

ان المسار الثوري الذي حفلت به ثورة الحسين (ع) لقد عزز الكثير من طموح الشعوب المستغلة من اجل انهاض هذه الشعوب وايقاد فتيل الثورة للاطاحة بالنظم المستبدة وايجاد المجتمعات السليمة التي تحقق للشعوب حريتها وكرامتها وطموحاتها في التخلص من الاستغلال وتطوير الحياة وما يضمن لتلك الشعوب أمنها ورفاهيتها .

ان ثورة الحسين تركت في دروب الاحرار المجاهدين والصامدين علامات مضيئة تنير مسالك الكفاح وتمهد الطريق الذي يمكن كل ثائر اذا اعتمد في الدرجة الاولى على نزعة السخاء بالارواح وبذل الأنفس من اجل العقيدة الثابتة ومن اجل مواقع الصمود للوصول الى النصر .

ان طرح الحسين الخالد لهذا السخاء العظيم بتقديمه نفسه وذويه وصحبه واستشهادهم الى جانبه مكن هذه الثورة من الديمومة والبقاء لتكون المنار لكل الثائرين الصامدين عبر مسيرات الانتفاضات الشعبية التي تحدث هنا وهناك ومكن لها الانتصار اذا اقترنت بالنزاهة والاخلاص وبمثل ذلك السخاء الذي قدمه الحسين وأنصاره من اجل الانسان وكرامته . لقد انتصر الحسين (ع) باستشهاده انتصارا لم يسجل

التاريخ انتصارا اوسع منه ولا فتحا كان ارضى لله منه ؛ وكان واثقا من هذا الانتصار ومن هذا الفتح كما كان واثقا من هزيمته عسكريا كما يبدو ذلك من كتابه الذي كتبه الى الهاشميين وهو في طريقه الى العراق فقد قال فيه: اما بعد فانه من لحق بي استشهد ومن تخلف لم يبلغ الفتح •

وكما ذكرنا فالفتح الذي يعنيه الحسين من كتابه الى الهاشميين هو ما احدثته ثورته من النقمة العامة على الامويين وما رافقها من الانتفاضات التي اطاحت بدولتهم •

(لقد شاء الله ان يراهن سبايا)

لقد كان محمد بن الحنفية شقيق الحسين في طليعة اولئك الذين حاولوا مع الحسين (ع) ان لا يستجيب لاهل العراق وأن يبقى بعيدا عنهم وقد ذكره مع من ذكروه بمواقفهم مع ابيه وأخيه وكان قد اشار عليه ان يذهب الى اليمن او بعض نواحي البر ولا يذهب الى الكوفة فوعده الحسين (ع) ان ينظر في الامر وفي مطلع الفجر من تلك الليلة اخبر ابن الحنفية ان الحسين (ع) قد تهيأ للخروج مع اخوته وبني عمومته ونسائه الى العراق فأقبل عليه وقد اشرف موكبه على التحرك فأخذ بزمام ناقته وهو يبكي واقل له : ألم تعدني النظر فيما سألتك فما حداك على الخروج عاجلا ؟ فرد عليه الحسين قائلا : لقد جاءني رسول الله بعد ما فارقتك وقال لي : لقد شاء الله ان يراك قتيلا فاسترجع ابن الحنفية وقال: اذا كان الامر كما تقول ، فما معنى حملك للنساء وأنت تخرج لهذه الغاية، فقال له : لقد شاء الله ان يراهن سبايا .

بهذا الجواب القصير وبهاتين الكلمتين بما لهما من المدلول الواسع

وبدون مواربة او تمويه اجاب الحسين اخاه محمد بن الحنفية وعينـاه تنهمر بالدموع والالم يحز في قلبه ونفسه ، وكما قال ابو عبد الله (ع) لقد شاء الله ان يراهن سبايا كما شاء ان يراه قتيلا موزع الاشلاء هو ومن معه من اسرته وأصحابه على ثرى الطف ، لان سبيهن بعده من بلد الى بلد لم يكن أقل اثرا على تلك الدولة الجائرة وعلى تلك الاسرة التي تكيد للاسلام من شهادته ان لم يكن أشد وقعا على نفوس المسلمين من استشهاده .

لقد كان لسبي النساء والاطفال والطواف بهن من بلد الى بلد اثرا من اسوأ الآثار على الامويين ودولتهم وكان الجزء المتمم للغاية التـــي ارادها الحسين من نهضته فلقد أثار الاحزان والاشجان فينفوس المسلمين وكشف اسرار الامويين وواقعهم السيء للقاصي والداني وأظهر قبائحهم ومخازيهم للعالم والجاهل وأوضح للمسلمين في كل مكان وزمان ان الامويين من ألد اعداء الاسلام يبطنون الكفر والالحـــاد ويتظاهرون بالاسلام رياء ودجلا ونفاقا . وفي الوقت ذاته فلقد كان سبيهم من جملة الوسائل لنشر الدعوة الى العلويين ومبدأ التشيع لاهل البيت ولعن من شايع وتابع وبايع على قتل الحسين ، وقد اشارت الى ذلك العقيلة الكبرى في قولها ليزيد بن ميسون في مجلسه بقصر الخضراء : فوالله ما فريت الا جلدك وما حززت الا لحمك .

لقد حملهم معه وهو على يقين بأن الامويين سيطوفون بهم في البلدان الى ان يصلوا بهن الى عاصمتهم الشام وسيراهم كل انسان مكشفـات الوجوه وفي أيديهم الاغلال والسلاسل وأكثر الناس سيقابلون ذلـــك بالنقمة على الامويين والاسف والحزن لآل بيت نبيهم الذي بعث رحمة للعالمين .

وجاء في كتاب المنتخب ان عبيد الله بن زياد دعا شمـــر بن ذي

الجوشن وشيت بن ربعي وعمرو بن الحجاج وضم اليهم الف فارس وأمرهم بايصال السبايا والرؤوس الى الشام .

ويدعي ابو مخنف انهم مروا بهم بمدينة تكريت وكان اغلب اهلها من النصارى فلما اقتربوا منها وأرادوا دخولها اجتمع القسيسون والرهبان في الكنائس وضربوا النواقيس حزنا على الحسين وقالوا : انا نبرأ من قوم قتلوا ابن بنت نبيهم فلم يجرأوا على دخول البلدة وباتوا ليلتهم خارجها في البرية .

وهكذا كانوا يقابلون بالجفاء والاعراض والتوبيخ كلما مروا بدير من الاديرة او بلد من بلاد النصارى . وحينما دخلوا مدينة لينيما وكانت عامرة يومذاك تظاهر اهلها رجالا ونساء وشيبا وشبانا وهتفوا بالصلاة والسلام على الحسين وجده وأبيه ولعن الامويين وأشياعهم وأتباعهم وأخرجوهم من المدينة وتعالى الصراخ من كل جانب ، وأرادوا الدخول الى جهينة من بلاد سوريا فتجمع اهلها لقتالهم فعدلوا عنها واستقبلتهم معرة النعمان بالترحاب بلدة المعري الذي يقول :

أليس قريشكم قتلت حسينا وصار على خلافتكم يزيد

وقال : وعلى الافق من دماء الشهيدين علي ونجله شاهدان .

وحينما اشرفوا على مدينة كفرطاب أغلق اهلها الابواب في وجوههم فطلبوا منهم الماء ليشربوا فقالوا لهم : والله لا نسقيكم قطرة من الماء بعد ان منعتم الحسين وأصحابه منه ، واشتبكوا مع اهالي حمص وكان اهلها يهتفون قائلين : اكفرا بعد ايمان وضلالا بعد هدي ، ورشقوهم بالحجارة فقتلوا منهم ٢٦ فارسا ولم تستقبلهم سوى مدينة بعلبك كما جاء في الدمعة الساكبة فدقت الطبول وقدموا لهم الطعام والشراب .

وجاء عن سبط بن الجوزي عن جده انه كان يقول : ليس العجب ان يقتل ابن زياد حسينا وانما العجب كل العجب ان يضرب يزيد ثنايـــاه بالقضيب ويحمل نساءه سبايا على أعقاب الجمال .

لقد رأى الناس في السبايا من الفجيعة اكثر مما رأوه في قتـــل الحسين وهذا ما اراده الحسين (ع) من الخروج بالنساء والصبيان ، ولو لم يخرج بهن لما حصل السبي الذي ساهم مساهمة فعالة في الهدف الذي اراده الحسين من نهضته وهو انهيار تلك الدولة الجائرة .

ولو افترضنا ان السيدة الكبرى زينب بنت علي وفاطمة بقيت في المدينة وقتل اخوها في كربلاء فما عساها تصنع وأي عمل تستطيعه غير البكاء والنحيب واقامة العزاء ؟ وهل كان يتسنى لها الدخول على ابن زياد لتقول له بحضور حشد من الناس : الحمد لله الذي أكرمنا بنبيه محمد وطهرنا من الرجس تطهيرا انما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر وهو غيرنا ثكلتك امك يا ابن مرجانة ، وهل كان بامكانها ان تدخل مجلس يزيـــد في قصر الخضراء وهو مزهو بملكه وسلطانه وتلقى تلك الخطب التـــي اعلنت فيها فسقه وفجوره ولعنت فيها آبائه وأجداده وقالت له فيما قالت: أمن العدل يا ابن الطلقاء تخديرك اماءك وحرائرك وسوقك بنات رسول الله من بلد الى بلد ، ولئن جرت على الدواهي مخاطبتك اني لاستصغر قدرك وأستعظم تقريعك ، الى غير ذلك من كلماتها التي كانت تنهال عليه كالصواعق وغيرت اتجاه الرأي العام نحوه ونحو بيته مما اضطره لان يتنصل من تلك الجريمة ويلعن ابن زياد ويحاول ان يحمله مسؤوليتها بعد ان بلغته آثار تلك المأساة في المدن والقرى التي مـــر بها موكب السبايا واللعنات التي كانت تنهال عليه وعلى اهل بيته ، وبعد ان رأى الوجوه تغيرت عليه حين وقفت في مجلسه ذلك الموقف التاريخي الذي

لا يزال حديث الاجيال بعد ان رأى ذلك وسمع ما احدثه موكب السبايا في نفوس الناس وقلوبهم وبخاصة بعد ان عرف الناس في عاصمته وخارجها ان هذا الموكب لآل الرسول وبناته جعل يتنصل من تلك الجريمة ويحمل أوزارها لابن زياد ومعاونيه . لقد كان باستطاعة يزيد ومعاونيه لو لم يتعرض لأسر النساء والاطفال وسبيهن من بلد الى بلد ان يموه على الناس ويقول لهم لقد نازعني الحسين ملكي وقاتلني فقتلته، ولكنه بعد ان صنع مع النساء والاطفال ما صنع من الاسر والسبي والامتهان ضاقت عليه الحجج والذرائع ولم يعد امامه الا ان يتنصل منها ويضع مسؤوليتها على غيره حيث لا يجديه التنصل ولا تستره الاعذار وقد أيقن بعدها الكثير من الناس بأنه كان في عمله هذا مسيرا لامويته الحاقدة على بيت محمد ورسالته ، ولو انه ترك النساء والاطفال بعد تلك المجزرة وشأنهم ولم يعاملهم بتلك المعاملة التي لم يعامل المسلمون بها اسرى المشركين ونسائهم لم يكن لجريمته كل ذلك الصدى الذي هز العالم الاسلامي بكل فئاته وطبقاته .

لقد كان الحسين يرى من وراء الغيب بأن شهادته وحدها لا تعطي النتائج المطلوبة ولا تحقق له جميع اهدافه ما لم تقترن بسبي النساء والاطفال والطواف بهن من بلد الى بلد ليتاح لشقيقته العقيلة ان تؤدي دورها ورسالتها فقال لاخيه ابن الحنفية وهو يتململ بين يديه باكيا حزينا: لقد شاء الله ان يراني قتيلا وأن يرى نسائي وأطفالي سبايا وكان على أمية وحفيدها يزيد بن ميسون لو كانت تملك ذرة من الوفاء والشرف ان تعود الى الوراء قليلا لترى ما فعله جد زينب والحسين وبقية العلويين والعلويات مع ابي سفيان وزوجته هند بنت عتبة التي مثلت بعمه الحمزة وأكلت من كبده وكيف عاملهما بالعفو والصفح وجعل لهما ما لم يجعله

لاحد من مشركي مكة وطواغيتها ؛ ورحم الله بعض الشعراء الذي ذهب يعاتب الامويين بقوله :

وعليك خزي يا أميـــــة دائـــم
يبقـــى كما في النار دام بقـــاك
فلقـــد حملت مـــن الآثام جهالة
ما عنـــه ضاق لمن دعاك دعـــاك
هـــلا صفحت عن الحسين ورهطه
صفح الوصي ابيـــه عـــن أبـاك
وعففت يوم الطف عفة جده المبعوث يوم الفتح عن طلقاك
أفهـــل يد سلبت اماءك مثلمـــا
سلبت كريمات الطفـوف يــــداك
ام هـــل برزن بفتـــح مكة حسرا
كنسائـــه يوم الطفـــوف نســاك

ورحم الله القائل في وصف السبايا :

وزاكية لم تلق فـــي النوح مسعـــدا
سوى انها بالسوط يزجرها زجـــر
ومذعـورة اضحت وخفاق قلبهـــا
تكاد شظاياه يطـير بها الذعــــر
ومذهولـــة من دهشة الخيل ابرزت
عشية لا كهف لديها ولا خـــــدر
تجاذبهـــا أيدي العدو خمارهـــا
فتستر بالأيـــدي اذا أعـوز الستر

سرت نتراماهـــا العداة سوافـــرا
يروح بها مصر ويغـــــدو بها مصر
تطوف بهـــا الاعداء في كل مهمـــة
فيجذبهـــا قفر ويقذفها قفـــــر

(بطولات الشباب في كربلا)

اذا كانت مطامح الشباب عيشا رغيدا ومستقبلا سعيدا حافلا بكل ألوان النعيم كما نشاهد ونرى فشباب كربلاء كانت كل امانيهم ومطامحهم صمودا في الاهوال وصبرا في البأساء واستشهادا بحد السيوف ، ولم يكن لتلك الفتوة الغضة والصبا الريان ان تهتم او تفكر بما أعد لها من غضارة الدنيا وما ينتظرها من صفو الحياة ولهوها ومتعها بل كان كـل همهم التطلع الى أي سبيل من سبل الشهادة يعبرون وأي موقف مـــن مواقف البطولات يقفون .

هناك وعلى مشارف العراق وفي الطريق الى كربلاء كان الحسين (ع) يسير على رأس قافلة الشباب الابطال متحديا اقوى سلطة وأبشع طغيان وأسوأ من عرفه التاريخ من الحاكمين متحديا كل ذلك بسبعين مـــن الرجال والشباب ليحطم بهذا العدد القليل قوى الشر والطغيان ومعاقل البغي والعدوان وليعلم ابناء آدم كيف يموتون في سبيل العـــزة والكرامة .

كان يسير ابو عبد الله على رأس تلك القافلة ممن اصطفاهم الله الى الشهادة التي لم يجد وسيلة غيرها تحفظ لشريعة جده مما كان يخططه لها الحزب الاموي الحاكم الذي سخر جميع طاقات الامة وامكانياتها وفئاتها للقضاء عليها .

كان يسير الى الشهادة ومن حوله عشرون شابا او اكثر من بنيه واخوته وأبناء اخيه الحسن السبط (ع) وأبناء اخته بطلة كربلاء وشريكته في الجهاد والتضحيات وأحفاد عمه عقيل بن ابي طالب وما اسرع ان كبَّر قائلا : الله أكبر ، ولم يكن الموقف موقف تكبير فلا بد وأن يكون تكبيره لأمر ما او لهم من همومه اراد ان يستنجد عليه بالله سبحانه واذا كان للتكبير روعته مهما كانت دوافعه وأسبابه فما احسب ان تكبيرا في تلك الساعة كان له من الروعة ما كان لتكبير الحسين (ع) وهو منطلق في تلك الصحراء المديدة الى الهدف الاسمى والغاية العليا تحت سماء العراق الصافية . على رأس ذلك الركب كبَّر الحسين فكانت تكبيرة لم يعرف التاريخ تكبيرا اكثر منها دويا ، تكبيرة اقتحمت تلك البيداء ومضت من صعيد الى صعيد تهز النفوس وتثير الضمائر الحية وتحض على الظالمين والعابثين بتراث محمد ورسالته .

وما كان لعلي الاكبر ابن العشرين الذي كان يسير الى جنب ابيه الا ان يسأل أباه لمَ كبَّرت يا أبتاه ؟ فقال له : لقد خفقت خفقة فعنّ لي هاتف وهو يقول : القوم يسيرون والمنايا تسير في اثرهم فعلمت ان نفوسنا نعيت الينا .

لقد كان جواب الحسين لولده موجزا وبكلمة واحدة لا مواربة فيها ولا تسويه انه الموت ينتظرنا على الطريق وسوف نموت ولا نستسلم الطغاة ولا نهادن الجور والتسلط على عباد الله والمستضعفين في الارض، مع انه لا سبيل لنا الى استنهاض ثورة عارمة تدك عروش اولئك الطغاة .

بقوتها المادية وتنتصر عليهم بقوة السلاح وكثرة الرجال .

ان سبيلنا الوحيد هو بين أيدينا ورهن ارادتنا وهو انـنكون وحدنا الثورة ومن غير المعقول ان تتغلب بهؤلاء السبعين على ألوفهم ونهزم بهم سبعين الفا من رجالهم ولكن باستطاعتنا ان نقلب الدنيا على رؤوسهم اذا ضحينا وقتلنا في سبيل الاسلام ورسالته .

وكان الحسين (ع) وهو يلقي كلماته هذه على ولده علي الاكبر ابن العشرين وأشبه الناس بجده الرسول الامين خَلقا وخُلقا يريد ان يسمع رأي ولده الاكبر ولم ينتظر الإمام طويلا حتى سمع جواب الشاب الذي بادره بقوله : يا أبتاه لا اراك الله سوء أولسنا على الحق ، هذا هو القول الفصل عند علي بن ابي طالب وأبنائه شيوخا وشبابا والقـــرار الاول والاخير انهم يسعون الى الحق ويعملون من اجله ويحاربون الباطـــل وحيث يكون الحق فهو هدفهم وغايتهم مهما كلفهم ذلك من جهـــود وتضحيات .

أولسنا على الحق يا أبتاه؟ هكذا كان جواب الاكبر ابن العشرين لابيه ، وكان رد الحسين عليه السلام : بلى والذي اليه مرجع العباد ، ورد عليه ولده بقوله : اذن لا نبالي بالموت ما دمنا نسوت محقين .

ان الحسين (ع) لم يكن ينتظر من ولده غير هذا الجواب ولكنه لم يتمالك الا ان يزهو بمثل هذه الروح التي يحملها شاب في مطلع شبابه فرد عليه قائلا : جزاك الله من ولد خير ما جزي ولدا عن والده .

ان علي الاكبر بكلماته هذه لم يكن يعبر عن نفسه وروحه خاصة بل كان يتكلم باسم الشباب العشرين من أحفاد ابي طالب وكان يعلن قرارهم الاخير الذي هاجروا من المدينة لاجله وكان في طليعة اولئك الشبـــاب العشرين العباس بن علي اكبرهم سنا وكان الحسين يحبه حب الاخ لاخيه والوالد لولده الوحيد وللعباس من المؤهلات والصفات الفاضلة ما جعله

محببا لكل عارفيه ، وكما تكلم الاكبر باسم الطالبيين جميعا فقد تكلم العباس باسمهم بمناسبة اخرى وبنفس الروح والعزيمة والاستهانة بالحياة التي كان يحملها الاكبر وذلك عندما عرض عليه ابن ذي الجوشن الامان لاتصال أمه أم البنين بنسبه فرد عليه العباس بعد ان أمره الحسين بالرد عليه قائلا : لعنك الله ولعن امامك أتؤمننا وابن رسول الله لا أمان له . ولقد كرروا تصميمهم على التضحية في سبيل الحق الذي يمثله الحسين مرة اخرى وذلك عندما جمع الحسين أنصاره وأهل بيته وأذن لهم بالانصراف وقال : ان القوم لا يريدون غيري وقد اذنت لكم بالانصراف في ظلمة هذا الليل فاتخذوه جملا وليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من اهل بيتي . وكان اول المتكلمين باسمهم جميعا العباس بن علي فقال : ولمَ نفعل ذلك لنبقى بعدك يا ابا عبد الله لا اراني الله ذلك ابدا، وتتابعوا جميعا على الكلام بنفس الروح واللغة التي تكلم بها العباس .

وفي اليوم العاشر من المحرم اليوم الحاسم الرهيب كان الشباب أحفاد ابي طالب يتسابقون الى الموت بأرواحهم الطيبة السخية بالبذل والفداء في سبيل الحسين ، وكما كان الاكبر يتكلم باسمهم ويعبر عما في نفوسهم وضمائرهم فقد كان اول شهيد من اولئك الشباب الابطال وحينما اقبل على المعركة قال :

انا علي بن الحسين بن علي نحن وبيت الله أولى بالنبي
والله لا يحكم فينا ابن الدعي

وتناولته السيوف والرماح بعد ان فتك بهم فتكا ذريعا وقتل نحوا من مائتين من فرسانهم وأبطالهم الاشداء وأدى للبطولة حقها وللشهادة كرامتها وتتابع الطالبيون من بعده شابا بعد شاب دفاعا عن الحق

والعقيدة وكرامة الانسان ومبادىء الاسلام مطمئنين بالمصير الذي أعد لهم والنصر المبين •

عشرون شابا من نسل ابي طالب وأحفاد محمد بن عبد الله رفضوا الذل والهوان ومشوا الى الموت بأنوف شامخة ورؤوس مرفوعة عالية لحماية الاسلام من الوثنية والجاهلية الرعناء التي حمل لوائها يزيد بن ميسون بعد ابيه معاوية وجده ابي سفيان عدو الاسلام الاكبر الذي ارغمه الاسلام على الاستسلام عام الفتح ووقف بين يدي محمد بن الله ذليلا يستجديه العفو والصفح • مشوا الى الموت يرددون مقالة جدهم ابي طالب وهو يخاطب ابا سفيان وحزبه يوم كانوا يطاردون النبي في مكة ويسومونه كل انواع العسف والجور ويساومون ابا طالب ليتخلى عنه وهو يقول لهم :

كذبتم وبيت الله نخلي محمدا ولما نطاعن دونه ونناضل
وننصره حتى نصرع حوله ونذهل عن ابنائنا والحلائل

ان ابا طالب حينما أنشد هذين البيتين لم يقصد بهما نفسه ولا جيله من الهشميين والطالبيين بل كان يقصد بهما كل هاشمي من نسله ويناشد كل جيل من أحفاده ان يضحي بنفسه وبكل ما لديه عندما يرى رسالة محمد معرضة للتحريف والتزوير والاستغلال كان يخاطبهم من وراء الغيب أينما وجدوا ليكونوا حماة لرسالة محمد ونهجه، وهكذا كان فلقد نفذوا جميع وصاياه وناضلوا وضحوا بأنفسهم من اجلها حتى استشهدوا حول الحسين تاركين للعالم وللتاريخ صورا ناصعة من الوفاء ودروسا غنية بالعطاء والمثل العليا تستلهم منها الاجيال كل معاني الخير والنبل والفضيلة •

لقد نفذ احفاد ابي طالب كل وصاياه ووقفوا في وجه اولئك الجلادين والفراعنة أحفاد ابي سفيان يناضلون ويدافعون عن رسالة محمد وتعاليم محمد بنفس الروح والعزيمة التي كان جدهما ابا طالب يدافع ويناضل بهما ويقول لابن اخيه :

والله لن يصلوا اليك بجمعهم حتى اوسد في التراب دفينـا
ولقد علمت بأن دين محمـد من خير اديان البريـة دينـا

ان ابا طالب الذي وقف الى جانب الدعوة ودافع وناضل عنها وعن صاحبها بكل ما لديه من مال وجاه وقوة منذ ان بزغ فجرها ولم يتنازل عن مواقفه منها بالرغم من مغريات قريش وجبروتها وفي الوقت ذاته كان يعلن بكل مناسبة بأن دين محمد من خير أديان البرية ويأمر بنيه ذويه بالسير على خطا باعثها وحاميها واعتناق الاسلام ، ان ابا طالب صاحب هذه المواقف الكريمة الخالدة لقد مات كافرا وفي ضحضاح من نار عند اخواننا اهل السنة ومعاوية وأبا سفيان اللذين لم يفارقا الاصنام ولم يتنازلا عن وثنيتهما لحظة واحدة كما تؤكد ذلك مواقفهما من الاسلام وحماة الاسلام في عشرات المناسبات ، ماتا مسلمين مؤمنين ومن عدول الصحابة . وعشرات الشواهد تدل على ان ابا طالب سلام الله عليه لا ذنب له عند الامويين ورواتهم ومحدثيهم الا انه والد الامام علي بن ابي طالب الذي ضعضع كبريائهم وداس عنصريتهم ووثنيتهم بقدميه في بدر وأحد والاحزاب ، وفضح مخططاتهم في سيرته وسلوكه وسياسته ، ولو استطاعوا ان يلصقوا به الشرك لم يقصروا ، ومع ذلك فقد وضع لهـم ابو هريرة وابن جندب وكعب الاحبار والزبيريون وابن شهاب الزهري عشرات الاحاديث في ذمه وتجريحه ولعنوه على منابرهم نحوا من مائة عام

ولكنهم كانوا بما اقترفوه في حقه كأنهم يأخذون بضبعه الى السمـــاء وكأنهم كانوا ينشرون جيف الحمير فيما وضعوه من الاحاديث في فضل بعض الصحابة والامويين على حد تعبير الشعبي وعبد الله بن عـروة لولديهما .

ومهما كان الحال فستبقى مواقف انصار الحسين وشباب كربـــلاء بالذات في سبيل الحق والمبدأ والعقيدة مثلا كريما لكل ثائر على الظلم والجور والطغيان الى حيث يشاء الله وسلام الله عليهم وعلى جدهـــم ابي طالب حين ولدوا وحين استشهدوا وحين يبعثون مع الانبيـــــاء والصديقين وشهداء بدر وأحد ورحمته وبركاته .

وتتمنى على شبابنا الذين ينشدون التحرر من الاستغلال والاستعباد وتسلط الحاكمين ان يرجعوا الى تعاليم الاسلام وسيرة اهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم من وثنية الامويين وعنصريتهم ومن كل ما هو غريب عن الاسلام وبعيد عنه وتتمنى عليهم ان يرجعوا ايضا الى مدرسة كربلاء ليقتدوا بشبابها الذين كانوا ثورة عارمة على الظلـــــم والتسلط والاستغلال واستعباد الانسان لاخيه الانسان وسيجدون فيها وفي الاسلام ما يغنيهم عن تلك المبادىء المستوردة من هنا وهناك والتي تنطوي على اسوأ انواع التسلط واستعباد الشعوب باسم الحريـــــة والعدالة والديمقراطية وما الى ذلك من الشعارات البراقة الجوفاء التي يتاجرون فيها لتضليل الشعوب والبريئين من الناس ومنه سبحانه نستمد لهم الهداية والوعي السليم ليدركوا ما تنطوي عليه تلك المبادىء مـن تضليل وهدم للقيم والاخلاق واستغلال للضعفاء انه قريب مجيب .

لقد اوصى الحسين اهل بيته بالصبر بعد ما استشهد جميع اصحابه ولم يبق معه الا اولئك الشباب من ولده وولد علي وجعفر وعقيـــــل والحسن السبط فاجتمعوا يودع بعضهم بعضا وهم في مطلع شبابهـم

كالاسود الضواري وأثبت من الجبال الرواسي :

كرام بأرض الفاخرية عرسوا فطابت بهم أرجاء تلك المنازل
اقاموا بها كالمزن فاخضر وعدها وأعشب من اكنافها كل ماحل
زهت ارضها من بشر كل شمردل طويل نجاد السيف حلو الشمائل
كأن لعزرائيل قد قال سيفه لك السلم موفورا ويوم الكفاح لي
حموا بالظبي دين النبي وطاعنوا ثباتا وخاضت جردهم بالجحافل
ولما دنت اجالهم رحبوا بها كأن لهم بالموت بلغة آمل
عطاشي بجنب النهر والماء حولهم يباح الى الوراد عذب المناهل
فلم تفجع الايام من قبل يومهم بأكرم مقتولا لالأم قاتل

ورحم الله من قال في وصفهم :

هم القوم من عليا لوي بن غالب بهم تكشف الجلى ويستدفع الضر
يحيون هندي السيوف بأوجه تهلل من لئلاء طلقها البشر
يلفون احاد الالوف بمثلها اذا حل من معقود راياتها نشر
بيوم به وجه المنون مقطب وحد المواضي باسم الثغر يفتر
اذا اسود يوم النقع اشرقن بالبها لهم اوجه والشوس الوانها صفر
وما وقفوا في الحرب الا ليعبروا الى الموت والخطي من دونه جسر
يكرون والابطال نكسا تقاعست من الخوف والأساد شيمتها الكر
الى ان ثووا تحت العجاج بمعرك هو الحشر لا بل دون موقفه الحشر
وماتوا كراما تشهد الحرب انهم اباة اذا الوى بهم حادث نكر
ابا حسن شكوي اليك وانها لواعج أشجان يجيش بها الصدر
أتدري بما لاقت من الكرب والبلا وما واجهت بالطف ابناؤك الغر

أعزيــك فيهم انهم وردوا الردى بأفئدة ما بــل غلتها قطــــر
فكم نكــأت منكم أميــة قرحة الى الحشر لا يأتي على جرحها السبر
فمن صبية قد أرضعتها أميــــة ضروع المنايـــا والدمــاء لها در
فها هي صرعــى والسهام عواطف حنـــوا عليها والرمال لها حجـر
وزاكية لم تلق في النوح مسعدا سوى انها بالسوط يزجرها زجـر
ومذهولة من دهشة الخيل ابرزت عشية لا كهف لديها ولا خـــــدر
تجاذبهـــا أيدي العدو خمارها فتستر بالايـــدي اذا اعوز الستر
سرت تتراماها العداة سوافـــرا يروح بها مصر ويغدو بهـــا مصر
تطوف بها الاعداء في كل مهمــه فيجذبها قفر ويقذفهـــا قفـــر

بطلة كربلاء زينب بنت علي (ع)

لقد تحدث الناس عن البطولات والابطال من النساء والرجـــال المعروفين بالجرأة والشجاعة ومقارعة الفرسان في المعارك التـي كانت المرأة تقف فيها الى جانب الرجل وتؤدي دورها الكامـل بنفس الروح والعزيمة التي كان الابطال يخوضون المعارك فيها ، وبلا شك فان اهل البيت (ع) يأتون في الطليعة بين أبطال التاريخ ، وان زينب ابنة علـي وفاطمة تأتي في الطليعة بعد ابيها واخوتها كما يشهد لها تاريخها الحافل بكل انواع الطهر والفضيلة والجرأة والصبر في الشدائد .

وليس بغريب على تلك الذات العملاقة التي التقت فيها الانـوار الثلاثة : نور محمد وعلي وفاطمة ومن تلك الانوار تكونت شخصيتها ان تجسد بمواقفها خصائص النبوة والامامة وأمها الزهراء التـي امتازت بفضلها على نساء العالمين .

ان اللسان ليعجز وان اللغة على سعة مفرداتها لتضيق عن وصفها وعن التعبير عما ينطوي عليه الانسان من الشعور نحو المرأة الكبيرة والقدوة

العظيمة ابنة علي والزهراء التي عز نظيرها بين نساء العرب والمسلمين بعد أمها البتول سيدة النساء التي ابتسمت للموت حين بشرها به الرسول الامين في الساعات الاخيرة من حياته وقال لها : انت اول اهل بيتي لحوقا بي •

ان الالمام بحياة بطلة كربلاء في عهود الطفولة والصبا والامومة وكيف نشأت طفلة وشابة برعاية امها الزهراء وأبيها الوصي وفي بيت زوج كريم من كرام أحفاد ابي طالب . وبعد ان اصبحت أما لأسرة غذتها بتعاليم الاسلام وأخلاق امها وأبيها يضطرنا الى التطويل الذي يعرض القارىء للملل في الغالب ، وفي الوقت ذاته فان الحديث عن بطولاتها التي لا تزال حديث الاجيال والتي تجلت في رحلتها مع اخيها تاركة بيتها تحت الخطا خلفه في رحلته الى الشهادة لتعلم الرجال والنساء كيف يموتون في مسلكة الجلادين يضع بين يدي القراء صورة كريمة عن ذلك الغرس الطيب وعن مراحل نموه حتى بلغ الى هذا المستوى من النضوج والقدرة على الثبات والصمود في وجه تلك الاحداث التي لا يقوى على تحملها احد من الناس •

ومهما كان الحال فلعلنا بعد هذا الفصل نتوقف لإعطاء فكرة كافية عن ذلك الغرس الطيب وكيف نما وتكامل نموه حتى بلغ أشده ونهض بأعباء المسؤولية العظمى وأدى دوره الكامل عندما وقعت تلك المأساة الكبرى التي حلت بالعلويين والطالبيين رجالا ونساء على تراب كربلاء، وكيف استطاعت ان تتحمل تلك الصدمة وتقوم بدورها الكامل بالحكمة والصبر الجميل ذلك الدور الذي يمثل اسمى درجات البطولة وأغناها بالقيم والمثل العليا ، لعلنا بعد هذه اللمحات عن مواقفها في كربلاء نتحدث في فصل مستقل عن مراحل حياتها التي أهلتها لتلك المواقف التي لا تزال حديث الاجيال •

لقد ثبتت في ذلك الموقف كالطود الشامخ تاركة على تراب كربلاء آثار مسيرتها ومواقفها بين تلك الضحايا التي لا تزال حديث الاجيال ومثلا كريما لكل ثائر على الظلم والجور وللمرأة التي تعترضها الخطوب والشدائد خلال مسيرتها في هذه الحياة .

لقد كان عويل النساء وصراخ الصبية وضجيج المنطقة كلها بالبكاء والنياحة كفيلا بأن يهد اقوى الاعصاب ويخرس أفصح الالسنة والخطباء ويقعد بأكبر الرجال ولو لم يكن يتصل بتلك الضحايا بنسب او سبب ، فكيف بمن رأى ما حل بأهله وبنيه واخوته وأبناء اخوته وعمومته وأحس بثقل المسؤولية وجسامتها ، ولكن ابنة علي ذلك الطود الاشم الذي كان أثبت من الجبال الرواسي في الشدائد كانت تجسد مواقف ابيها في كل موقف تتزلزل فيه أقدام الابطال وبقيت ليلة العاشر من المحرم ساهرة العين تجول بين خيام اخوتها وأصحابهم وتنتقل من خيمة الى خيمة وهم يستعدون لمقابلة ثلاثين الف مقاتل قد اجتمعوا لقتال اخيها وبنيه وأنصاره ورأت اخاها العباس جالسا بين اخوته وأحفاد ابي طالب وهو يقول لهم : اذا كان الصباح علينا ان نتقدم للمعركة قبل ان يتقدم اليها الانصار لان الحمل الثقيل لا ينهض به الا اهله .

وفي طريقها الى خيام الانصار سمعت حبيب بن مظاهر يوصيهم بأن يتقدموا الى المعركة حتى لا يرون هاشميا مضرجا بدمه ، وسمعت الانصار يقولون : ستجدنا كما تريد وتحسب يا ابن مظاهر ، فانطلقت نحو خيمة اخيها الحسين(ع) وهي تبتسم وقد غمرها السرور وطفا منه على وجهها اثر رد عليه لمحة من بهائه وصفائه ومضت تريد اخاها الحسين لتخبره بما رأت وسمعت من اخوتها والانصار وما هي الا خطوات حتى رأته مقبلا فابتسمت له وتلقاها مرحبا وقال لها : منذ ان خرجنا من المدينة ما رأيتك مبتسمة ولا ضاحكة فما الذي رأيت ، فقصت عليه ما سمعته من

الهاشميين وأنصارهم وظلت العقيلة ليلتها تلك ساهرة العين تنتقل من خيمة الى خيمة ومن خباء الى خباء بين النساء والاطفال واخوتها حتى اذا اقبلت ضحوة النهار وسقط اكثر انصار اخيها ومن معه من بنيه واخوته وأبناء عمه على ثرى الطف ، ورجع الحسين للوداع الاخير وزينب الى جانبه كالمذهولة قال لها : مهلا اخية لا تشقي علي جيبا ولا تخمشي علي وجها ولا تشمتي بنا الاعداء ، وأوصاها بالنساء والاطفال ، فقالت له : طب نفسا وقر عينا فانك ستجدني كما تحب ان شاء الله .

ولما سقط عن جواده صريعا اسرعت الى مصرعه وصاحت تستغيث بجدها وأبيها وأوشكت الصرخة ان تنطلق من حشاها اللاهب عندما رأت رأسه مفصولا عن بدنه والسيوف والسهام قد عبثت بجسمه وقلبه ورأت اخوتها وبنيها وأبناء عمومتها من حوله كالاضاحي ومعها قافلة من النساء والاطفال وأمامها صفوف الاعداء تملأ صحراء كربلاء فرفعت يديها في تلك اللحظات الحاسمة نحو السماء لتند عن فمها عبقة من فيض النبوة والخلود تناجي ربها وتتضرع اليه قائلة : اللهم تقبل منا هذا القربان .

وهكذا كان على العقيلة ان تنفذ وصية اخيها وتثبت في وجه تلك الاهوال وأن تحمل قلبا كقلب ابيها في غمار جولاته وتقف كالطود الشامخ في وجه اولئك الذين وقفوا الى جانب يزيد بن ميسون وجلاديه الممعنين في انتهاك الحرمات والمقدسات والذين باعوا ضمائرهم لاولئك الطغاة الجناة بأبخس الاثمان .

ويقطع الحادي الطريق من كربلاء الى الكوفة والسبايا على اقتاب الجمال تتقدمهم رؤوس سبعين من الانصار وعشرين من أحفاد ابي طالب بينهم رأس الحسين سيد شباب اهل الجنة ، وما ان أطل موكب السبايا والرؤوس ودنت طلائعه من مداخل الكوفة حتى ازدحم الناس في الطرقات ومن على المشارف والنساء على سطوح المنازل ولم يكن نبأ

مصرع الحسين قد انتشر في جميع اوساط الكوفيين وأشرفت امرأة من على سطح بيتها فرأت نساء كالعاريات لولا أسمال من الثياب تقنعـــن بها فظنت المرأة انهن من سبايا الروم او الديلم وأرادت ان تستوثـــق لنفسها من الظن فطالما كانت ترى مواكب من سبايا الروم والترك تمر بالكوفة لم تر مثل ما رأت على هذا الموكب من الحزن واللوعة ، ولم تر قبل اليوم اسرى مع تلك المواكب من الصبيان يشدون بالحبال علـــى اقتاب الجمال كما رأت في هذا الموكب فأدنت المرأة رأسها من احدى السبايا وقالت لها : من أي الاسارى انتن ؟ فردت عليها والالم يقطـع أحشاءها : نحن اسارى آل بيت محمد رسول الله .

وما كادت المرأة تسمع قولها حتى خرجت مولولة معولة وكادت ان تسقط من على سطحها من هول الصدمة والتفتت الى النساء اللواتي على سطوحهن وقالت : انهن نساء اهل البيت ، فتعالى الصياح عند ذلك من كل جانب حتى ارتجت الكوفة بأهلها ولفت نواحيها صرخات متتالية كأنها العواصف في أرجائها والتف النسوة بالموكب يقذفن عليه الارز والمقانع ليتسترن بها بنات علي وفاطمة عن أعين الناس وغصت الطرقات بالنساء والرجال يبكون ويندبون فالتفتت ابنة علي وفاطمة اليهم ببصرها النافذ وقالت :

يا اهل الكوفة يا اهل الغدر والختل والمكر أتبكون فلا رقأت الدمعة ولا هدأت الرنة انما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا وهل فيكم الا الصلف وملق الاماء وغمـــز الاعداء الا ساء ما قدمت لكم انفسكم ان سخط الله عليكم وفي العذاب انتم خالدون فابكـــوا كثيرا واضحكوا قليلا فلقد ذهبتم بعارها وشنارها بعد انقتلتم سليـــل خاتم النبوة ومعدن الرسالة وسيد شباب اهل الجنة .

ويسير الموكب متخطيا تلك الحشود من الرجال والنساء الـــى قصر

الامارة ليضعها مجلس ابن مرجانة فتجلس متنكرة مطرقة يحف بها موكب النسوة في ذلك المجلس الذميم وهو ينظر اليها ببسمة الشامت المنتصر ويسأل من هذه المتنكرة فلا ترد عليه احتقارا وازدراء لشأنه ، وأعاد السؤال ثانيا وثالثا فأجابته بعض امائها : هذه زينب ابنة علي ، فانطلق عند ذلك بكلمات تنم عن لؤمه وحقده وخسته قائلا : الحمد لله الذي فضحكم وأكذب أحدوثتكم ، فردت عليه غير هيابة لسلطانه ولا لجبروته قائلة : الحمد لله الذي اكرمنا بنبيه وطهرنا من الرجس انما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر وهو غيرنا ثكلتك امك يا بن مرجانة .

فقال لها وقد استبد به الحقد والغضب : كيف رأيت صنع الله بأخيك وأهل بيتك ؟ قالت : ما رأيت الا جميلا ، اولئك قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا الى مضاجعهم وسيجمع الله بينك وبينهم وتختصمون عنده وستعلم لمن الفلج ثكلتك امك يا بن مرجانة .

ويأبى له حقده وصلفه الا ان يتناول قضيبا كان الى جانبه ليضربها به ، ولكن عمرو بن حريث احد جلاوزته نظر الى الوجوه قد تغيرت على ابن مرجانة وأيقن ان عملا من هذا النوع سيلهب المشاعر لاسيما وان النفوس قد اصبحت مشحونة بالحقد والكراهية ومهيأة للانفجار بين الحين والآخر لما حل بالحسين وبنيه وأصحابه فحال بين ابن مرجانة وما اراد فرمى القضيب من يده وعاد يخاطبها بلغة الشامت الحاقد ويقول لها: لقد شفى الله قلبي من طاغيتك الحسين والعتاة المردة من اهل بيتك ، فبكت عند ذلك وقالت : لعمري لقد قتلت كهلي وقطعت فرعي واجتثت اصلي فان يكن في ذلك شفاؤك فقد اشتفيت .

ثم يأتيه البريد بكتاب يزيد يأمره ان يحمل السبايا والرؤوس والاطفال الى قصر الخضراء في دمشق عاصمة الجلادين ، ويسير الحداة بموكب السبايا الى حيث ابن ميسون في اعتساف وارهاق في الليل

والنهار ليقطع موكب الرؤوس والسبايا مسافة ثلاثين يوما في عشرة ايام، ويضم العقيلة مجلس يزيد ورأس الحسين بن علي والزهراء بين يديه ينكث ثناياه بمخصرته ويتمثل بقول القائل :

ليت اشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الاسل
لأهلوا واستهلوا فرحا ثم قالوا يا يزيد لا تشل
لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل
لست من خندق ان لم أنتقم من بني احمد ما كان فعل

وكان على زينب وقد رأته بتلك الحالة فرحا مسرورا يتمثل بهذه الابيات التي تعبر عن حقده وتعصبه لجاهلية جده وأبيه ووثنيتهما ويعبث بثنايا ابي عبد الله الحسين بمخصرته ان تتكلم بين تلك الحشود المجتمعة في مجلسه لتحرق دنيا سروره وفرحه بكلماتها التي كانت أشد وقعا عليه من الصواعق ولتضع الكثيرين ممن كانوا يجهلون مكانة الاسرى ولا يعرفون عنهم شيئا في جو تلك الاحداث وافتتحت كلامها بعد حمد الله بقولها : أظننت يا يزيد حيث اخذت علينا أقطار الارض وآفاق السماء وأصبحنا نساق كما تساق الاسارى ان بنا على الله هوانا وبك عليه كرامة . ومضت في حديثها وأبصار تلك الحشود المحيطة بيزيد شاخصة اليها تذكرهم بمنطق ابيها ومواقفه بين المعسكرين في صفين حينما كان يخاطب معاوية وحزبه ويناشدهم الرجوع عن غيهم وضلالهم الى حظيرة الاسلام وعدالته السمحاء .

ومضت تقول : أمن العدل يا ابن الطلقاء تخديرك اماءك وحرائرك وسوقك بنات رسول الله سبايا قد هتكت ستورهن وأبديت وجوههن تحدو اليهن الاعداء من بلد الى بلد ويستشرفهن اهل المناهل والمعاقل

ويتصفح وجوههن القريب والبعيد والدني والشريف وتتمنى حضور آباءك قائلا :

ليت اشياخي ببـــدر شهـــدوا   جزع الخزرج من وقـــع الاســل
لأهلـــــوا واستهلوا فرحــــا   ثم قالـــوا يا يزيد لا تشـــل

منحنيا على ثنايا ابي عبد الله سيد شباب اهل الجنة تنكثها بمخصرتـك وستردن وشيكا موردهم وتودن انك شللت وبكمت ولم تكن قلت مـا قلت وفعلت ما فعلت ، ومضت في خطابها توجه اليه اسوأ انواع التحقير والتقريع حتى سيطرت على المجلس بمنطقها وأسلوبهـــا الرائع ، وراح الناس يتهامسون ويتلاومون وبكى بعضهم لهـــول المصاب وجسامته ، واستطردت العقيلة تقول : ولئن جرت على الدواهي مخاطبتك انـــي لأستصغر قدرك وأستعظم توبيخك ، ألا فالعجب العجب لقتل حزب الله النجباء بحزب الشيطان الطلقاء .

لقد دخلت زينب ابنة علي وفاطمة الى عاصمة الجلادين برسالتهـــا رافعة صوتها الى كل من لهم عهد مع اهل هذا البيت وكل من آمنـوا برسالة محمد في عصر وجيل وأرض ووراءها قافلة من الاسرى وصفوف الاعداء من امامها تملأ الافق وتسد طريقها وكانت مسؤوليتها التاريخية الكبرى هي اكمال الرسالة واتمام المسيرة ولسانا لمن قطعت ألسنتهـم سيوف الجلادين ودخلت مدينة الجريمة عاصمة القهر والبطش والتنكيل بالابرياء وهناك رفعت صوتها المدوي في أعماق التاريخ لتقول لابـن ميسون مستخفة به بكل ما في الاستخفاف والاحتقار من معنى .

(ولئن جرت على الدواهي مخاطبتك اني لاستصغر قدرك)

انها الدواهي التي لا تترك للانسان رأيا ولا اختيارا وتسيطر على كل مشاعره وأحاسيسه هي التي فرضت علي ان أخاطبك يا بن ميسون ويا ربيب الشرك والوثنية ولولا تلك الدواهي الجسام لما خاطبتك ولا يمكن لذكرك ان يمر في خاطري ولو بما هو فيك من صلف وخسة ونـــزق ووحشية . هذا الذي تعنيه بطلة كربلاء بقولها لذلك الجبار الاحمق الذي تمنى حضور أشياخه من أمية ومشركي مكة ليشاهدوا رأس الحسين بين يديه وليشاطروه الفرح والسرور وهو ينكث ثناياه بمخصرته ، هذا الذي كانت تعنيه من قولها ولئن جرت على الدواهي مخاطبتك وحضـــــور مجلسك .

ان مأساة العقيلة ابنة علي والزهراء تشكل الشطر الثاني من مأساة اخيها الحسين فمن صبر لا يطيقه احد من الناس الى رعاية تلك القافلة من السبايا والايتام ونضال دون البقية الباقية من آل الرسول واحتجاج

وخطب واستنكار لسحق القيم وكرامة الانسان ومحو الرسالة من الاذهان ومتابعة المسيرة التي قام بها اخوها الحسين وبهذا وذاك لقد ألبت المسلمين على الطغاة والظالمين وضعضعت كبرياء الحاكمين المستبدين وخلدت ذكرى تلك المعركة التي اقلقت آل أمية وغيرهم من الظلمة وفراعنة العصور وخطت هي واخوتها بأحرف من النور الوهاج الذي يبدد ظلمات الليل البهيم على تراب كربلاء وفي كل موقف وقفوه مع اولئك الجبابرة والجلادين .

(ان دولة الباطل ساعة ودولة الحق الى قيام الساعة)

لقد شاركت اخاها الحسين في جميع مواقفه من الظالمين ورجعت من كربلاء حاملة لرسالة ابيها وأخيها لتبلغها للاجيال من الرجال والنساء من الاجيال في كل ارض وزمان بالرغم من ضجيج الجلادين ووعيدهم وكانت القدوة التي تعلم الاجيال من سيرتها وبطولاتها معاني الرجولة . وتعلم النساء كيف يتخلصن من فتن الاغراءات الخبيثة التي تدلهم من حولهن ومن دهاليز الحضارة الجديدة التي تقتحم العصور بمفاتنها ومغرياتها لتستل منها اخلاقها ومعتقداتها وأعرافها .

فأين من زينب وأخوات زينب نساءنا وبناتنا الضائعات في تلك المتاهات ايمانا وعزيمة وصبرا في الشدائد والاهوال وتمسكا بالقيم وتعاليم الاسلام والاخلاق الكريمة الفاضلة .

وأين من الحسين وأنصاره من يدعون التشيع للحسين وأبيه وأبنائه، وقد باعوا انفسهم لمن يحملون روح يزيد ومعاوية بأبخس الاثمان كما باعها أسلافهم لمعاوية وأمثال معاوية من الحاكمين والجلادين من قبل .

ان الاحداث الجسام التي اعترضت حياة العقيلة ابنة علي والزهراء في معركة كربلاء وما تلاها من المواقف آلفتت اليها الانظار وجعلتها في طليعة الابطال ومن شركاء الحسين (ع) في جميع مواقفه من اولئك الطغاة ، فتحدث عنها المؤرخون وأصحاب السير في مجاميعهم والكتاب المحدثون في مؤلفاتهم ، وأشاد الخطباء بفضلها ومواقفها من على المنابر ونظم الكثير من الشعراء القصائد الرنانة في وصف احزانها وأشجانها وصبرها وثباتها ونذكر على سبيل المثال ما جاء في وصف حالتها من قصيدة لاحد شعراء الطف السيد محمد حسين الكشوان رحمه الله يقول فيها :

اهوت على جسم الحسين وقلبها　　المصدوع كاد يذوب من حسراتها
وقعت عليه تشم موضع نحره　　وعيونها تنهل في عبراتها
ترتاع من ضرب السياط فتنثني　　تدعو سرايا قومها وحماتها
اين الحفاظ وهذه أشلاؤكم　　بقيت ثلاثا في هجير فلاتها
اين الحفاظ وهذه فتياتكم　　حملت على الاقتاب بين عداتها
ومخدرات من عقائل احمد　　هجمت عليها الخيل في ابياتها
حملت برغم الدين وهي ثواكل　　عبرى تردد بالشجى زفراتها

وله من قصيدة اخرى في وصفها عندما شاهدت اخاها صريعا على

ثرى الطف وقد عبثت سيوف الاعداء ورماحهم بجسمه وأعضائه :

وهاتفة من جانب الخدر ثاكــــل بدت وهي حسرى تلطم الخد باليد
يؤلمها قــرع السياط فتنثنــــي تحن فيشجــــي صوتها كل جلمد
وسيقت على عجف المطايــا اسيرة يطاف بها في مشهد بعد مشهــــد
سرت تتهاداها علــوج أميـــــة فمن ملحد تهدي الى شر ملحــد

ورحم الله هاشم الكعبي الذي هيمن عليه الولاء لاهل البيت وانتقل به من عالمه ودنياه الى عالم الثواكل في كربلاء فشعر بشعورهن وأحس بأحاسيسهن حتى اصبح مثلهن ثاكلا يندب وينوح بعبرات تحيي الثرى وزفرات تدع الرياض همودا فقال في وصف زينب وأخواتها بعــد ان انجلت المعركة عن تلك المجزرة الرهيبة :

وثواكل في النوح تسعد مثلهــا أرأيت ذا ثكل يكون سعيـــــدا
ناحت فلم تر مثلهن نوائحـــــا اذ ليس مثل فقيدهــن فقيـــــدا
لا العيس تحكيهــا اذا حنت ولا الورقاء تحسن عندها الترديـــــدا
ان تنع اعطت كــــل قلب حسرة او تدع صدعت الجبال الميـــــدا
عبراتها تحي الثرى لو لــــم تكن زفراتها تدع الرياض همـــــودا
وغدت اسيرة خدرها ابنة فاطـم لم تلق غــير أسيرها مصفـــــودا
تدعو بلهفة ثاكـــل لعب الاسى بفؤاده حتـــى انطوى مفـــؤدا

تخفي الشجا جلدا فان غلب الاسى ضعفت فأبدت شجوهــا المكمودا
نادت فقطعت القلوب بشجوهــا لكنما انتظم البنيـــان نريـــــدا
انسان عيني يـــا حسين اخـــي يا املي وعقــد جماني المنضــودا

ما بعد مجزرة كربلاء

لقد احدثت تلك المجزرة هزة عنيفة في العالم الاسلامي لم يعـرف المسلمون في تاريخهم الحافل بالاحداث أعنف منها او مثلها ولا حادثا من الاحداث كان له من الآثار العميقة في النفوس والعقائد والحياة السياسية والاجتماعية والادبية ما كان لمجزرة كربلاء •

لقد تركت تلك المجزرة صدمة في نفوس المسلمين لم يحدث التاريخ بمثلها وألهبت مشاعر المسلمين ولا تزال ذكراها تلهب المشاعر وتثـير الاحاسيس حتى يومنا الحالي وستبقى لها تلك الآثار ما دام التاريـخ وأصبح التشيع بعدها عقيدة ممزوجة بالدماء متغلغلة في النفوس بعد ان كان عقيدة هامدة تنقصها الحماس وشتان بين العقيدة الهامدة والعقيدة الممزوجة بالحماس والدماء ، وغدت ذكرى تلك المجزرة الرهيبة الملطخـة بدماء آل بيت الرسول كافية لان تثير عاطفة الحماس والحزن في قلوب الناس في مختلف العصور ومنبعا لكل ما يلهب النفوس وحتى للأخيلـة والاقاصيص •

ولا احسب ان في كل ذلك شيئا من الغلو والغرابة لان المسلمين على

ما بينهم من خلافات في النزعات والاتجاهات يقـدرون للحسين (ع) مكانته من الاسلام وسلالته بجده صاحب الرسالة وقد سمعوا منه الكثير الكثير مما كان يقوله فيه وفي اخيه الحسن وكيف كان يعامله في مجالسه العامة والخاصة ؛ ورأوه احيانا وكأن الغيب قد تكشف له عن مصـــيره يبكـــــي لحاله ولما يجري عليه ، وكانوا يبكون لبكائه ، فليس بغريب اذا ألهب مصرعه على النحو الذي وقع عليه المشاعر وأرهف الاحاسيس وأطلق الألسن وترك في نفوس المسلمين اثرا حزينا داميا يجمع القلوب حول هذا البيت المنكوب :

وأي رزيـــة عدلت حسينـــا غـــداة تبينه كفـــا سنان

نعم ليس بغريب اذا استعظم الناس على اختلاف ميولهم ونزعاتهم هذا التنكيل الشائن بعترة الرسول الامين (ص) وسلالته وفلذات كبده وقرة عينه ورأوا فيه كفرانا لحقه وتعريضا لغضبه وامتهانا لكرامته وقال قائلهم:

ماذا تقولون اذ قال النبي لكـــم ماذا فعلتم وأنتم اخر الامـــــم
بعترتي وبأهلـــي بعد مفتقـــدي نصف اساری ونصف ضرجوا بدم
ما كان هذا جزائي اذ نصحت لكم ان تخلفونـــي بشر في ذوي رحـــم

فبهذا وأمثاله قامت النائحات في جميع العواصم والبلاد الاسلامية يندبن الحسين ومن قتل معه من بنيه واخوته وأنصاره ويبكين لمصارعهم وما جرى لهم من حفيد هند وأبي سفيان وجلاديه وانطلقت الالســـن الشاعرة ترثيه وتصور اسف النبي (ص) وهو في قبره وحزنه العميق على سبطه واحتجاجه على أمته التي لم تحفظ له حقا ولم ترع له حرمة وتلقي على الامويين مسؤولية جريمتهم ومروقهم من الدين وانتهاكهم لجميـــع الحرمات والمقدسات •

لقد هال الناس هذا الحادث الجلل حتى الامويين انفسهم فأقض المضاجع وأذهل العقول وارتسم في الاذهان حتى اصبح الشغل الشاغل للجماهير وحديث النوادي ومسرحا خصبا للتخيلات وادعى الناس في المدينة وغيرها ان الجن كانت تنوح على الحسين وانهم سمعوا هاتفا يقول كما جاء في الطبري وابن الاثير :

ايها القاتلون جهلا حسينا	ابشروا بالعذاب والتنكيل
كل اهل السماء يدعو عليكم	من نبي وملاك وقبيل
قد لعنتم على لسان بن داود	وموسى وصاحب الانجيل

وراحوا يتصورون لمدة شهرين او اكثر كأن الحيطان ملطخة بالدماء ساعة تطلع الشمس حتى ترتفع كما نص على ذلك الطبري في تاريخه .

ورووا عن النوار زوجة خولي بن يزيد الاصبحي انها قالت لزوجها ليلة دخل الكوفة برأس الحسين وأدخله عليها : لقد جاء الناس بالذهب والفضة وجئتني برأس الحسين ، وكان قد وضعه تحت اجانة في صحن الدار فقامت من فراشها غضبى وخرجت الى الدار فرأت نورا يسطع مثل العسود من السماء الى الاجانة وطيورا بيضاء تتهاوى من السماء وترفرف حولها .

كما استغل الشعراء هذا الحادث المفجع فرووا حوله شتى الاحاديث وصاغوها بألوان شعرية دامية يصدرها قلب مكلوم ثائر حزين يدعو الى الثورة العارمة بعنف وصرامة ويسجل تلك الاحزان العلوية بأسف ولوعة مناديا بالثارات الحسين وغلبت على الادب الشيعي والشعر الشيعي وبخاصة العراقي منه هذه النزعة الحزينة الباكية ، وغدوا امام ادب تبعثه عاطفتان بارزتان عاطفة الحزن وعاطفة الغضب تصدره الاولى حزينا باكيا وتبعثه الثانية قويا ثائرا ومن هذه النماذج التي حفظها لنا تاريخ تلك

الفترة ما رواه الرواة عن عبد الله بن الحر الجعفي ، الذي زار المعركـة بعد ايام من حدوثها وهو يتلوى اسفا ولوعة ويتمنى لو انه وفق لنصرته والاستشهاد بين يديه وأنشد على قبر الحسين (ع) :

يقول امير غادر حـــق غـــادر ... الا كنت قاتلت الحسين بن فاطمـه
فيا ندمي ألا اكـــون نصرتـه ... الا كـل نفس لا تسدد نادمـــه
وانــي لاني لـم اكن من حماته ... لذو حسرة ما ان تفارق لازمـه
سقى الله ارواح الذيـن تآزروا ... على نصره سقيا من الغيث دائمـه
وقفت على أجداثهم ومجالهـــم ... فكاد الحشى ينقض والعين ساجمه
لعمري لقد كانوا مصاليت في الوغى ... سراعا الى الهيجا حماة خضارمـه
تأسوا لمعى نصر ابـن بنت نبيهم ... بأسيافهم اساد غيل ضرا غمـــه
وما ان رأى الرائون افضل منهم ... لدى الموت سادات وزهرا قماقمـه
أتقتلهـم ظلما وترجو ودادنـــا ... فدع خطة ليست لنا بملائمـــه
لعمري لقد راغمتمونا بقتلهـــم ... فكم ناقم منا عليكـم وناقمـــه
اهم مرارا ان اسير بجحفـــل ... الى فئة زاغت عن الحق ظالمـــه
فكفوا والا زرتكـــم بكتائب ... اشد عليكم من زحوف الديالمـــه

ومن هؤلاء الذين أحسوا بأخطار تلك الجريمة النكراء رضي بن منقذ العبدي فقال :

ولو شاء ربي ما شهدت قتالهـم ... ولاجعل النعماء عندي ابن جابر [1]

---

١ ــ لقد كان كعب بن جابر احد جنود الجيش الذي شارك في حرب الحسين (ع) ، فقالت له زوجته بعد ان رجع من المعركة اعنت علي ابن فاطمة وقلت سيد القراء وكان قد قتل برير سيد القراء في الكوفة لقد اتيت عظيما من الامر والله لا اكلمك من راسي كلمة ابدا ، فأجابها بأبيات يفتخر فيها بفعله وضمنها بيتا يذكر فيه انه انقذ رضي بن منقذ من القتل حيث اعانه على قتل خصمه .

لقد كان ذاك اليوم عارا وسبة   تعيره الابناء بعد المعاشر
فيا ليت اني كنت من قبل قتلة   ويوم حسين كنت في رمس قابر

لقد أحس المسلمون على اختلاف ميولهم واتجاهاتهم بالندم والخيبة لخذلانه وعدم مناصرته ؛ وحتى الذين قاتلوه وقادوا المعركة ضده كانوا يبكون ويندبون مصيرهم السيء فقد جاء عن عمر بن سعد الذي قاد تلك المعركة انه كان يقول : لا تسل عن حالي فانه لم يرجع غائب عن منزله بأشر مما رجعت به فلقد قطعت القرابة القريبة وارتكبت الامر العظيم وحتى ان يزيدا بكى وندم على قتله وكلما ذكر الحسين كان يقول : وما عليّ لو احتملت الاذى وأنزلت الحسين معي في داري وحكمته فيما يريد وان كان علي وهن في سلطاني حفظا لرسول الله ورعاية لحقه وقرابته من رسول الله لعن الله ابن مرجانة فانه اضطره وقد سأله ان يضع يده في يدي او يلحق بثغر من الثغور حتى يتوفاه الله فلم يجبه الى ذلك فبغضني الى قلوب المسلمين بقتله وزرع لي في قلوبهم العداوة فأبغضني البر والفاجر مالي ولابن مرجانة لعنه الله وغضب عليه .

وحينما علم ملك الروم بتلك المجزرة غضب لذلك وكتب الى يزيد كتابا جاء فيه : لقد قتلتم نبيا او ابن نبي ظلما وعدوانا على حد تعبير البيهقي في كتابه المجالس والجسادي ، وقال عثمان بن زياد شقيق عبيد الله : والله لوددت انه ليس من بني زياد رجل الا وفي انفه خزامة الى يوم القيامة وان حسينا لم يقتل .

والى جانب تلك الآثار السيئة النفسية التيخلفتها تلك المجزرة الرهيبة في نفوس الجماهير المسلمة ، فلقد كان لها اعظم الاثر في تقويض الدولة الاموية وعدم الاطمئنان اليها واستغلها اعداء اهل البيت كابن الزبير وأمثاله وجعل يندد على يزيد والامويين ويرثي الحسين وأصحابه ويلعن

اهل الكوفة لخذلانهم اباه ويزيد بن معاوية وجميع من اشترك في قتاله ويقول : أبعد الحسين نطمئن الى هؤلاء القوم ونصدق لهم قولا . أما والله لقد قتلوه طويلا بالليل قيامه كثيرا بالنهار صيامه أحق بما هم فيه منهم وأولى في الدين والفضل .

لقد استغل ابن الزبير مصرع الحسين وراح يندبه ويتباكى عليه في حين لم يكن في العالم الاسلامي احد أثقل عليه من الحسين (ع) ولم يكن معاوية ويزيد ابنه أشد عداء للبيت العلوي من ابن الزبير وكان ذلك معروفا لدى عامة المسلمين لان مواقفه من امير المؤمنين وتحريضه عليه في البصرة وسواها لا تزال ماثلة لهم وبالاضافة الى ذلك فلقد اشترك هو وطلحة في التغرير بعائشة وأخرجاها من البيت الذي أمرها الله ان تقر فيه الى البصرة لتقود المعركة . وقد قال فيه وفي ابيه امير المؤمنين : ما زال الزبير منا اهل البيت حتى خرج ولده عبد الله ، وكان وجود الحسين في مكة حائلا بينه وبين الاتصال بالناس وقال له ابن عباس بعد ان يئس من اقناع الحسين بعدم التوجه الى العراق : قرت عينك يا ابن الزبير بخروج الحسين الى العراق .

لقد أقر الحسين عين الزبير وهيأ له بخروجه من مكة المناخ المناسب لغرس أطماعه ولم يبق على الساحة غيره فالتف حوله المكيون وغيرهم وبخاصة بعد تلك المجزرة التي ادمت قلوبهم وألهبت مشاعرهم وأصبحوا يدركون ان الاخطار باتت تهددهم وتطاردهم من كل جانب ومكان .

لقد كان موقف ابن الزبير من مصرع الحسين (ع) اشبه ما يكون بموقف معاوية من مصرع عثمان بن عفان وهما كما يبدو من تاريخهما من معدن واحد في الدجل والنفاق والاجرام واستعمال الدين غشاء للتضليل والتمويه عندما تدعو الحاجة ، لقد كان بن هند يتمنى ان يقتل عثمان خلال ثورة المهاجرين والانصار عليه ويعمل بكل ما لديه من وسائل الاجرام من اجل ذلك ليتخذ من قتله اداة للتشنيع على علي (ع)

والمطالبة بالخلافة وكان يتمنى لعائشة ان تقتل في البصرة ليشنع بقتلها على امير المؤمنين كما صارحها بذلك خلال زيارته للمدينة بعد ان تم له الاستيلاء على السلطة .

اما ابن الزبير فلم يكن شيء من الدنيا أحب من خروج الحسين من مكة الى العراق ومن المصير الذي انتهى اليه وكان يرغبه في الخروج الى العراق والاستجابة لطلب اهل الكوفة بأسلوب مليء بالمكر والدهاء وحينما بلغه نبأ مقتله ووجد المسلمين على ما بينهم من خلاف في الاتجاهات يتململون لما جرى عليه ويندبونه ويلعنون أمية وأشياعها طابت نفسه واطمأن لمصيره وراح يتباكى على الحسين ويردد فضله وما جرى عليه في مجالسه واجتماعاته ويندد بالامويين وجرائمهم تجاوبا مع شعور الجماهير ورغباتهم دجلا ونفاقا ليعبر من وراء ذلك الى السلطة التي كان يتمناها واستطاع بهذا الاسلوب الماكر ان يستحوذ على العدد الاكبر من مسلمي الحجاز الذين كانوا يبحثون عن بديل للامويين وأصبح الناس يقولون ، كما جاء في رواية الطبري : ليس لها بعد الحسين غير ابن الزبير وتمت له البيعة في الحجاز بسبب ما جرى للحسين وبنيه واخوته وأسرته من قتل وتمثيل وسبي وامتهان لعترة الرسول وكرامته وتوالت الانتفاضات في مختلف انحاء العالم الاسلامي ضد الامويين وأنصارهم وشعار الثائرين فيما بينهم من خلاف في الاتجاهات يا لثارات الحسين .

ولم تخمد ثورة في مكان ما الا لتقوم ثورة اخرى في مكان اخر بسواعد الشيعة وشعارهم الوحيد يا لثارات الحسين .

لقد كانت تلك المجزرة ذا حدين استفاد منها أعداء الحسين كابن الزبير الذي استغلها في الحجاز للتشهير بيزيد والامويين وجعل يتباكى ويتظاهر بالحزن على الحسين وأصحابه حتى اجتمع الناس عليه والتفوا من حوله ، كما ايقظت شيعة الحسين وجعلتهم يشعرون بأخطائهم وتقصيرهم وتخاذلهم عنه وعن ابيه وأخيه وانضمت اليهم جميع العناصر

المناوئة للامويين من الموالي وغيرهم واتفقوا جميعا على صيحة واحدة
تستر وراءها اغراضهم المختلفة يا لثارات الحسين : فكان لهذه الصيحة
الصدى الواسع في جميع الاوساط الاسلامية الذي اقلق الظالمين وزعزع
عروشهم وقوض دعائم دولتهم في المشرق العربي وأصبحوا لعنة علـــى
لسان الاجيال الى قيام يوم الدين وباء الحسين وحده بالفخر الذي لا
فخر مثله في تاريخ بني الانسان وحسبه انه وحده في هذه الدنيــــــا
الشهيد بن الشهيد وأب للمئات من الشهداء والقدوة لكل ثائر على الظلم
والظالمين وفراعنة العصور في كل مكان وزمان .

لمحات عن حياة العقيلة قبل معركة كربلا

بعد هذه اللمحات عن مواقفها من معركة كربلاء وما تلاها من الاحداث الجسام التي صمدت فيها العقيلة كالطود الشامخ وضعضعت كبرياء اولئك الجلادين وقلبت الدنيا على رؤوسهم ، وقبل الحديث عن مرقدها ارى من الوفاء لحقها العظيم عليّ وعلى كل من آمن برسالة جدها وأبيها وأخويها التي كانت تجسدها في جميع مواقفها من الطغاة والحاكمين ان نشير ولو بصورة موجزة عن المراحل التي مرت بها في صباها وشبابها وأمومتها تلك المراحل التي أهلتها وأعدتها لان تكون في عداد العظماء من أبطال التاريخ ومن طلائعهم بعد ابيها واخوتها .

لقد كانت ولادتها في مطلع جمادي الاولى من السنة الخامسة لهجرة جدها من مكة الى المدينة كما جاء في بعض المرويات ، وجاء في بعضها ان ولادتها كانت في مطلع شعبان من السنة السادسة بعد أخويها الحسن والحسين (ع) ، ولما ولدت جاءت بها امها الزهراء الى ابيها وقالت له : سمها يا ابا الحسن ، فقال : ما كنت لأسبق جدها رسول الله في تسميتها وكان غائبا عن المدينة يومذاك ، ولما رجع من سفره سأله امير المؤمنين

عن اسمها : فقال على حد تعبير الراوي : ما كنت لأسبق خالقها في اسمها. فهبط عليه الامين جبرائيل وقال له : ان الله قد اختار لها اسم زينب . وأخبره كما يدعي الراوي بما يجري عليها من المصائب فبكى النبي (ص) وقال : من بكى لمصاب هذه كان كمن بكى لمصاب أخويها الحسن والحسين .

وكانت تكنى كما يدعي الشيخ فرج القطيفي في كتابه المرقد الزينبي بأم كلثوم وأم الحسن . وتلقب بالصديقة الصغرى وعقيلة بني هاشم على لسان جماعة وعلى لسان آخرين عقيلة الطالبيين الى غير ذلك من الصفات الفاضلة التي تغلب على الاسم احيانا .

لقد ولدت الحوراء زينب في بيت لا شيء فيه من متع الدنيا ولهوها وزخرفها ورأت النور في ذلك البيت الطاهر الذي ضم أباها سيد الوصيين وأمها سيدة نساء العالمين وأخويها ريحانتي رسول رب العالمين .

ولدت في بيت كان النبي لا يشغله عنه شاغل ولا ينساه في ليله ونهاره وكلما دخله يقبّل من فيه من أحفاده ويشمهما ويبتسم لهما وينعم فيه بالسكينة والاطمئنان ، في ذلك البيت ولدت الحوراء ورضعت من ثدي الطهر والفضيلة بضعة الرسول الاعظم ودرجت مع اخويها سيدي شباب اهل الجنة وأخذت العلم عن ابيها باب مدينة العلم ورأت جدها الرسول ممثلا في امها فاطمة بجميع صفاته ومزاياه ، وحينما فقدت امها في السنة السادسة من عمرها قالت : يا أبتاه يا رسول الله الان فقدناك فقدا لا لقاء بعده ، وهي تعني بذلك انها بفقد امها التي كانت تجسد أباها قد فقدت جدها ايضا .

لقد انعكست صفات الزهراء سيدة نساء العالمين ومزاياها في نفس ابنتها عقيلة بني هاشم وظهرت واضحة جلية في زهدها وعبادتها وصبرها في الشدائد ، وقال من تحدث عنها من الرواة : انها لم تدخر شيئا من

يومها لغدها وتمضي عامة لياليها بالتهجد وتلاوة القرآن ؛ وحتى في ليلة الحادي عشر من المحرم وهي تتلوى من آلام تلك المجزرة الرهيبـــة واخوتها صرعى مجزرين كالاضاحي لم تدع صلاة الليل وتلاوة القرآن. وقد تحدثنا عن صبرها وشجاعتها وبعض مواقفها الخالدة التي كانت ولا تزال من اغنى المواقف البطولية بالقيم والمثل العليا في تاريخ الابطال .

لقد بقيت زينب ابنة علي مع امها ست سنوات وفي هذه المرحلة من طفولتها كانت ترى امها الزهراء تقوم للصلاة والعبادة حتى ينقضي الشطر الاكبر من الليل وتبيت طاوية وتطعم ما عندها الايتام والمساكين وتلبس الثياب الخلقة البالية وتكسو الفقراء جديد الملابس ، ورآها سلمـــان الفارسي مرة فبكى وقال : ان قيصر وكسرى بناتهما في السندس والحرير وابنة محمد رسول الله في تلك الثياب البالية .

وبلا شك في ان تلك الصور التي كانت تشاهدها العقيلة وهي فـــي هذا السن من طفولتها قد انعكست في نفسها ورافقتها حتى النفس الاخير من حياتها لان مشاهدات الاطفال وما يحيط بها في المراحل الاولى من حياتهم وما يمر عليهم في سن الطفولة تترك آثارا في نفوسهم ترافقهم في الغالب ما داموا بين الاحياء .

ويؤكد علماء النفس ان الطفل في السنة الثالثة من عمره تبدأ مرحلة التوافق بينه وبين بيئته ومرحلة التمييز بين الالفاظ والمعاني ، وان نموه العقلي في هذه المرحلة يتجه به الى كشف ما يحيط به مما يرى ويسمع وهذا الكشف يترك آثارا تعمل عملها في نفس الطفل ترافقه الى اخـــر يوم من حياته .

هذا بالاضافة الى ان السيدة زينب سلام الله عليها بعد وفاة امهـــا الزهراء عاشت برعاية ابيها امير المؤمنين الذي كان يجسد جدها الرسول من جميع نواحيه بين أخويها الحسن والحسين (ع) وتولت حضانتهــم

امرأة من كرام النساء وأفاضلهن وهي امامة بنت زينب بنت رســــول الله وكان قد تزوجها امير المؤمنين (ع) بعد وفاة الصديقة الزهراء (ع) بوصية منها . وجاء في وصيتها له كما ترويها جميع الآثار . وأوصيك يا ابن العم ان تتزوج بعد وفاتي من امامة ابنة اختي فانها ستكون لوالدي مثلي . وبالفعل فلقد كانت امامة كما كانت ترجوه منها خالتها من ناحية عطفها ورعايتها لاولادها بالاضافة الى ما كانوا ينعمون به من رعاية ابيهم الذي كان يلقنهم من اسرار الكون وغوامضه . وظلت العقيلة في رعاية ذلك البيت الكريم بيت النبوة والامامة الى ان تجاوزت سن الطفولة الى مطلع الصبا والشباب . ونساء المسلمين يومذاك كان من عادتهن ان يخرجن ليلا لزيارة قبر النبي وأداء فريضة العشاء الى جواره كما كان يفعل الرجال ثم يرجعن الى بيوتهن وملامح السرور والبهجة بادية على وجوههن وأرادت العقيلة ان تخرج لزيارة قبر جدها والصلاة الى جواره كما يفعل النساء ، ولكن والدها لم يشأ لها ان تخرج كما يخرج غيرها من النساء والمسجد مملوء بالزائرين والمصلين من الرجال فكان يخرج معها بعد ان يعــود الزائرون الى بيوتهم ويخرج الحسن والحسين عن يمينها وشمالهـــــا ويتقدمهم هو ليخمد ضوء القناديل اذا وجد في مرقد جدها احد مــــن الرجال ، وذات ليلة ارادت ان تخرج في اول الليل مع الزائرات اللواتي كن يخرجن لأداء الصلاة فخرج يتقدمها ليخفت ضوء المصابيح ، وفجأة أحس المصلون من الرجال والنساء ان ضوء المصابيح اخذ يخفت واحدا بعد واحد خفوتا ظاهرا وعلى عجل وظل يضيق ويضعف حتى شمـــل المسجد كله ضوء مختنق ولم تبق من الضوء الا ومضات ضئيلة توشك ان تنطفىء فيعم الظلام المسجد والحرم من كل جوانبهما فتطلعت العيون الاشعث بن قيس الكندي كما جاء في بعض المرويات ، ففي بعض الايام الغاضبة لتتعرف من هو الذي أضعف تلك المصابيح واحدا بعد واحد ولم يترك منها سوى ومضات ضئيلة لا تجديهم شيئا ، ولما عرفوه تركوه يفعل

ما يشاء لانه لا يفعل غير الصواب ؛ وراحت العيون تتطلع لتعرف الاسباب التي حملته على ذلك فرأت أشباحا ثلاثة قد تقدمت نحو قبر النبي (ص) وما ان وصلوا اليه حتى وقفوا الى جانبه لفترة طويلة في خشوع وتضرع ثم رجع الثلاثة عن القبر الشريف يمسحون دموعهم وانصرفوا باتجاه باب الحرم راجعين الى بيت ابيهم الكريم ، وتقدم امير المؤمنين (ع) نحـــو المصابيح يفك خناقها ويعلي أضوائها ، وكان الثلاثة الذين تقدموا نحو الحرم في ستر ذلك الضوء الخامد اولاده الحسن والحسين وبينهما ابنته زينب ارادت ان تزور قبر جدها في الوقت الذي يجتمــع فيه الزائرون فتقدمها ليخمد الضياء ومضت اليه بين أخويها حتى لا يرى شخصها احد من الناس .

وبقيت العقيلة في ذلك البيت الكريم في رعاية ابيها وأخويها وخالتها امامة وزوجة ابيها أسماء بنت عميس التي لم تكن بأقل عطفا وحنوا على اولاد فاطمة من امهما والتي احتضنتها لتكون زوجة لولدها عبد الله بن جعفر بعد سنوات قليلات .

زواجها من عبدالله بن جعفر

لما بلغت الحوراء مبلغ الزواج وتخطت عهد الطفولة طلبها الكثيرون من الاشراف وكان الامام يردهم برفق ولين لانه كان كما يبدو قد صمم على زواجها من ابن اخيه عبد الله بن جعفر الطيار ، كما كان النبي يرد خاطبي امها الزهراء ليزوجها من ابن عمه اول القوم اسلاما وآكثرهم جهادا وتضحية في سبيله بأمر من الله سبحانه . وكان ممن خطب الحوراء الاشعث بن قيس الكندي كما جاء في بعض المرويات ، ففي بعض الايام والامام (ع) جالس في داره دخل عليه رجل بَيِّن الطول عليه مسحة من الجمال ومظهر من مظاهر العنف والبطش ، وكان قد صار على ابواب الكهولة وبدأ يخطو نحو الكبر ، فوقع نظره على فتاة قد اضاء صباها ولمعت محاسنها ، وهي تدرج بين يدي ابيها ، وحينما رأته الفتاة قد دخل على حين غفلة اسرعت الى غرفة في الدار عجلى تتعثر في أذيالها لاسيما وقد رأته ينظر اليها وتكاد نظراته تستبق خطواتها المسرعة ، وكان قد ملأ عينيه منها قبل ان تغيب عنه وأعجب بحسنها وشمائلها ، وأحسن ما رأت عيناه من الخفرات الحسان .

وكن الرجل في خمول وضعة في اوساط المسلمين : والى جانب ذلك فاتكا شجاعا جبيلا : وهو أخمل حسبا وأوضع نسبا اذا قيس حسبه ونسبه بالقرشيين فضلا عن اهل هذا البيت الذين بلغوا القمة في كل ما يتفاضل فيه الناس من كل نواحيهم . ولكن الذي جرأه على الحديث مع امير المؤمنين بأمر من هذا النوع ان الخليفة الاول ابن ابي قحافة كان قد تلطف به وزوجه من اخته أم فروة فجرأته هذه المصاهرة على التطلع الى بنات الانبياء والاوصياء . وما كادت الحوراء زينب تصل الى داخل البيت بتلك السرعة الخاطفة حتى قال الاشعث لعلي (ع) : من هذه الفتاة يا ابا الحسن ، فرد عليه قائلا : انها ابنتي زينب ابنة الزهراء ، فقال له : زوجنيها يا ابا الحسن ، فاستخف به امير المؤمنين (ع) وقال له : لقد غرك ابن ابي قحافة بنفسك اذ زوجك اخته أم فروة وأصبحت لا تنظر لنفسك الا من زاوية هذه المصاهرة ، ناسيا اصلك ونسبك ومكانتك الوضيعة في نفوس العرب والمسلمين ، وأصبحت تطمع بالفواطم والعواتك من بنات هاشم وعبد المطلب [1] .

وقد حمله الصلف والغرور على ان يرد على امير المؤمنين بقوله : لقد زوجتم من هو أخمل مني حسبا وأوضع مني نسبا وهو المقداد بن عمر المعروف بالمقداد الاسود ، فرد عليه امير المؤمنين قائلا : ذاك رسول الله (ص) قد فعله وهو أعلم بما فعل ولئن عدت الى مثلها لأسوأنك .

لقد كان الاشعث فظا غليظا ثقيلا على اكثر المسلمين لغلظته وجفوته

---

1 ــ الفواطم جمع فاطمة وقد اصبح كالعلم على مجموعة من الهاشميات فهن فاطمة الزهراء وفاطمة بنت اسد وفاطمة بنت الحمزة وغيرهن ، كما وان العواتك جمع عاتكة وهو اسم لمجموعة من نساء الهاشميين البارزات منهن عاتكة بنت عبد المطلب عمة النبي ، وأم زينب بنت جحش التي تزوجها النبي بعد ان طلقها زيد بن حارثة .

وجرأته على الحق وكان من المتآمرين على امير المؤمنين بعد ان تولى الخلافة ويعمل لمصلحة معاوية وقد لعنه علي (ع) اكثر من مرة وزجره وحاول ان يضع حدا لتجاوزاته ومؤامراته وأخيرا اشترك في قتله مع عبد الرحمن بن ملجم وجماعة ممن سخرهم معاوية لذلك كما وان ابنته جعدة قد حققت لمعاوية ما كان يتمناه ويعمل من اجله فدست السم الى الحسن بن علي (ع) بعد ان اغراها معاوية بالمال ووعدها بأن يزوجها ولده الخليع يزيد بن ميسون ، واشترك ولده قيس بن الاشعث في جميع الجرائم التي ارتكبها معاوية وولده يزيد مع العلويين وشيعتهم .

لقد بقيت العقيلة في بيت ابيها والخطاب يتوافدون عليه من هنا وهناك . وكان يردهم وكأنه كان قد صمم على امر ينتظر الوقت المناسب لتنفيذه لاسيما وقد سمع النبي (ص) يقول وهو ينظر الى اولاد علي وجعفر قبل ان يتجاوزوا سن الطفولة بناتنا لبنينا وبنونا لبناتنا كما جاء في بعض المرويات عنه .

واذا لم يكن النبي (ص) جدا لاولاد جعفر فانه لهم بمنزلة الاب والجد وهو وليهم ولا شيء أحب الى الجد من اقتران أحفاده بعضهم ببعض لانه يعتبر ذلك تأكيدا لنسله وامتدادا لنوع من انواع وجوده ، ولا بد وأن يكون عليا (ع) الذي كان في كل مراحل حياته يقتدي بأقوال الرسول وأفعاله قد سمع من الرسول هذه المقالة واعتبرها تأكيدا لما كان يضمره نحو اطفال اخيه جعفر شهيد مؤتة وبطل الاسلام الخالد وكان كفيلهم وولي امرهم بعد استشهاد اخيه ، فنفذها كما اراد رسول الله(ص) ورد جميع الخطاب الذين كانوا يتوافدون عليه من هنا وهناك للحصول على شرف المصاهرة الذين يحصلون عليه بزواجهم من ابنة علي والزهراء، ولا احسب ان احدا كان اقرب الى قلب علي (ع) بعد اولاده من اولاد اخيه جعفر بن ابي طالب وعلى رأسهم عبد الله بن جعفر وكانوا في عداد

اولاده ونشأوا في بيته وبخاصة بعد ان تزوج من امهم أسماء بنت عميس بعد استشهاد زوجها جعفر الطيار ووفاة ابي بكر عنها .

وقبل ان تابع الحديث عن زينب وزوجها عبد الله في بيتهما الجديد كزوجين كريمين من اكرم ما عرفه بيت ابي طالب بعد بيت ابيها واخوتها، ارى من الوفاء لبيت ابي طالب الذي كان له الفضل الاكبر على الاسلام والمسلمين كما تؤكد جميع الشواهد التي مر بها الاسلام ورسول الاسلام في مراحله الاولى انه لولا بيت ابي طالب لكان مصير محمد ورسالتــــه كمصير زكريا ويحيى وغيرهما من الانبياء الذين كانوا يتعرضون للقتل والمطاردة من بني اسرائيل قبل ان تنتشر رسالاتهم ، وقديما قال الجاحدون لنبوة شعيب كما حكى الله عنهم في كتابه : ولولا رهطك لرجمناك .

لقد وقف ابو طالب وزوجته فاطمة بنت اسد وأولادها الى جانبه منذ اعلان الدعوة وأعلن ابو طالب بأنه سيمنع عنه كل من تحدثه نفســــه بالاساءة اليه ، والنيل منه ، كما اوقفت زوجته فاطمة بنت اسد نفسهـــا لخدمته في اليوم الذي مات فيه جده عبد المطلب ، وكانت كما وصفها هو صلى الله عليه وآله تفضله على اولادها في المأكل والملبس وفي كل شيء وظل يذكرها ويترحم عليها حتى النفس الاخير من حياته ، وسبق ولداها علي وجعفر جميع المسلمين الى الاسلام والايمان برسالة محمد فكان اولهم علي بعد خديجة الكبرى ، ومر ابو طالب وعلي يصلي وحده الى جانب محمد (ص) فقال لولده جعفر : صل جناح ابن عمك فأسلم بعد اخيه علي بأمر من ابيه وظل ابو طالب طيلة حياته بعد مبعث النبي (ص) يدافــــع ويناضل عن رسالة محمد بكل طاقاته وامكانياته ويقول :

ولقد علمت بأن دين محمد   من خير اديان البرية دينا

ومع ذلك فان رواة السنة ومحدثيهم الذين كانوا ولا يزالون يجترون

مرويات أذناب الامويين وصنائعهم الذين سخروهم للكذب والافتراء على الاسلام وحماة الاسلام ودعاته المخلصين هؤلاء يدعون بأن ابا طالب مات كافرا برسالة محمد وأبا سفيان بن حرب العدو اللدود للاسلام ولكل من آمن به وجاهد في سبيله مات مؤمنا في حين انه كان في اكثر مواقفه لا يتحاشى المجاهرة بشركه ووثنيته ، وقد ذكرنا سابقا ان ابا طالب لو لم يكن ابا لعلي عليه السلام لكان من الصديقين ومن خيار المسلمين .

لمحات عن اسلام جعفر الطيار وهجرته ووفاته

وأعود لأكرر انه قبل الحديث عن زواجهما ارى من الوفاء لهذا البيت الكريم ان اشير ولو بايجاز لجعفر الطيار ثالث المسلمين ووالد عبد الله بن جعفر الذي اختار له النبي عقيلة بني هاشم لتكون زوجة له كما ذكرنا .

لقد كان جعفر الطيار اكبر من علي (ع) بعشر سنين كما يدعي اكثر المؤرخين ولم يسبقه احد الى الاسلام سوى خديجة الكبرى وعلي وكان هو ثالث المسلمين والمصلين وقد ذكرنا ان أباه رأى عليا يصلي عن يمين النبي فقال لولده جعفر : صل جناح ابن عمك ومضى امد غير قصير وليس في مكة من يعبد الله سبحانه سوى محمد وعلي وخديجة بنت خويلد وجعفر بن ابي طالب فكان النبي يتقدمهم للصلاة في اوقاتها وعلي عن يمينه وجعفر عن يساره وخديجة من خلفه ، وكان جعفر يشبه النبي في خَلقه وخُلقه كما وصفه النبي بذلك كما كان يكنيه ابا المساكين .

وجاء عن ابي هريرة انه كان يقول : لقد كنت اسأل الرجل من اصحاب رسول الله (ص) عن الآية من القرآن وأنا أعلم بها منه ولكني كنت اسأله

ليطعمني شيئا ؛ وكنت ان سألت جعفر بن ابي طالب لم يجبني حتى يذهب بي الى بيته فيطعمني ثم يجيبني •

وجاء في الحديث عن رسول الله (ص) انه قال : لقد اختارني الله في ثلاثة من اهل بيتي انا سيدهم لقد اختارني وعليا وجعفر والحمزة بن عبد المطلب ، وفي المجلد الاول من الاستيعاب ، خلال حديثه عن جعفر بن ابي طالب ان النبي (ص) قال : دخلت الجنة البارحة فاذا جعفر يطير مع الملائكة •

لقد كان جعفر بن ابي طالب من المهاجرين الاولين الى الحبشة حين وسعت قريش حلقة الاضطهاد على المسلمين في مكة وكان خروجه بايعاز من النبي (ص) فخرج هو وزوجته وجماعة من المسلمين المستضعفين من مكة فرارا بدينهم وولدت له فيها عبد الله وعونا ومحمدا ، ولقي المسلمون من النجاشي ملك الحبشة من الرعاية وكرم الضيافة والاحسان ما أثار غضب قريش وتخوفها من هذه الظاهرة التي ستكون بداية لتحول جديد في تاريخ العلاقات بينهم وبين الاحباش الذين كانوا على ارتباط معهم في مختلف مرافق الحياة ؛ وبقاء المسلمين الى جوارهم سيضاعف من هذا التحول وربما يؤدي الى توتر الاجواء بينهما وبالتالي الى القطيعة بين البلدين المتجاورين ؛ وقد تصبح الحبشة مقرا لعدد كبير من المسلمين ومنطلقا لدعوتهم التي تساندها دولة لا طاقة لهم على مقابلتها ، هذه الاحتمالات كلها اصبحت تراود القرشيين بعد ان بلغتهم حفاوة الاحباش بالمسلمين فراحوا يعملون بكل ما لديهم من الوسائل لايجاد فجوة بين الطرفين واعادة العلاقات بينهما الى سابق عهدها واخراج المسلمين من بلادهم ، فجمعوا مبلغا من الاموال ليشتروا بها أنفس الهدايا وأثمنها للملك وبطارقته ، وبعثوا بالهدايا مع عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد شقيق خالد بن الوليد ، وكتبوا الى النجاشي يحذرونه من المسلمين

ويطلبون منه ان يردهم الى مكة ، وكان ابن العاص حديث عهد بالزواج من احدى المكيات الفاتنات في جمالهن فلم يستطع فراقها فمضت معه في تلك الرحلة وفي الطريق كانت تتحدث الى عمارة ويتغازلان وكان فتى مديد القامة جميلا بهي الطلعة فتعلقت به وتعلق بها وأخيرا هجرت فراش زوجها وارتمت في فراشه . وعبثا حاول ابن العاص ان يضع حدا لشذوذها وبالتالي بقيت بينهما يشتركان بالاستمتاع بها [1] .

وسبقت أنباء هذه الفضيحة الى المهاجرين والنجاشي ، وحاول عمارة وابن العاص ان يشحنا النجاشي وبطارقته على الاسلام والمسلمين ، وباءت جهودهما بالفشل الذريع بعد ان تولى جعفر بن ابي طالب الحديث مع النجاشي وبطارقته وحدثهم عن ابن عمه محمد ورسالته وقرأ عليهم بعض الآيات من القرآن ومن سورة مريم ، كما ذكر المؤلفون في سيرة الرسول (ص) ورجع الوفد فاشلا الى قريش يتعثر بأذيال الخيبة وبقي النجاشي على كرمه واحسانه الى المهاجرين ، كما بقي جعفر بن ابي طالب ومن معه في الحبشة الى السنة السابعة من هجرة الرسول (ص) وفيها رجع الى المدينة ، والنبي (ص) كان قد اتجه لحرب اليهود في خيبر واستولى عليها بعد ان اقتحم امير المؤمنين حصونهم وجندل أبطالهم وفرسانهم وفي اليوم الذي رجع فيه النبي الى المدينة دخلها جعفر بمن معه من المسلمين فقام اليه النبي (ص) وقبله ما بين عينيه وقال : ما ادري بأيهما أشد فرحا بقدوم جعفر او بفتح خيبر وقال له : انت أشبه الناس بخَلقي وخُلقي وقد خلقتَ من الطينة التي خلقتُ منها ، كما جاء في ذخائر العقبى للمحب الطبري وغيره من مجاميع الحديث .

وأعطاه وزوجته أسماء من غنائم خيبر مثل ما اعطى غيره من

---

١ ــ محمد رسول الحرية للشرقاوي .

المسلمين الذين اشتركوا في فتحها، وبقي مع النبي بعد رجوعه الى المدينة أشهرا معدودات وبدخول السنة الثامنة للهجرة بعث رسول الله (ص) احد اصحابه وهو الحارث بن عمير بكتاب الى ملك بصري من ارض الشام . فلما بلغ الرسول مؤتة تعرض له شرحبيل الغساني احد ولاة الروم وقتله ولم يقتل غيره ممن كان يبعثهم رسول الله (ص) الى الملوك والامراء : فاشتد ذلك على النبي (ص) وجهز جيشا من ثلاثة آلاف مقاتل بقيادة جعفر بن ابي طالب وعين اثنين غيره للقيادة على التوالي فيما لو قتل جعفر وهما زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحه ، وانطلق الجيش الى مشارف الشام يجد في سيره وحينما بلغت أخباره ملك الروم أوعز الى جيوشه بأن ترابط على الحدود بين بلاد الشام والحجاز وحشد عليها اكثر من مائة الف مقاتل . وكانت المعركة الحاسمة على الحدود في مؤتة فأخذ الراية جعفر وتقدم بمن معه من المسلمين وحمل على تلك الحشود التي ملأت الصحراء بعددها وعتادها فانهزموا بين يديه وظل يطاردهم حتى قطعت يمينه وشماله وخر صريعا .

وجاء في بعض المرويات انه لما اشتد القتال ، نزل عن فرسه وعقرها فكان كما قيل اول من عقر فرسه في الاسلام ومضى يقاتل راجلا ويقول:

يا حبذا الجنة واقترابها　　طيبة وبارد شرابها

والروم روم قد دنا عذابها　　كافرة بعيدة انسابها

علي اذ لاقيتها خرابها .

وبعد ان استشهد وجدوا في مقدم جسده اكثر من تسعين ضربة وطعنة وجزع من في المدينة لقتله وبكاه المسلمون وبخاصة اهله وذووه ، فلما رأى ذلك رسول الله (ص) قال : لا تبكوا على اخي بعد اليوم ، ان له جناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنة فسمي ذا الجناحين والطيار .

وجاء عن عبد الله بن جعفر ان قال : لقد دخل علينا رسول الله بعد موت ابي وقال : لا تبكوا على اخي بعد اليوم ودعا بالحلاق فحلق رؤوسنا وقال : اما محمد فشبيه عمنا ابي طالب ، وأما عبد الله فشبيه خَلقي وخُلقي . ثم اخذ بيدي وقال : اللهم احفظ جعفرا في اهله وبارك لعبد الله في صفقة يمينه ، ولما ذكرت امي يتمنا قال لها : لا تخافي عليهم انا وليهم في الدنيا والآخرة [1] .

وظل أيتام جعفر في رعاية رسول الله (ص) وعمهما علي بن ابي طالب وحضانة امهم أسماء بنت عميس ، وكانت امرأة كريمة شريفة ذات رأي حازم ومعرفة وتجربة وحجة وبيان على حد تعبير عبد العزيز سيد الاهل في كتابه زينب بنت علي لا تصبر لعى مذلة ولا تبيت على ضيم هاجرت
في كتابه زينب بنت علي لا تصبر على مذلة ولا تبيت على ضيم هاجرت
في سبيل الله هجرتين اولاهما مع المسلمين الاولين وزوجها الى الحبشة، وثانيتهما الى المدينة مع زوجها جعفر الطيار فأكرمها رسول الله وعلمها دعاء تدعو به في الشدائد ، وقال لها : اذا نزل بك كرب فقولي الله الله ربي لا اشرك به ، فلم يصبها كرب بعد ذلك الا أزاحته عنها بدعاء رسول الله كما جاء عنها .

وحدث بعد ان رجعت مع زوجها الى المدينة ان رآها عمر بن الخطاب فقال لها : يا حبشية سبقناكم بالهجرة . ولعله كان يريد ان يتباهى عليها في هجرته مع الرسول وصحبته له او ممازحا لها كما يدعي بعض الرواة، وما كاد عمر ينتهي من حديثه حتى انبرت له قائلة : لعمري لقد كنتم مع رسول الله يطعم جائعكم ويعلم جاهلكم وكنا البعداء عنه نتحمل الاهوال والشدائد حرصا على ديننا ، وأضافت الى ذلك : والله لأتين رسول الله وأذكرنّ له مقالتك يا ابن الخطاب .

---

١ ـ فقه السيرة للشيخ محمد غزالي ص ٢٨١ .

ومضت مسرعة الى النبي وقالت : يا رسول الله ان رجالا من اصحابك يتفاخرون علينا ويتباهون ويزعسون اننا لم نكن من المهاجرين الاولين . فرد عليها الرسول قائلا : بل لكم هجرتان هاجرتم الى الحبشة ونحن في مكة وهاجرتم الى المدينة كما هاجرنا ولا فضل لاحد عليكم .

لقد تزوجت بعد مصرع زوجها من ابي بكر فأولدها محمد بن بكر وخلال تلك المدة القصيرة التي قضتها معه لم تكن تفارق اولادها ولا بيت فاطمة الزهراء وقد روت الحديث عنها وحينما توفيت الزهراء (ع) تولت غسلها وتكفينها . وبعد وفاة زوجها ابي بكر تزوج منها وضمها امير المؤمنين الى عياله مع ولدها محمد بن ابي بكر وكان طفلا في الرابعة من عمره وبقيت في بيته هي وأولادها ، وأولدها ولدا اسماه يحيى كما جاء في المجلد الاول من حياة الحيوان [1] .

وبقي عبد الله منذ طفولته الى ان شب وترعرع هو واخوته الى جانب عمه امير المؤمنين مع اولاده يتلقى منه العلم والمعرفة ويغذيه بأخلاق الاسلام وتعاليم الاسلام حتى اصبح من كرام المسلمين وأعلامهم . وكان كما يصفه المؤرخون أسخى رجل بين المسلمين في عصره . وكان هو وزينب في سن متقاربة فلما بلغا سن الشباب وراح الطلاب يتوافدون على بيت علي (ع) يطمعون في مصاهرته لم يجد لابنته كفأ غير ابن اخيه عبد الله فزوجه منها ، ولكن هذا الزواج لم يفرق بين زينب وأبيها واخوتها . وبلغ من تعلق الامام (ع) بابنته وابنة اخيه ان بقيا معه يراعهما ويتفقدهما كما كانا قبل الزواج وحينما تولى أمور المسلمين وانتقل من المدينة الى الكوفة انتقلا معه ووقف عبد الله الى جانب عمه في جميع

---

1 ـ انظر زينب بنت علي لعبد العزيز سيد الاهل عن المجلد الاول من حياة الحيوان ص ٢٢٨ .

مواقفه النضالية قبل خلافته وبعدها من الناكثين والقاسطين والمارقين •

وما كادت زينب تنتقل الى بيتها الجديد المتواضع في اثاثه ومعيشته حتى اصبح المال يتدفق عليه ، ولكنه كان يهب ويعطي عطاء من لا يخشى الفقر ولا يدخر شيئا من يومه لغده وأصبح الجود والسخاء من اشهر صفاته وألقابه وسماه الناس بحر الجود ، وحدث الرواة ان جماعة كانوا يتحدثون عن كرام المسلمين وأجوادهم ، فادعى جماعة ان أجودهم عبد الله بن جعفر فطلب منهم الباقون دليلا على ذلك ، فجاءه احدهم وهو على راحلته يريد ضيعة له خارج المدينة فتعلق بركابه وقال له : انا من ابناء السبيل ولا املك شيئا ، فأخرج عبد الله رجله من الركاب ونزل عن راحلته وقال له : ضع رجلك في الركاب واستوي على الناقة وخذ ما في الحقيبة ، واياك ان تخدع عن السيف فانه من سيوف علي بن ابي طالب ثم ترك الرجل ورجع ماشيا الى بيته في المدينة ، ولما وضع الرجل رجله في الركاب واستوى على الناقة ومد يده الى الحقيبة وجدها مملوءة بمطارف الخز وفيها بالاضافة الى ذلك اربعة آلاف دينار ، وكان سيف علي (ع) أنفس من المطارف وأجل من الدنانير على حد تعبير الراوي ولما رأى القوم صنيعه قالوا : صدق من سماه بحر الجود [1] •

وبلغت شهرته في الاوساط الاسلامية حدا ضاقت بها نفوس اعداء الطالبيين وقلوبهم الحاقدة ولم تعد تتسع لمديحه وثناء الجماهير عليه فراحوا يحاولون تزييف سخائه وتسميته سرفا لا يقره الاسلام •

فقد حدث الرواة عن الشعبي ان عبد الله بن جعفر الطيار دخل على معاوية وعنده ولده يزيد بن ميسون ، فجعل يزيد يعرض بعبد الله

---

١ ـ زينب بنت علي لعبد العزيز عن ص ٦٠ من المستجدات في فعلات الاجواد .

في كلامه ويتهمه بالاسراف والتبذير ، فقال عبد الله ليزيد : اني لأرفع نفسي عن جوابك . ولو قالها صاحب السرير لأجبته ، فقال معاوية: كأنك تظن انك أشرف منه يا عبد الله ، فقال عبد الله : أي والله ومنك ومن ابيك وجدك يا معاوية : فرد عليه معاوية بقوله : ما كنت أحسب ان احدا في عصر حرب بن أمية جدي أشرف منه ، فقال عبد الله : بلى والله ان أشرف منه من اكفاء عليه اناءه وأجاره بردائه ، فقال : صدقت يا ابا جعفر [1] .

وكان يقول ، كما جاء عنه : ان الله قد عودني ان يتفضل علي ، وعودته ان أتفضل على عباده . وأضاف : ان يقطع عني اذا قطعت عن عباده [2] .

وقد تحدث المؤرخون وأكثروا عن كرمه وسخائه وايثاره الايتام والمساكين وأبناء السبيل على نفسه وولده ، ولقد رأته العقيلة يصنع كل ذلك فلم تعارضه في شيء من عطائه وسخائه بل كانت تشاركه احيانا وتشجعه على البذل والعطاء وظلت العقيلة وفية لزوجها ساهرة على راحته وتربية اولادها وفي الوقت ذاته على صلة دائمة بأخويها الحسن والحسين وبقية اخوتها وتحملت من المحن والمصائب ما لا يقوى على حمله احد من الناس وثبتت لجميع تلك الاهوال وتحملت مرارتها وآلامها بصبر وشجاعة قل نظيرهما في تاريخ الابطال وعظماء العالم ، وقد تحدث المؤرخون والكتاب القدامى والمحدثون عن مواقفها وبطولاتها في معركة الطف وما تلاها من الاحداث في الكوفة والشام وعن تحدياتها لاولئك الطغاة والجلادين التي زعزعت فيها عروشهم وضعضعت كبرياءهم

---

١ ــ زينب الكبرى لجعفر نقدي ص ٨٩ طبع النجف .
٢ ــ العقد الفريد لابن عبد ربه .

وأصبحوا لعنة على لسان الاجيال الى ان تقوم الساعة ، ولم يتحدثوا عن حياتها مع زوجها عبد الله لانها في تلك الفترة من تاريخها كانت منصرفة لبيتها وأولادها واعدادهم الاعداد السليم كما كان ابوها يعدها ويعد اخوتها وقد اكتفت بذكر الله وعبادته والتضرع اليه في ليلها ونهارها والاستفادة من مدرسة امها وأبيها وأخويها الحسن والحسين عن ذكر الناس والقيل والقال والاشتراك في الفتن والاحداث .

وقد اعتاد المؤرخون والكتاب ان يتحدثوا عن المرأة من خلال نزعاتها واشتراكها في الفتن وأحداث عصرها وركوبها الجمال والبغال في ساحات الحروب والمعارك وعما ترويه من الاحاديث المكذوبة عن النبي (ص) كالتي كانت تنسبها بعض زوجاته اليه زورا وافتراء كما يتحدثون احيانا عن ربات البيوت من خلال مظاهر البذخ والترف وعدد الجواري والعبيد ومجالس الغناء والشراب ، اما البيوت التي تكون لله وفي سبيل الله والتهجد والعبادة وللعلم والتعليم والارشاد فلا يعنيهم من امرها شيئا .

لقد كان بيت العقيلة من تلك البيوت التي وصفها بعض الشعراء بقوله :

منازل كانت للرشاد وللتقى وللصوم والتطهير والصلوات

ووصفها ابو فراس الحمداني في قصيدته التي يعدد فيها فضائل العلويين ومساوىء الامويين والعباسيين بقوله وهو يخاطب العباسيين :

تنشي التلاوة في ابياتهم سحرا وفي بيوتكم الاوتار والنغم
ما في ديارهم للخمر معتصر ولا بيوتهم للسوء معتصم
ولا تبيت لهم خنثى تنادمهم ولا يرى لهم قرد له حشم
الركن والبيت والاستار منزلهم وزمزم والصفا والخيف والحرم

لقد روى عنها أعيان الصحابة وكان عبد الله بن العباس عندما يروي عنها يقول : حدثتني عقيلتنا زينب ابنة علي (ع) . وولد لعبد الله من زوجته زينب اربعة ذكور وأنثى واحدة وهم علي ومحمد وعباس وعون وأم كلثوم وكان قد خطبها معاوية لولده يزيد بن ميسون وحاول بكل وسائله ومغرياته اتمام هذه الصفقة . ولكن خالها الحسين (ع) كان له بالمرصاد فزوجها من ابن عمها القاسم بن محمد بن جعفر [1] وقتل محمد وعون مع الحسين في كربلاء وقدمتهما العقيلة لينالا شرف الشهادة مع اخيها فبرز عون وهو يقول كما تروي كتب المقاتل :

ان تنكروني فأنا ابن جعفر شهيد صدق في الجنان ازهر
يطير فيها بجناح اخضر كفى بهذا شرفا في المحشر

ومضى يقاتل حتى قتل ثلاثة فوارس وثمانية عشر رجلا ثم تكاثروا عليه وقتلوه وبرز بعده اخوه محمد بن عبد الله وهو يقول :

اشكو الى الله من العدوان فعال قوم في الردى عميان
قد بدلوا معالم القرآن ومحكم التنزيل والتبيان

وقتل من اهل الكوفة عشرة من فرسانهم ثم حملوا عليه وقتلوه وكان الذي تولى قتله ابن نهشل التميمي كما ذكر ارباب المقاتل ولم يحدث التاريخ ولا أرباب المقاتل ان العقيلة زينب ندبت ولديها او تعلقت بهما كما كانت الامهات يصنعن حين خروج اولادهن ومصرعهم بل كان الحسين شاغلها الوحيد الذي أنساها كل شيء وهان عليها مصابها بهما .

---

١ ــ انظر ص ١٩١ من اعيان الشيعة المجلد ٣٣ طبعة ١٩٥٠ .

لانهما قتلا في سبيله ، وحتى ان زوجها عبد الله والدهما كان يقول بعد ان بلغته اخبار تلك المجزرة وما جرى لولديه : لقد هون علي مصابهما انهما قتلا مع اخي وابن عمي مواسين له صابرين معه واذا لم اكن قد واسيته بيدي فلقد واسيته بولدي . ودخل عليه احد غلمانه يبكيهما ويقول : ماذا لقينا من الحسين بن علي ؛ فغضب عبد الله وحذفه بنعله وقال له : يا ابن اللخناء أللحسين تقول هذا ، والله لو شهدته لما فارقته حتى أقتل دونه وأفديه بنفسي .

والسؤال الذي قد يعترض البعض هو انه لماذا لم يخرج مع الحسين كما خرجت معه زوجته وأكثر الطالبيين ومن هو أولى من عبد الله بذلك، وقد اعتذر عنه جماعة بأعذار لا تعدو ان تكون من نوع الحدس والتخمين ، والذي اراه ان عبد الله بن جعفر لم يتخلف عن الحسين (ع) الا برأيه وقد أمره بالبقاء في المدينة لاسباب تفرضها المصلحة كما أمر اخاه محمد بن الحنفية بذلك ، ولم يحدث التاريخ عن عبد الله بأنه كان يعصي الحسن والحسين امرا او يخالفهما في شيء ، وقد ذكرنا ان معاوية حينما خطب ابنته لولده يزيد ترك امرها الى الحسين بالرغم من العروض السخية التي عرضها عليه معاوية ، كما ترك امر زوجته زينب من حيث خروجها معه اليه واليها وهو الذي أمر ولديه بالخروج معه وكان مغتبطا باستشهادهما معه ومواساتهما له ، وان سيرته ومواقفه بعد الحسين (ع) لأصدق شاهد على ايمانه واخلاصه في ولائه لعمه وأبناء عمه ولدينه وعقيدته .

افتراءات الأمويين عليه

وجاء في العيون والمجالس للبيهقي ان عبد الله بن عباس وعمرو بن العاص كانا في مجلس معاوية فتعرض عمرو بن العاص لعبد الله بن جعفر ونال منه ، فقال له ابن عباس رحمه الله : ان عبد الله ليس كما تذكر يا ابن العاص ، ولكنه لله ذكورا ولنعمائه شكورا وعن الخنـــي زجورا جواد كريم وسيد حليم لا يدعى لدعي ولا يدنو لدني كمن اختصم فيه من قريش شرارها وغلب عليه جزارها فأصبح آلامها حسبا وأدناها نسبا ، ومضى يقول : وليت شعري بأي قدم تتعرض للرجال وبأي حسب تبارز عند النضال ، أبنفسك وأنت الوغد الزنيم ام بمن تنتمي اليه من اهـــل السفه والطيش والدناءة في قريش لا بشرف في الجاهلية اشتهروا ولا بقديم في الاسلام ذكروا وكان ابن عباس في قوله هذا يعرض بابن العاص لانه كان متهما في نسبه كما تؤكد ذلك اكثر المصادر التـــي تعرضت لتاريخه .

اما ما جاء في بعض المجاميع عنه من انه في الشطر الاخير من حياته كان مولعا بالقيان والغناء واللهو والفساد وما الى ذلك من الافتراءات

فهو من وضع الامويين الذين سخروا بعض الرواة والقصاصين للنيل من مقام امير المؤمنين (ع) ومن يتصل به بنسب قريب او بعيد وعبد الله بن جعفر هو بمنزلة اولاده والابن المفضل عنده من اولاد اخيه جعفر وزوج ابنته عقيلة بني هاشم وكان من ابرز الطالبيين بعد اولاده عنه امـــير المؤمنين (ع) في اكثر صفاته ومواهبه .

لقد شق على معاوية وحزبه ان يبرز حفيد ابي طالب على أقرانه من ابناء المهاجرين والانصار بفضله وعبادته وجوده وكرمه وأن يسميـــه الناس بحر الجود ويتحدثون عنه في نواديهم ومجالسهم بأكرم الصفات والمزايا ولا يذكرون احدا من أحفاد أمية وفتيانهم الا بما هم عليه مـــن ممارسة الفجور والفساد والغناء وانتهاك الحرمات فسخر رواته وقصاصيه لينسبوا اليه ممارسة الغناء والفساد والتلهي بالجــواري والراقصات ، حتى لا يبقى الفساد والفجور من محتكرات ابنائهم وأحفادهم ووقفا على قصورهم ومنتجعاتهم وليصرف الانظار عما شاع وذاع عن ولده الخليع الفاجر ، وليس ذلك بغريب على ابن هند وسليل أمية فلقد كان يعمل بكل ما لديه وبدون حياء وخشية هو ومن سخرهم من الـــرواة والقصاصين ويفتري على علي وولده الحسن سبط الرسول فوضعـــــوا له عشرات الاحاديث التي تسيء اليهما وترفع من شأنه وشأن اسرته ، ويبذل الاموال بلا حساب في هذا السبيل ، وكان بذلك كأنه يأخذ بضبعيهما الى السماء، وكانوا بما رووه له في اسرته وذويه كأنما ينشرون جيف الحمير على حد تعبير الشعبي وعبد الله بن عروة بن الزبير .

لقد حاول ان يضع من شأن الحسن السبط فسخرهم لان يقولوا ان عليا (ع) كان اذا مر على حشد من النساء يقول لهن : من منكن تحب ان تكون زوجة لامير المؤمنين فيقلن له : كلنا مطلقات ولدك الحسن ، وان الحسن (ع) تزوج بأكثر من مائتين وخمسين امرأة الى غير ذلك من

مفترياته . ولم يعد غريبا عليه اذا سخر أذنابه ليلصقوا بحفيد ابي طالب عبد الله بن جعفر وبحر الجود كما كان يصفه الناس ؛ انه كان منصرفا الى القيان والغلمان والجواري الراقصات ليستر بذلك اسراف ولده وأسرته أحفاد أمية بالفجور والمنكرات •

وعلى ذلك مضى من جاء بعده من الامويين فحيث كانت قصورهم تعج بالغلمان والندمان والراقصات . وكانت بناتهم ونساؤهم يمارسن الفجور والرقص والغناء الى جانب الرجال والغلمان سخروا القصاصين والكذبة من الرواة لينسبوا الى سكينة بنت الحسين (ع) شقيقة الامام زين العابدين انها كانت تجتمع الى المغنين والمغنيات والشعراء والمخنثين وتبادلهم الشعر والغناء وعندما يستبد بها الطرب او الاعجاب بشعر احدهم تمد لهم يدها لينتزعوا الحلي من سواعدها ، وما الى ذلك من المنكرات ليستروا بذلك مفاسدهم وفجورهم واستهتارهم نساء ورجالا بالاسلام وتعاليمه وقيمه وآدابه •

لمحات عن المصائب التي اعترضت حياة زينب منذ طفولتها

لقد شاءت الاقدار والصدف ان تتعرض الحوراء زينب بنت علـــي وفاطمة لتلك الاحداث الجسام منذ طفولتها حتى النفس الاخير من حياتها وأصبحت حياتها محفوفة بسلسلة من الآلام منذ البداية وحتى النهاية .

صحيح ان كل انسان لا تخلو حياته من الهموم والمتاعب والآلام من غير فرق بين عامة الناس وبين ذوي الجاه والسلطان والثراء ، وقديما قيل : اذا انصفك الدهر فيوم لك ويوم عليك ، ومن الذي استطاع في حياته ان ينجو من البلاء والنكبات وأن يحقق جميع رغباته وما يطمح اليه في حياته ، ولم يبتلى اما بنفسه او بعزيز من أعزائه وأبنائه او بأشخاص من خارج اسرته ينغصون عليه حياته .

ولكن من غير المألوف ان يكون الانسان مستهدفا للمحن والأرزاء والمصائب منذ طفولته وحتى اخر لحظة من حياته وأن يعيش في خضم الاحداث والمصائب والأرزاء كما عاشت عقيلة الهاشميين التي احاطت بها الشدائد والنوائب من كل جهاتها وتوالت عليها الواحدة تلو الاخرى حتى وكأنها واياها على ميعاد وأصبحت تعرف بأم المصائب اكثر مما تعـرف

باسمها •

فقد شاهدت جدها المصطفى وهو يصارع الموت وأمها وأبوها وخيار الصحابة يتلوون بين يديه مذهولين عن كل شيء الا عن شخصه الكريم ومصير الاسلام من بعده : وشاهدت وفاته وانتقاله الى الرفيق الاعلى وفجيعة المسلمين به وبخاصة ابيها وأمها ، وسمعت اباها امير المؤمنين يقول يومذاك : لقد نزل بي من وفاة رسول الله (ص) ما لم اكن أظن الجبال لو حملته عنوة كانت تنهض به ، ورأيت الناس من اهل بيتي ما بين جازع لا يملك جزعه ولا يضبط نفسه ولا يقوى على حمل ما نزل وحل به ، وبين من أذهب الجزع صبره وأذهل عقله وحال بينه وبين الفهم والافهام والقول والإسماع • وليس ذلك بغريب ولا مستهجن اذا أصيب اهل البيت بذلك وأكثر منه فان تأثير المصائب والاحداث انما يكون حسب جسامتها وما يرافقها ويحدث بعدها على ذوي الفقيد وعلى مجتمعه ، وأهل البيت (ع) من أعرف الناس بمقام النبي وأكثرهم انصهارا بمبادئه ورسالته وبما قدمه للبشرية في كل عصر وزمان ويدركون الاخطار التي ستحيط بالرسالة وبهم ممن لم يخالط الاسلام قلوبهم وممن كانوا ينتظرون وفاته بفارغ الصبر •

هذا بالاضافة الى انه كان قد حدث اهل بيته بكل ما سيجري عليهم من بعده وكرره على مسامعهم اكثر من مرة تصريحا وتلويحا ، وحتى ساعة وفاته كان ينظر اليهم .ويبكي وقال لمن سأله عن بكائه : ابكي لذريتي وما يصنعه,معهم شرار أمتي من بعدي •

لقد شاهدت زينب كل ذلك وكانت تتلوى وتتألم الى جانب امها وأبيها ، وشاهدت محنة امها الزهراء وبكائها المتواصل على ابيها في بيت الاحزان ، ودخول القوم الى بيتها وانتهاك حرمتها واغتصاب حقها وارثها واسقاط جنينها ، وهي تستغيث وتناشد القوم ان يراعوا وصية

رسول الله (ص) فيها وفي اهل بيته فلا تغاث ، هذا وبلا شك فان العقيلة يومذاك كانت تتلوى وتصرخ الى جانب امها وتكاد صرختها تخرج من حشاها اللاهب الذي يقطعه الاسى والالم، وبعد ايام معدودات من مواقف القوم واسقاط جنينها من آثار تلك الصدمة شاهدت امها جثة هامدة على المغتسل تجهزها اسماء بن عميس وجاريتها فضة الى مقرها الاخير بجوار ابيها الذي بشرها بالموت السريع وقال لها : انت اول بيتي لحوقا بـي فابتسمت للموت السريع الذي لا يبتسم له الا من اتخذ عند الرحمن عهدا، ورأت اباها وهو يبكيها ويندبها بقوله: قل يا رسول الله عن صفيتك صبري ورق عن سيدة النساء تجلدي . لقد استرجعت الوديعة وأخذت الرهينة وستنبئك بتضافر أمتك على هضمها فاحفها السؤال واستخبرها الحال ، اما حزني فسرمد وأما ليلي فمسهد . الى اخر ما جاء عنه في وداعها وهي تتلوى لفقد امها وما حل بأبيها .

وظلت تتجرع آلام تلك الاحداث طيلة حياتها وشاهدت بعد ان اصبحت زوجة وأما لاسرة من أحفاد جدها ابي طالب مصرع ابيها امير المؤمنين وآثار تلك الضربة الغادرة بسيف البغي والعدوان في رأسه وسريان السم في جسده الشريف ودموعه تنحدر على خديه وهو يقلب طرفه بالنظر اليها تارة والى أخويها الحسن والحسين اخرى ويتلوى لما سيجري عليهم من بعده من مردة الامويين وطواغيتهم .

وشاهدت اخاها الحسن السبط أصفر اللون يجود بنفسه ويلفظ كبده قطعا من آثار السم الذي دسه اليه ابن هند وكان من في البيت قد وضعوا طشتا بين يديه وهو يقذف كبده فيه ، ولما أحس بدخولها عليه كالمذهولة امرهم باخراج الطشت من امامه اشفاقا عليها ، وحينما حمل المسلمون نعشه لمواراته الى جانب مرقد جده كما كان يتمنى رأت عائشة المسماة بأم المؤمنين على بغلة وحولها طواغيت بني أمية وهـي

تصيح بأعلى صوتها : والله لا يدفن الحسن مع جده او تجز هذه مشيرة الى ناصيتها وتقول لمن كان محيطا بنعشه من الهاشميين : يا بني هاشم لا تدخلوا بيتي من لا احب وهي لا تملك من البيت غير الثمن من التسع ورأت أخاها الحسين (ع) حينما واراه في قبره يبكيه بلوعة وأســف ويقول :

سأبكيك ما ناحت حمامـــة ايكة	وما اخضر في دوح الحجاز قضيب
أأدهن رأســي ام تطيب مجالسي	وخـــدك معفـــور وأنت سليب
غريب واكنــاف الحجاز تحوطـه	الا كـــل من تحت التراب غريب
فلا يفرح الباقي ببعد الذي مضى	فكـــل فتى للموت فيه نصيب
بكائـــي طويل والدموع غزيرة	وأنت بعيـــد والمـــزار قريب
وليس حريبا مـن أصيب بماله	ولكن من وارى اخـــاه حريب

وكانت العقيلة شريكته في كل ما كان يعانيه لفقد اخيه وما رافق ذلك من أحداث تلت وفاته واستمرت طيلة حياتها في سلسلـــة من المصائب والاحزان بين الحين والاخر طيلة تلك الاعوام حتى كانت مصيبتهـــا الكبرى باخوتها وسراة قومها على صعيد كربلاء واشتركت بأكثر فصولها، ولم يبق غيرها لتلك القافلة من النساء والايتام والاسرى بعد تلك المجزرة الرهيبة وخلال مسيرتها من كربلاء الى الكوفة ومنها الى الشام عاصمة الجلادين •

هكذا كانت حياة السيدة زينب من حين طفولتها الى الشطر الاخير من حياتها حياة مشبعة بالاحزان متخمة بالمصائب والآلام وبعد هـــذه الاشارة الموجزة الى جميع مراحل حياتها يحق لنا ان تســاءل عن مواقفها من تلك الاحداث ، هل أصيبت بما تصاب به النساء وحتى الرجال من الاضطراب ، وهل هيمنت عليها العاطفة العمياء التي لا يبقى معها اثر لعقل

ودين وخرجت عن حدود الاحتشام والاتزان كما يخرج عامة الناس في مثل هذه الحالات والاحداث الجسام . لقد كانت ابنة محمد وعلي وفاطمة وأخت الحسنين وحفيدة ابي طالب أثبت من الجبال الرواسي وأقوى من جميع تلك الاحداث والخطوب التي لا يقوى على مواجهتها احد من الناس . لقد وقفت في مجلس ابن زياد في الكوفة متحدية لسلطانه وجبروته تنقض عليه كالصاعقة غير هيابة لوعيده ولا لسياط جلاديه . كما وقفت نفس الموقف في مجلس بن ميسون وأثارت عليه الرأي العام الاسلامي بحجتها ومنطقها مما جعله يتباكى على الحسين ويكيل الشتائم لابن مرجانة كما ذكرنا .

لقد تحولت تلك المحن والمصائب بكاملها الى عقل وصبر وثقة بالله، وكشفت كل نازلة نزلت بها عن اسمى معاني الكمال والجلال في نفسها وعقلها وعن اسمى درجات الايمان والصبر الجميل ولم يكن اعتصامها بالله وثقتها به الا صورة صادقة لاعتصام جدها وأبيها وثقتهما به في أحلك الساعات وأشد الازمات ، وأي شيء أدل على ذلك من قيامها بين يدي الله سبحانه للصلاة ليلة الحادي عشر من المحرم وأخيها الحسين وبنيها واخوتها وأبناء عمومتها وأصحاب اخيها جثث على ثرى الطف تسفى عليهم الرياح ، ومن حولها عشرات النساء والاطفال في صياح وعويل يملأ صحراء كربلاء وجيش ابن زياد وابن سعد يحيط بها من كل جانب .

ان صلاتها في تلك الليلة وفي ذلك الجو الذي يذهل فيه الانسان عن نفسه مهما بلغ من رباطة الجأش وقوة الارادة كصلاة جدها رسول الله (ص) في المسجد الحرام في مطلع الدعوة والمشركون يومذاك على شراستهم يحيطون به من كل جانب ومكان يرشقونه بالحجارة وبما أعدوه لاهانته من الاوساخ والنافيات ويتوعدونه بكل انواع الاساءة ،

وكصلاة ابيها امير المؤمنين في وسط المعركة في صفين والقتلى تتساقط عن يمينه وشماله . ومعاوية يحرض جيشه على مواصلة القتال واغتياله بكل الوسائل وكصلاة اخيها سيدة الشهداء في وسط المعركة يوم العاشر من المحرم وسهام اهل الكوفة تنهال عليه من كل جانب ومكان . وان لم يكن لها الا قولها حين مروا بموكب السبايا في طريقهم على مصارع القتلى ورأت اخاها الحسين وبنيها واخوتها وأبناء عمومتها وأنصارهم أشلاء مبعثرة هنا وهناك ان لم يكن لها الا قولها حين نظرت الى تلك الاشلاء اللهم تقبل منا هذا القربان يكفيها لان تكون فوق مستوى الانسان مهما بلغ من العلم والمعرفة والصبر وقوة الايمان .

وخلال حديثي عن ثورة الحسين (ع) لقد عرضت بعض الجوانب من مواقف العقيلة في كربلاء خلال المعركة وبعدها وفي الكوفة مع اهالي الكوفة الذين خرجوا يبكون ويندبون الحسين ومن قتل معه ، ومع ابن مرجانة في قصر الامامة ، كما تعرضت لبعض مواقفها مع يزيد بن ميسون في قصر الخضراء حينما رأت الابتسامة تملأ شدقيه ورأس اخيها سيد الشهداء بين يديه ينكث ثناياه بمخصرته ويتمنى حضور اشياخه الذين صرعهم علي بن ابي طالب والد الحسين في معركة بدر الى غير ذلك من مواقفها الكريمة التي ضربت فيها اروع الامثلة في البطولات والشمم والمثل العليا ، وبينت بمواقفها للعالم في كل عصر وجيل ان المرأة المسلمة باستطاعتها ان تزعزع عروش الطغاة وفراعنة العصور وأن تقلب الدنيا على رؤوسهم كما فعلت ابنة علي والزهراء .

مرقد العقيلة زينب بنت علي (ع)

وأرى بعد هذا العرض السريع للمراحل التي مرت بها العقيلة في بيت ايها وزوجها ومع اخيها في رحلته الى الشهادة ان أتحدث ولو بأقصى ما يمكن من الايجاز عن مرقدها الذي ادعته الاقطار الثلاثة المدينة المنورة في الحجاز ، ومحلة الفسطاط من القاهرة في مصر ، ومحلة الغوطة في القرب من دمشق الشام ولها مرقدان حتى يومنا هذا في القاهرة ودمشق الشام تقصدها مئات الالوف كل عام من المسلمين لزيارتهـــا والتبرك بمرقدها والتوسل الى الله بجدها المصطفى وأبيها المرتضى وأمها الزهراء لقضاء حوائجهم ، اما قبرها في المدينة فلقد كان في البقيع الى جانب غيره من قبور اهل البيت وصلحاء المسلمين من صحابة الرسول وغيرهم، ولما انتقلت السلطة الى الوهابيين وحكموا الحجاز هدموا قبور اهـل البيت وغيرهم من المسلمين وحاولوا هدم قبر النبي (ص) بحجة ان بناء القبور وزيارتها من انواع الشرك بالله لولا الضجة العالمية من جميــع المسلمين في جميع انحاء العالم التي اعترضت تصميمهم على هدمه .

انهم يرون زيارة البناء الذي يضم رفات الانبياء والصديقين والائمة

الطاهرين شركا والحادا . اما القصور التي تجمـــع بين جدرانها آلاف الجواري والراقصات ومئات الاطنان من الخمور فلا تتنافى مع الاسلام ولا مع تعاليمه ومقدساته عند أدعياء الاسلام وحكام العصور ان تقديس المسلمين لقبر النبي (ص) وقبور الائمة الطاهرين وزيارتهم الذين ضحوا بانفسهم وبكل ما يملكون في سبيل الاسلام ومقدساته ومن اجـــــل الانسان وكرامته التي داسها الامويون وفراعنة العصور بأقدامهم . ليست الا احتجاجا صارخا على الباطل وأهله وتعبيرا صادقا عن الاخلاص للحق والنقمة على الجور وصواعق تنهال على رؤوس الطغاة والظالمين في كل زمان ومكان .

مع الوهابيين بمناسبة الحديث عن مرقد العقيلة

بهذه المناسبة وقبل الخوض في تفاصيل ما قيل حول مرقدها ونظرا لان الوهابيين يرون تشييد قبور الاولياء وزيارتها من انواع الشرك ولا يزالون يواصلون حملاتهم المسعورة على الشيعة رأيت نفسي مدفوعا الى هذه الوقفة القصيرة معهم لأعود بعدها الى مواصلة الحديث عن مرقدها الذي تضاربت الآراء حوله ، لان السكوت الذي التزمناه عن اولئـك المسعورين حرصا منا على وحدة الصف لم يضع حدا لعدوانهم بل زادهم امعانا في البغي والعدوان والتعامل مع الشيعة بأسوأ من معاملتهم لغير المسلمين كما سنقدم بعض الارقام على ذلك..

ان حماة الحرمين يحافظون على معابد السنة ومقابرهم ويبذلـــون لتشييدها وترميمها الملايين من الدولارات ونحن نبارك عملهم هذا لو كانوا لا يميزون بين مسجد ومسجد ولا بين مقبرة ومقبرة ولكنهم ومع الاسف الشديد لا يبذلون قرشا واحدا على مساجد الشيعة ومعابدهم ويتتبعون قبور صلحائهم وأوليائهم بالهدم والتخريب ويدعون بـــأن تشييد قبور الانبياء والائمة من ذرية الرسول كفر وشرك بالله مع العلم

بأن الشيعة انما يحترمون قبور الانبياء والائمة باعتبارها رمزا لمن حل بها من اولئك الذين ضحوا بأنفسهم وبكل ما يملكون في سبيل الله والاسلام والمستضعفين في الارض وكانوا ثورة على الشرك والظلم والعدوان ومن اجل الانسان وكرامة الانسان .

ولم يكتف الوهابيون بذلك بل يعاملون الشيعة بأسوأ مما يعاملون به الكفار والمشركين بالله كما ذكرنا فلا يقبلون شهادة الشيعي على غيره مهما بلغ من الدين والتقوى ويقبلون شهادة السني والبدوي عليه ولو خرجا من نوادي القمار وموائد الخمور ومن بين أحضان البغايا والمومسات في حين ان الشيعة يقبلون شهادة البدوي والقروي والنجدي على الشيعي وغيره اذا كان الشاهد عادلا ملتزما بفعل ما أمر الله به وترك ما نهى عنه ، هذا مع العلم بأن الحنابلة الذين يعمل الوهابيون بفقههم لا يقبلون شهادة البدوي على القروي ويقبلها الوهابيون اذا كان البدوي نجديا والقروي من خارج نجد [1] .

ان الوهابيين يفرقون بين الشيعي وغيره في اكثر الاحكام الشرعية ويحاربون جميع الآثار الشيعية ويبذلون ملايين الدولارات للدس والكذب على الشيعة وأئمة الشيعة الذين بذلوا حياتهم وجميع ما يملكون في سبيل الاسلام والمسلمين ولم يفرقوا بين فئة وفئة ولا فريق وفريق ما دام الجميع يشهدون لله بالوحدانية ولمحمد بالنبوة والرسالة .

انهم يتعاملون مع الشيعة بنفس الروح التي كان يتعامل بها معهم الامويون والعباسيون ويراقبون جميع تحركاتهم وتصرفاتهم حتى وكأنهم من ألد اعداء العرب والاسلام ولم يأخذوا بأي أثر من آثار اهل البيت التي

---

١ ــ ميزان الشعراني في باب الشهادات .

تجسد اسلام محمد بن عبد الله ويمنعون جميع الكتب الشيعية القديم منها والحديث من الدخول للبلاد التي يحكمونها في شبه الجزيرة العربية ويحظرون على بائعي الكتب استيراد جميع المؤلفات الشيعية التي تتحدث عن الدين والاخلاق الاسلامية والادب والفلسفة والتاريخ وما الى ذلك من المواضيع الاسلامية مع العلم بأن اصحاب تلك المؤلفات يحملون روحا اسلامية صادقة تدافع وتناضل عن كل من ينتسب الى الاسلام حتى ولو لم يكن شيعيا ؛ ولا يتعرضون في مؤلفاتهم للعائلة الحاكمة ولا لسياستهم وسيرتهم واسرافهم في اللهو والمنكرات كما تتحدث عنهم الصحف ووكالات الانباء العالمية والاجنبية ولا ذنب للشيعة الا انهم يوالون اهل بيت نبيهم محمد بن عبد الله (ص) الذين أمر الله بمودتهم كما جاء في الآية لا اسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى وأكدته عشرات النصوص التي روتها مجاميع الحديث السنية وصحاحهم .

انهم يمنعون الكتب الشيعية ومؤلفات الشيعة القديم منها والجديد من الدخول لبلادهم ويعاقبون من يستوردها ويقتنيها ويقتنون ويستوردون كتب الفسوق والفجور والخلاعة والمستشرقين من اعداء الاسلام والكتب التي تعلم الناس الفوضى والفساد والكفر والالحاد ، والتي تعود بالحياة مئات السنين والاعوام الى الوراء ، ويحاربون الكتب التي تدعو الى الاسلام وتدافع عنه وتحث على العمل بكتاب الله وسنة نبيه رسول الرحمة والحرية والكرامة .

ان شيوخ الوهابية في اواخر القرن العشرين يحكمون بعدم صحة زواج السنية من الشيعي الموالي لعلي وآل بيت نبيهم محمد بن عبد الله رسول الرحمة والعدالة والمحبة كما يحكمون بعدم صحة زواجها من المشركين .

فقد جاء في جريدة الجزيرة السعودية عدد ٣١٠٥ تاريخ ١٤ شباط

سنة ١٩٨١ – ١٠ ربيع الثاني ١٤٠١ جاء فيها سؤال موجه الى احد شيوخ الوهابية من شخص يدعى حسين حاجي في الرياض يسأل فيه ما حكم زواج السنية من الشيعي • ويقول الشيخ الوهابي في جوابه كما جاء في الجريدة المذكورة : لا يجوز زواج السنية من الشيعي ولا يقبل هذا الزواج ويفسخ اذا حصل ويعاقب من يفعل ذلك لان اهل السنة والجماعة طريقهم معروف في القول والعمل والاعتقاد والشيعة طريقهم معروف ولا مقاربة بينهما لا في الاصول ولا في الفروع •

بهذه الصلافة والوقاحة والجرأة على الله ورسوله يتكلم احد شيوخ الوهابية ويحكم بفساد عقد النكاح اذا وقع بين سنية مسلمة وشيعي مسلم وبفسخه ومعاقبة من يفعل ذلك . وينطلق شيخ الوهابيين لجوابه هذا وهو في اواخر القرن العشرين من ان الشيعة لا يلتقون ولو من بعيد مع اهل السنة لا في أصول الاسلام ولا في فروعه •

وهذا الجواب وان كان من نوع اللغو والهذيان ولا يستحق غير السخرية . ولكني ارى لزاما علي ان اقول لهذا الشيخ ولغيره من شيوخ السوء الحاقدين على اهل البيت وشيعتهم والذين يتكلمون بلغة الامويين وابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب ، ان أصول الاسلام عند الشيعة هي توحيد الله الواحد الاحد وعدله ونبوة محمد بن عبد الله والمعاد ، وفروع الاسلام هي الصلاة والصيام والحج والزكاة وجهاد الكافرين والظالمين المستهترين بأحكام الله وحقوق الناس وكرامتهم وهذه الاصول والفروع يجب الالتزام بها على كل بالغ عاقل قولا وعملا والشيعة يعتقدون بأنهم يلتقون مع اخوانهم اهل السنة في أصول هذه المبادىء والاعتراف بها وعلى اساس ذلك فهم يزوجون اهل السنة من بناتهم ويتزوجون بنات اهل السنة •

واذا كان المذهب الوهابي الذي قيل عنه في جميع الاوساط

السنية بأنه بدعة ولا يزال هذا الوصف شائعا عنه بين اهل السنة الى جانب قولهم بأنه لا يمت الى الاسـلام بسبب ، اذا كـان المذهب الوهابـي لا يعترف بهذه الفروع والاصول او ببعضهـا فـلا مقاربة بين الشيعة والوهابية كما يدعي فضيلة الشيخ الوهابي ، والشيعة بناء لذلك لا بد وأن يلتزموا بأنه لا يصح زواج الشيعية من الوهابـي واذا وقع بينهما زواج يفسخ الزواج ويعاقب من يفعل ذلك ، ويجب ان يعلم فضيلة الشيخ الوهابي الذي يكفر الشيعة لانهم يوالون اهـل البيت (ع) انه لولا المليارات التي تتدفق على البلاد الاسلامية مـن السعودية لكان المذهب الوهابي بدعة بنظر اكثر علماء السنة ومفكريهم، وقد سبق لعلماء السنة قبل ان يظهر البترول في تلك البلاد وفي عهـد ابراهيم باشا بالذات الذي ملك بلادهم ودخل عاصمتهم الدرعيـة ان حكموا على المذهب الوهابي بذلك وعلى اساسه قتل ابراهيم باشا نحوا من خمسمائة من علمائهم وفقهائهم .

فقد جاء في كتاب ابراهيـم باشا للمستشرق (بيير كريبس) ص ٤٠ طبعة سنة ١٩٣٧ جاء فيه انه لما تغلب ابراهيم باشا على السعوديين وملك بلادهم ودخل عاصمتهم الدرعية وخضع له جميع أمراء البيت السعودي استدعى رجال الدين والفقهاء السعوديين وكان عددهم خمسمائة وقال لهم : لقد احضرت معي من القاهرة جماعة من اكابر العلماء السنيين أريد ان تجتمعوا بهم وتبحثوا اسباب الخلاف المستحكم بين عقائدكم وعقائد اهل السنة من المسلمين، فاجتمع الفريقان نزولا عند امره وظل خطباؤهم ثلاثة ايام كاملة يتناقشون في الفروق الدقيقة بين المذهبين وابراهيم باشا معهم يستمع لاقوال الفريقين ولما لم يتوصلوا الى نتيجة حاسمة أقفل باب الجدل وتوجه بالسؤال الى كبير مشايخ الوهابيين وقال له :

هل تؤمن بأن الله واحد وان الدين الصحيح هو دينكم وحده فقال له الشيخ : اني أؤمن بذلك ، فقال له ابراهيم باشا : ما رأيك في الجنة

ايها الخنزير وما عرضها على حد تعبير المؤلف ، فقال له الشيخ : عرضها كعرض السموات والارض أعدت للمتقين . وهنا قال له الباشا : اذا كان عرضها كعرض السموات والارض وأنت وأصحابك تظللكم شجرة واحدة من شجراتها فلمن تكون المساحة الباقية ولماذا جعلها الله بتلك السعة اذا كنتم وحدكم من اهلها كما تدعون . فأفحم الشيخ وبان عليه الفشل والانكسار فأمر ابراهيم باشا جنوده بقتلهم عن آخرهم فلم تمض سوى دقائق معدودة حتى كان مسجد الدرعية مقبرة لجميع اولئك الفقهاء [1] .

ان ما فعله ابراهيم باشا بفتوى فقهاء السنة لا يقره المذهب الشيعي ولا يكفر فقهاء الشيعة احدا من اهل القبلة سواء في ذلك الوهابيين وغيرهم ما لم ينكروا اصلا من أصول الاسلام وفرعا من فروعه او يعلن ارتداده عن الاسلام وان كان الشيخ الوهابي وغيره من شيوخ السوء يعتبرون الشيعة كغيرهم من المشركين والكافرين كما يقتضيه حكمهم بعدم جواز تزويجهم من السنيات .

ويجب ان يعلم شيوخ الوهابية بأن الشيعة يؤمنون بالله الواحد الاحد الذي لا شبيه له ولا ولد وبنبوة محمد بن عبد الله وبكل ما جاء به من عند الله ويعتبرون الصلاة والصيام والزكاة وجهاد الكافرين والمفسدين في الارض والظالمين من أركان الاسلام ومن أنكر شيئا من ذلك فهو بحكم الكافرين والمشركين عندهم ويفرضون على الرجال والنساء ان يتعلموا أصول دينهم وفروعه كما يكفرون القائلين بالتجسيم والتشبيه والحلول والاتحاد من فرق المسلمين كما يجب

---

١ ـ انظر ص ١٩٤ و١٩٥ من الشيعة والحاكمون للشيخ محمد جواد مغنية عن كتاب ابراهيم باشا .

ان يعلـــم شيوخ الوهابية ان الخلافـــات الواقعة بين السنـــة والشيعـــة فـــي الاصول والفروع ليست بأكثر ولا اســـوأ من الخلافات الواقعة بين الفرق السنية العقائدية والمذهبية وان الخلاف بين السنة والوهابيين قد بلغ اقصى حدوده ومن اجل ذلك فقد عدهم اهل السنة من اصحاب البدع وأباد فقهائهم ابراهيم باشا بفتوى علماء السنة كما ذكرنا ولكن ذلك قد كان قبل ظهور البترول في بلادهم .

ومع ان الشيعة لم يقفوا في يوم من الايام من الوهابيين موقف اهل السنة منهم فالشيعة قد كانوا ولا يزالون مستهدفين لحملاتهم المسعورة وتدرس حكومة الوهابيين في مدارسها الرسمية كتب المستأجرين الذين يزوّرون التاريخ ويفترون على اهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس كما نصت على ذلك الآية الكريمة والذين جعلهم النبي كسفينة نـــوح لا ينجو الا من تمسك بهم كما روت ذلك اكثر مجاميع الحديث السنيـــة وفي السنة الماضية اصدرت وزارة الاوقاف كتابا للجبهان اسماه تبديد الظلام وتنبيه النيام ووزعته مجانا في البلاد الاسلامية مشحونا بالكذب والافتراء على الشيعة وأئمة الشيعة والسباب والشتائم لعلمائهم ومؤلفيهم وبلغت به الوقاحة والصلف ان تناول فيه امام المسلمين والاستاذ الاكبر لقادة فقهاء المذاهب الاسلامية الاربعة كما يعترف بذلك اهل السنة فـــي مؤلفاتهم جعفر بن محمد الصادق عليه السلام ووصفه بالماصونية وانه هو الذي وضع أصولها ، وقد أهدي الي الكتاب فرفضت قبولـــه وأفتيت بحرمة اقتنائه وقراءته لانه من كتب الضلال التي يجب اتلافها ووضعها في بيوت الخلاء ومع النفايات .

ويجب ان يعلم الوهابيون وأسيادهم ان الطاقات العلمية والفكريـــة والادبية الموجودة عند الشيعة وعلمائهم ومفكريهم ليست موفورة لدى احد من علماء الوهابيين وغيرهم وباستطاعة الشيعة ان يردوا الصاع اكثر من صاعين والليل اكثر من مثليه وأن يثبتوا للجبهان وغيره من شيوخ

الوهابية المبتدعة المسعورين الذين لا يعرفون من الاسلام الا اسمه ان الشيعة هم المسلمون الذين كانوا ولا يزالـــون متمسكين وعاملين بإسلام محمد بن عبد الله (ص) كما انزل عليه من خالق الارض والسماء وغيرهم شذ عن الاسلام وانحرف عنهقولا وعملا وفكرا ولكنهم لا ينزلون الى مستوى الجبهان وأمثاله من حلفاء الشيطان الحاقدين على اهل البيت وشيعتهم لان ذلك لا يخدم مصلحة الاسلام ولا يستفيد منه سوى اعداؤه وستبقى مصلحة الاسلام العليا هدفهم الاول والاخير كما عودهم علـى ذلك ائمتهم (ع) وسلام الله وتحياته على سيد المسلمين وامامهم امـير المؤمنين الذي كان يتجاهل كل حقوقه ويتنكر لجميع مصالحه عندما يرى الخطر محدقا بالاسلام ويقول : والله لأسالمن ما سلمت أمـور المسلمين ولم يكن جور الا علي خاصة .

وانا نناشد المسؤولين في المملكة السعودية ان يراقبوا تصرفـات شيوخهم وأحكامهم الجائرة ودائرة الاوقاف التي تبذل الملايين على طباعة كتب المسعورين والحاقدين على الاسلام وحماته وعلمائه كالجبهان وأمثاله الذين يسيئون في كتبهم وأحكامهم وأجوبتهم على ما يوجه اليهم من الاسئلة الى أئمة المسلمين وعلماء المسلمين ويعملون على تمزيق شمـل الامة وتبديد وحدتها وقوتها وطاقاتها التي يجب ان تستغل لصد هجمات الاعداء من الشرق والغرب وتحرير القدس أولى القبلتين من أيدي الغزاة الغاصبين : والمسلمون في ايامهم هذه في أمس الحاجـة الى المخلصين العاملين لجمع الكلمة وتوحيد الصفوف ونبذ الخلافات الطائفية والمذهبية التي لا تخدم غير اسرائيل وأعوانها من اعداء العرب والاسلام .

كما نتمنى على علماء المسلمين في مصر وغيرها من الاقطار الاسلامية ان لا يقفوا موقف المتفرج من تلك التحديات والاستفزازات التي تصدر من شيوخ الوهابيين بين الحين والاخر لاخوان لهم في الدين لا لشيء الا لانهم يدينون بالولاء والمحبة لاهل بيت رسول الرحمة والمحبـــة

والكرامة وأن ينصحوا اولئك الشيوخ وحكامهم بالكف عن التحرش والتحديات السافرة المتواصلة للطائفة المسلمة الشيعية التي تشكل اكبر مجموعة في العالم الاسلامي ، وأن يصرفوا طاقاتهم المادية والعلمية لرد هجمات العدو المشترك في الشرق والغرب وصنيعته الجاثم على حدودهم والطامع الاول بخيرات بلادهم وحسب تقديري ان نداء واحدا يوجهه شيخ الازهر لحكام السعودية بهذا الخصوص سيكون أجدى وأنفع من كتاب يصدره احد الشيعة لرد تلك الهجمات المسعورة .

ومهما كان الحال فلقد جرني الحديث عن موقف الوهابيين من قبور الائمة والاولياء الى هذه الصورة الموجزة عن حملات الوهابيين على الشيعة والتي ما زالت تتصاعد بين الحين والاخر مكتفيا بهذا المقدار اليسير من الحوار الهادىء مع الوهابيين لأعود الى الحديث عن مرقد العقيلة وموقف الشيعة من زيارة القبور ولأقول لهؤلاء ان الصخور والاحجار ليست الهدف والغاية ، ولو كانت هي المقصودة لذاتها لكان في الجبال الشامخات والصخور العاليات غنى عن مشقة السفر والترحال الى مراقد الائمة والاولياء ان المقصود بالذات من الزيارة تخليد ما قدمه صاحب القبر من المثل العليا والتضحيات الجسام في سبيل الحق والواجب والعقيدة والمستضعفين في الارض من بني الانسان .

اما الاحجار فليس لها الا شرف الانتساب لصاحب القبر كالاحجار التي بني منها البيت الحرام ومسجد الرسول وسائر المعابد وكجلد القرآن الكريم [1] .

---

١ ـ لقد حكم فقهاء المسلمين بتحريم تنجيس المساجد ارضها وحيطانها وما فيها من الفرش وأوجبوا ازالة النجاسة عنها وقالوا بتحريم مس كتابة القرآن الكريم لغير المتوضأ ، وقال الشافعية : لا يجوز مس جلده حتى ولو انفصل عنه ولامس الخيوط المعلق بها القرآن .

وقد جرت عادة الامم والدول في زماننا هذا على الاحتفاظ ببيوت عظمائها وقبورها واحاطتها بهالة من التقديس والتعظيم حتى ولو عرض للبيع اي شيء ينتسب للعظماء لبذل اتباعه في سبيله اغلى الاثمان ، وما ذاك الا لشرف الانتساب اليه .

وحدث المؤرخون انه حين أدخل رأس الحسين (ع) على يزيد بن معاوية كان في مجالس الشراب فوضعوا الرأس بين يديه ، فدخل عليه رسول ملك الروم في ذلك الوقت فأنكر عليه أشد الانكار حينما علم ان الرأس للحسين ابن بنت نبيهم ، وقال ليزيد : هل سمعت يا يزيد بكنية الحافر ؟ قال : وما هي ؟ قال : عندنا مكان يقال بأن الحمار الذي كان يركبه عيسى بن مريم مر به فبنينا كنيسة في ذلك المكان سميناها كنيسة الحافر نسبة الى حافر حمار عيسى ، ونحن نحج الى المكان في كل عام ومن كل قطر وناحية وننذر له النذور ونعظمه كما تعظمون كتبكم ومقدساتكم وأنتم تقتلون ابن نبيكم وتطوفون برأسه في البلدان، فأشار عليه جلاوزته بقتله لئلا يفضحه بعد رجوعه لبلاده فقتله وصلبه على باب قصره بعد ان قام النصراني الى الرأس فقبله وتشهد الشاهدين .

وهذا شيء مألوف لدى جميع الامم على اختلاف اديانهم ومعتقداتهم والكل حينما يعظمون مرقدا او اثرا من آثار عظمائهم انما يعظمونه باعتباره رمزا لما كان يتمتع به من صفات ومواهب وما قدمه لأمته ووطنه من خدمات وتضحيات واصلاحات .

وقال العقاد في كتابه (ابو الشهداء) : ان حرم الحسين (ع) في كربلاء يزوره المسلمون للعبرة والذكرى ، ويزوره غيرهم للنظر والمشاهدة ، ولكن كربلاء لو أعطيت حقها من التنويه والتخليد لحق لها ان تصبح مزارا لكل آدمي يعرف لبني نوعه نصيبا من القداسة وحظا من الفضيلة ، لاننا لا نذكر بقعة من بقاع هذه الارض يقترن اسمها بجملة

من الفضائل والمناقب اسمى وألزم لنوع الانسان من تلك التي اقترنت باسم الحسين (ع) بعد مصرعه فيها ولولا الحسين وشقيقته زينب شريكته في الجهاد والتضحيات وبقية الائمة لم تكن تلك القباب الشامخة التي اصبحت رمزا للحق والعدالة والفضيلة ومقصدا لمئات الالوف من المسلمين في كل عام شيئا مذكورا .

ومهما كان الحال فمرقد العقيلة زينب بنت علي وفاطمة مردد بنظر العلماء والباحثين بين المدينة المنورة والشام ومصر ، وكما ذكرنا ان مرقدها في المدينة لم يعد له وجود كغيره من مراقد الائمة وأعلام الصحابة والتابعين ؛ لان بناء المراقد وتعظيم من حل فيها على حد الشرك بالله بنظر حماة الحرمين : اما المرقدين المنسوبين اليها في الشام ومصر فلا يزالان كعبة الوفاد في كل عام على مرور الشهور والايام تقصدهما مئات الالوف للزيارة والتوسل بها وبأبيها وجدها لقضاء حوائجهم ، ولا أحسب ان الذين يتوافدون على زيارة ابيها وأخيها في كربلاء والنجف اكثر ممن يتوافدون على المرقدين المنسوبين اليها في الشام والقاهرة . وجاء في جريدة الاهرام تاريخ ٢٣-٦-١٩٧٢ مقال للاستاذ فتحي رضوان وزير الثقافة يومذاك يصف فيه الوافدين على حي السيدة زينب جاء فيه:

ان مسجد السيدة زينب تشد اليه الرحال وكأنه الكعبة اكثر مما تشد الرحال الى المسجد الحسيني ، فالالوف الذين يقصدون هذا المسجد من فقراء الريف والحضر من النساء والرجال والمرضى وأصحاب الحاجات من المغلوب على امرهم والذين سدت في وجوههم الابواب وتحطمت الآمال كانوا قد اطلقوا على صاحبة الضريح اسماء تدخل الى قلوبهم العزاء وتبعث فيهم الرجاء وكانوا يهتفون حول قبرها : يا أم العواجز ويا أم هاشم ويا ابنة محمد والزهراء ، ومضى يقول : ولكم رأيت رجالا ونساء في مقتبل العمر وفي خريف الحياة قد وضعوا ايديهم على شباك ضريح السيدة

زينب ورائحة البخور تملأ المسجد كله وراحوا يهمسون في ذهن أم العواجز وقد تشأت لهم بشرا يسمع ويتنفس ويمد راحتيه ويضعهما بين أيدي الزائرين والقاصدين وأصوات الزائرين تتعالى يا أم العواجز ويا أم هاشم يا اخت الامام ويا بنت الامام نظرة بحق جدك النبي •

والآن ونحن بصدد الحديث عن مرقدها الشريف الذي تدعيه الاقطار الثلاثة ويتوافد عليه المسلمون من جميع الاقطار لا لشيء الا لانها وقفت الى جانب اخيها من الطغاة والظالمين دفاعا عن الحق والعقيدة وكرامة الانسان وبقيت في سجل الخالدين والخالدات لتكون القدرة الصالحة الغنية بالمثل والقيم للرجال والنساء في جميع نواحي الحياة •

لا بد لنا ونحن بصدد البحث عن مرقدها ان نقف ولو قليلا مع أدلة الاقوال الثلاثة في محاولة كشف ما أحيط بمرقدها من غموض لا يزال محل اخذ ورد بين الباحثين •

لم يختلف احد من المؤرخين والمحدثين بأن السيدة زينب بنت علي وفاطمة تركت بيتها وزوجها ورافقت اخاها الحسين (ع) في رحلته الى الشهادة التي لم يجد وسيلة غيرها لانقاذ شريعة جده مما كان يخططه لها الحزب الاموي الحاكم من تحريف وتشويه وأدت دورها خلال مواقفها في كربلاء والكوفة ومجلس بن ميسون في قصر الخضراء ، تلك المواقف التي جعلتها في طليعة الخالدين والخالدات من ابناء آدم وحواء ، كما لم يختلفوا في انها رجعت من الشام على رأس تلك القافلة من السبايا والاسرى الى مدينة جدها عاصمة الاسلام الاولى في الحجاز ، وان مسؤوليتها التاريخية كانت هي اثارة الرأي العام الاسلامي على حكومة يزيد وجلاديه واستطاعت خلال اشهر معدودات ان تلهب المشاعر وتقلب الدنيا على رؤوس الحاكمين حتى اصبحت المدينة التي كان الحاكمون يحسبون لها الف حساب وحساب بكل فئاتها الموالية لاهل البيت وغيرها

تكيل اللعنات لأمية وأحفادها وترى ان من أقدس واجباتها مناهضة الحكم الاموي واعلان موقفها المعادي منه مهما كلفها ذلك من تضحيات. كل ذلك لم يخالف فيه احد من الباحثين والمؤرخين اما خروجها من المدينة بعد ان دخلت اليها حاملة لرسالة اخيها الى الشام مع زوجها بسبب المجاعة التي اجتاحت المدينة سنة ٦٧ للهجرة او ٧٤ كما جاء في رواية ثانية الى قرية كان يملكها في الغوطة من ضواحي الشام وعند وصولها الى مشارف الشام عاودتها تلك الذكريات الاليمة المريرة وخيم عليها جو من الحزن والالم تسبب لها بمرض كانت به نهاية حياتها ودفنت في تلك الضيعة حيث مرقدها الان ، كما يدعي القائلون بأن المرقد الحالي لقد ضم رفاتها وهو لها لا لغيرها من الزينبيات العلويات اللواتي يحملن هذا الاسم فليس في التاريخ ما يبعث على الاطمئنان بصحته .

ومن ذهب الى ذلك من الذين كتبوا عن مرقدها المازندراني في الجزء الثاني من معالي السبطين والسيد حسن الصدر وصاحب الخيرات الحسان والسيد هبة الدين الشهرستاني عن ناسخ التواريخ لمؤلفه لسان الملك ، كما جاء في كتاب المرقد الزينبي للشيخ عمران القطيفي .

والظاهر اتفاق جميع القائلين بأن المرقد الموجود في ضواحي الشام هو مرقدها على ان رجوعها الى الشام كان بسبب المجاعة التي اصابت اهل المدينة وان زوجها عبد الله بن جعفر انتقل بها سنة ٦٥ او ٧٤ الى ضيعته بغوطة دمشق وتوفيت بها في النصف من رجب ذلك العام.

لقد اختلف القائلون بأنها توفيت في ضواحي الشام وفي ضاحيتها حيث المرقد الموجود الان دفنت في تاريخ وفاتها بين ٦٥ و٧٤ واتفقوا على ان المجاعة التي اصابت اهل المدينة هي التي فرضت على زوجها الرحيل بها الى ذلك المكان ، في حين ان المجاعة التي تفرض على شخص كعبد الله بن جعفر كان واسع الثراء وكثير العطاء ويعرف ببحر الجود وتضطره على ان يرحل بزوجته وأولاده الى غوطة

دمشق لا بد وأن يكون لها اثرها البالغ بالنسبة لعامة الناس وأن تفتك بالطبقات الكادحة الفقيرة . وحدث من هذا النوع يصيب مدينة الرسول في تلك الفترة من التاريخ لا يتجاهله التاريخ ولا الذين كانوا يسجلون أحداث العالم الاسلامي صغيرها وكبيرها ، مع العلم ان المؤرخين لاحداث ٦٥ و٧٤ لم يتعرض احد منهم لحدث من هذا النوع وعلى تقدير صحة ذلك فلا بد وأن تكون المجاعة التي شردت بحر الجود وعقيلته الحوراء ابنة علي وفاطمة قد اصابت بقية العلويين والعلويات وتلك القافلة من النساء والاطفال التي كانت ترعاها وتحرسها عقيلة آل ابي طالب . فالى اين ذهب العلويون بنسائهم وأطفالهم وعلى رأسهم الامام علي بن الحسين زين العابدين (ع) الذي لم يفارق المدينة وبها كانت وفاته .

ان التاريخ لم يتعرض لشيء من هذا النوع ، وهل يجوز على بحر الجود وعقيلته ان يتركا العلويين والطالبيين وأبناء الحسن والحسين يتجرعون مرارة الجوع ويفرا منها الى عاصمة الجلادين دمشق التي سيقت اليها بالامس القريب ابنة علي والزهراء على رأس تلك القافلة من الاسرى والرؤوس التي كان يتقدمها رأس الحسين (ع) وكانت تتمنى الموت في كل مرحلة كان الحداة يسيرون بها وتفضله على ان تتعرض لاولئك الشامتين من اعداء جدها وأبيها ، فهل يجوز عليها مع ذلك كله وعلى ابن عمها بحر الجود ان يتركوا العلويين ونساءهم وأطفالهم يقاسون آلام الجوع ومرارته ويذهبا الى عاصمة معاوية لينعما بطيبات العيش ومتع الحياة ، لو جاز ذلك على اب المساكين كما كان يسميه اهل المدينة لا يجوز على من وهبت حياتها لخدمة اخيها وعائلته ورعايتها بعد مصرعه كما اوصاها بذلك .

ان الذين رووا أسطورة خروج عبد الله من المدينة الى قريته بضواحيها مع زوجته عقيلة الطالبيين كلهم من متأخري المؤلفين ومن غير

المعروفين ببعد النظر وتحري الحقائق ، ولم يسندوها الى احد المؤرخين القدامى ولا الى احد الرواة الذين كانوا يتتبعون أحداث تلك الفترة من تاريخ المسلمين .

هذا بالاضافة الى ان سنة خمس وستين كانت سنة صراع على الخلافة بين الامويين انفسهم في بلاد الشام ، وكان قد تغلب على دمشق الشام الضحاك بن قيس بعد ان اتفق الامويون على خلافة مروان وخالد بن يزيد من بعده ومن بعدهما عمرو بن سعيد بن العاص وبعد ان اتفق رأي الامويين على التوجه الى دمشق وكان الضحاك قد تغلب عليها ووقعت بينهم معارك طاحنة في مرج راهط وكان مع الضحاك جماعة من اهالي دمشق وفتيانهم الاشداء : وأمده النعمان بن بشير عامل حمص بشرحبيل ابن ذي الكلاع في اهل حمص وزفر بن الحارث الكلابي بقيس بن طريف ابن حسان الهلالي وانتهت المعركة لصالح مروان بن الحكم والامويين[1]، ومن المستبعد والبلاد الاسلامية تموج بالفتن بسبب الصراع على الحكم والمعارك بين مروان بن الحكم ومعارضيه في ضواحي دمشق وعلى أبوابها ان يرحل بزوجته وأولاده الى قريته الواقعة في ضواحي دمشق كما يدعي القائلون بذلك .

اما القول بأنها هاجرت مع زوجها الى غوطة دمشق هربا من المجاعة سنة ٧٤ هجرية فهو ابعد عن الواقع من القول الاول ذلك لان المسعودي في المجلد الثاني من مروجه يقول ان عبد الله بن جعفر توفي وله من العمر سبع وستون سنة ، ويدعي عبد العزيز سيد الاهل ان عبد الله بن جعفر كان له من العمر عشر سنوات عند وفاة النبي (ص) عن الجزء الثاني من معالي السبطي ولازم ذلك ان ولادته كانت في الحبشة كما هو مؤكد

---

١ ـ انظر تاريخ اليعقوبي الجزء الثالث ص ٣ طبع النجف .

اما في السنة التي هاجر فيها النبي (ص) الى المدينة او قبلها وهو اكبر اولاد جعفر الطيار ويروي الرواة عنه انه قال : لقد دخل علينا رسـول الله (ص) بعد موت ابي وقال : لا تبكوا على اخي بعد اليوم ودعـا بالحلاق فحلق رؤوسنا ولا بد وان يكون في السادسة او السابعة يومذاك على ابعد التقادير فلم يعد مجال للقول بأنه هاجر الى ضيعته في ضواحي الشام سنة ٧٤ لان وفاته تكون قبل هذا التاريخ بسبع سنوات تقريبا اذا لم يكن قد عاش اكثر من سبع وستين عاما كما يدعي ذلك المسعودي وغيره .

ومهما كان الحال فالقول بأن المرقد الزينبي الموجود في ضاحيـة دمشق الذي يقصده مئات الالوف من المسلمين في كل عام للزيـارة والتبرك ويبذلون في سبيله الملايين من النقود هو لزينب الكبرى عقيلة الهاشميين لا يعتمد على دليل مقبول ولا يؤيده المنطق ولا الدراسة بحال من الاحوال بل هو لاحدى العلويات بلا شك في ذلك وسيبقى تعيينها غامضا لعدم توفر الادلة على هذا الامر ، ولا يمنع ذلك من زيـارة العقيلة في ذلك المكان ما دام يرمز اليها وما دام الزائر يقصدها بالذات، وما دامت الاعمال مرهونة بالنوايا .

المرقد الزينبي في مصر

بعد استقصاء أدلة القائلين بأن السيدة زينب توفيت في مصر ودفنت فيها في المرقد المنسوب اليها بعد استقصاء تلك الادلة يبدو للمتتبع ولاول نظرة انها أسلم وأقرب الى المنطق من أدلة القائلين بأنها خرجت مع زوجها الى ضاحية من ضواحي الشام فرارا من المجاعة وتوفيت فيها كما تشير الى ذلك رواية القائلين بأن مرقدها في محلة الفسطاط من القاهرة .

لقد اعتمد القائلون بأنها توفيت في مصر ودفنت فيها على رواية ابن عساكر في تاريخه الكبير وابن طولون في كتابه الزينبيات ، ويدعي أنصار هذا الرأي انها بعد رجوعها من السبي مع عائلة الحسين وعائلات القتلى من آل ابي طالب والانصار كانت لا تدع البكاء والنحيب والحديث بما جرى للحسين ومن معه وتحاول اثارة الرأي العام على الامويين وأنصارهم واستطاعت خلال اشهر معدودات ان تشحن النفوس بالحقد والكراهية ليزيد وأسرته وأصبحت المدينة كالبركان المهيأ للانفجار بين لحظة وأخرى فكتب عمر بن سعيد الاشدق الى يزيد يخبره بتأزم

الموقف وبمواقف العقيلة التي ألهبت المشاعر وهيجت عليه الرأي العام فكتب اليه كما جاء في ص ١٥٨ من زينب الكبرى للشيخ جعفر نقدي عن الطراز المذهب لعباس قلي خان : فكتب اليه ابن معاوية يأمره بأن يفرق بينها وبين الناس ويخرجها من الحجاز فجاءها الوالي وعرض عليها كتاب يزيد بن ميسون وطلب منها ان تخرج من الحجاز الى حيث شاءت فرفضت طلب الوالي وأصرت على عدم خروجها من المدينة ، وقالت : لقد علم الله بما جرى علينا من القتل والسبي ، وكنا نساق كما تساق الانعام من بلد الى بلد على الاقتاب ، ومضت تقول : فوالله لا اخرج من مدينة جدي وان أهرقت دماؤنا على حد تعبير الراوي . ولما أصر الوالي على اخراجها اجتمع عليها نساء بني هاشم في محاولة لاقناعها بالخروج من المدينة ، وقالت لها زينب بنت عقيل : يا ابنة عماه لقد صدقنا الله وعده وأورثنا الارض نتبوأ منها حيث نشاء فطيبي نفسا وقري عينـــا وسيجزي الله الظالمين بما جنته ايديهم ، أتريدين بعد هذا هوانا ارحلي الى بلد آمن، واتفق الرأي على خروجها فاختارت مصر وخرج معها من العلويات كل من سكينة وفاطمة ابنتي اخيها الحسين ، وكان ذلك سنة احدى وستين وفي شهر شعبان من تلك السنة وبعد مرور سبعة اشهـــر على مجزرة كربلاء وخمسة اشهر على رجوعها من السبي الى المدينة ، واستقبلها الوالي على مصر مسلمة بن مخلد الانصاري في جماعة معـــه وأنزلها داره في الحمراء كما تدعي الرواية التي وصفت رحلتها فأقامت بها احد عشر شهرا وتوفيت في النصف من رجب سنـــة ٦٢ هجرية ، ودفنت بالقرب من دار الوالي ومن بساتين عبد الرحمن بن عوف على حد تعبير جعفر نقدي عن النسابة العبيدلي ولم يرد في حديثه عـــن ملابسات رحلتها وعن سفرها ذكر لزوجها عبد الله بن جعفر ولا لاحد ممن بقي مع الاحياء من اولادها وأولاد اخوتها وغيرهم مـــن الهاشميين .

وقالت الدكتورة بنت الشاطىء في ص ١٣٧ من كتابها بطلة كربلاء في وصف رحلتها الى مصر : لقد بزغ هلال شعبان من سنة احدى وستين في اللحظات التي وطأت فيها السيدة ارض النيل فاذا جموع من الناس قد احتشدت لاستقبالها وساروا في موكبها حتى بلغوا قريـــة بلبيس ، فقابلتهم هناك جموع آتية من عاصمة الوادي الامين ومسلمة بن مخلدة الانصاري امير مصر في وفد من أعيان البلاد وعلمائها قد خرجوا لاستقبال ابنة الزهراء وأخت الامام الشهيد ، فلما أطلت عليهم بطلعتها المشرفة بنور الاستشهاد والنبوة اجهشوا بالبكاء والنحيب ، ومضوا بركبها حتى اذا بلغوا العاصمة مضى بها مسلمة بن مخلد الى داره فأقامت بها قرابة عام لم تر خلاله الا عابدة متبتلة ، وكانت وفاتها عشية الاحد لاربع عشرة مضين من رجب عام ٦٢ على أصح الاقوال على حد تعبير بنت الشاطىء .

وأكثر الذين يدعون بأن المرقد الموجود في مصر هو مرقدها يدعون ان خروجها من المدينة كان بعد رجوعها من السبي اليها بأشهر معدودات وفي الشطر الاخير من سنة ٦١ بالذات وأن يزيدا اخرجها من المدينة لان بقاءهـــا بها كـــان يشكل خطرا علـــى دولتـــه وانهـــا كانت تعمـــل لاعـــداء اهل المدينـــة وغيرهم مـــن المسلمين للثورة ، ولم يسجلوا موقفا لزوجها ولا لاحد من اولادهـــا والعلويين والطالبيين من رحلتها ولم يذكروا ان احدا منهم كان معها في منفاها .

ويبدو بعد التتبع ان القائلين بأنها توفيت في مصر ودفنت فيها اكثر من القائلين بأن المرقد الموجود في ضاحية الشام هو مرقدها وان ابن عساكر في تاريخه الكبير وابن طولون الدمشقي في رسالته الزينبية كانا اول من تعرض لمرقدها على هذا النحو ودونه من بعدهما الشعراني في كتابه لواقح الانوار والشيخ محمد الصبان فـــي اسعاف الراغبين ، والشبلنجي في كتابه نور الابصار والشبراوي في الاتحاف ، الى غير ذلك ممن تأخر عنهما من المؤلفين ، في حين ان المؤلفين والمؤرخين القدامـــى

الذين كانوا يتتبعون الاحداث كبيرها وصغيرها لم يتعرضوا لشيء من ذلك . مع العلم بأن اخراجها من المدينة لو كان على النحو المذكور من المستبعد ان يتجاهله المؤرخون الذين كتبوا التاريخ والسير ولم يتجاهلوا شيئا مما حدث بين المسلمين وبخاصة ما كان منها في تلك الفترة من تاريخهم المشحون بالاحداث والاضطرابات .

ومهما كان فالذي اراه ان حديث سفرها الى مصر وأسبابه ليس بأسلم من جميع جهاته من حديث سفرها الى ضواحي الشام ووفاتها بها ولا بأقرب الى الواقع منه ذلك لانهم لم يتعرضوا لزوجها عبد الله بن جعفر مع العلم بأنه كان حيا يرزق ومن أعلام المسلمين يومذاك ولا لاحد من اولادها واخوتها وآل ابي طالب من هذا الحادث ، وهل يجوز على رجل كعبد الله ابن جعفر الذي كان يتمتع بمكانة عالية بين اولاد المهاجرين والانصار ان يقف مكتوف اليدين من تسفير زوجته عقيلة آل ابي طالب ولا يتدخل في انقاذها او يسافر معها، واذا جاز عليه ولو من باب الافتراض،فهل يجوز ذلك على ابن اخيها السجاد وهي التيكانت ترعاه وتحرسهمنذ خروجها من المدينةفي ركباخيها الىحين رجوعها اليها وقد تعرضللقتل اكثر من مرة، ولكنها كانت تدافع عنه دفاع من لا يرى للحياة وزنا بدونه وتطلب من اولئك الجزارين ان يقتلوها قبله .

ولماذا لم يخرج معها احد سوى فاطمة وسكينة كما تدعي الرواية وأين منها اولادها وأولاد اخوتها وأحفاد عبد المطلب وأبو طالب والهاشمياتمن بنات ابي طالب .

وهل كانت وحدها تحرض الناس على الثورة بعد مجزرة كربلاء وكل الدلائل تشير الى ان جميع مواقف العلويين والعلويات والطالبيات كانت تلهب المشاعر وتحث الجماهير المسلمة على الثورة والانتقام من يزيد وحزبه لمقتل الحسين .

ولم تكن مواقف الامام علي بن الحسين (ع) بأقل تأثيرا على الرأي العام من مواقف عمته العقيلة ابنة علي والزهراء ان لم تكـــن اكبر تأثيرا منها .

لقد بقي لسنوات عديدة وقيل اكثر من عشرين عاما يبكي أباه وبقية القتلى من اخوته وأبناء عمومته كلما ذكرهم ذاكر وعندما يقدم له طعامه يبله بدموع عينيه كما يدعي الرواة والمسلمون يتلوون لحاله ، وكان يدخل احيانا سوق القصابين ، ويوصيهم بأن يسقوا الذبيحة قبل ذبحها ثـــم يصيح : لقد ذبح ابو عبد الله عطشانا فيجتمع عليه الناس يبكون لبكائه. ولم تكن ثورة المدينة وليدة انفعال طائش بل كانت من نتائج مواقف الإمام السجاد وعمته العقيلة والاحزان التي خيمت على اهـل البيت ، بالاضافة الى تحسس المسلمين بوقع تلك الجريمة التي لم يحدث التاريخ بأسوأ منها ، فلماذا لم يأمر ابن ميسون باخراج السجاد من المدينة ، ولماذا ترك لها الخيار في الذهاب الى أي بلد شاءت ، ولم يعارض في اختيارها لمصر ، في حين ان وجودها في مصر يشكل عليه نفس الاخطار التي كان يتخوفها من بقائها في الحجاز ، لان المصريين كانوا اقرب الى العلويين مـــن الحجازيين وفيها من الشيعـــة يومذاك أعـــداد كبيرة ، والذيـــن رووا أسطورة خروجها الى مصر يدعون بأن المصريين تلقوها بالبكاء والعويل والنياحة كما ذكرنا .

واذا كان حفيد هند وأبي سفيان يحاذر من بقاء زينب ابنة علي في الحجاز ويتخوف ان يتسبب بقاؤها في الثورة عليه ، فكان من المفروض ان يضعها تحت رقابته وفي عاصمته او في الربذة كما كان يفعل ابن عفان مع من يخاف منهم ، فكان يرسلهم الى الشام ليكونوا تحت رقابة معاوية وعندما يعجز معاوية عن وضع حد لنشاطهم اما ان يضعهم في سجونه او يردهم الى المدينة ليحدد الخليفة مصيرهم ، وكانت الربذة ومن علـــى شاكلتها من البراري المقفرة من أوفر الناس حظا بأولئك الاحرار كما فعل

خليفة المسلمين مع الصحابي الجليل ابي ذر الغفاري حتى لا يرى احدا ولا يراه احد وبها كانت نهايته .

هذا كله بالاضافة الى ان يزيد بن معاوية بعد تلك النقمة العارمة عليه بسبب مجزرة كربلاء كان يتظاهر بالندم والتنصل من مسؤولياتها ويحاول تغطية نتائجها المريرة بالتقرب من العلويين والاحسان اليهم ، وقد اوصى مسلم بن عقبة عندما ارسله الى المدينة لقمع الثورة بعدم التعرض لاحد من العلويين والطالبيين والاحسان اليهم وجرت بينه وبين عبد الله بن العباس رحمه الله مراسلة أوردها اليعقوبي في تاريخه وغيره بعد تلك الجريمة النكراء التي ارتكبها مع اهل البيت (ع) لم يترك بن عباس عيبا من العيوب الا وألصقه فيه ولا منقصة الا ووصفه فيها محتقرا له بكل ما في الاحتقار من معنى ، ومع ذلك لم يصدر منه ما يسيء اليه ولم يكن ذلك منه الا لما تركته في نفسه تلك المجزرة الرهيبة من الخوف والقلق على مصيره ومصير اسرته ودولته بعد النقمة العامة التي شملت جميع الاوساط الاسلامية على اختلاف ميولها واتجاهاتها .

ومهما كان الحال فان أسطورة نفي العقيلة الى مصر ووفاتها فيها ليست بأقرب الى الواقع من خروجها من المدينة مع زوجها الى الشام ووفاتها فيها ان لم تكن ابعد منها .

اين مرقدها اذن

بعد هذا العرض اليسير لآراء الفريقين القائلين بأنها دفنت فـــي ضواحي دمشق والقائلين بأنها في محلة الفسطاط من القاهرة وما أبديناه من الملاحظات عليها التي كما ارى تثير اكثر من الشك في صحة ما يقال انها دفنت في احد هذين القطرين ، فلم يبق امامنا سوى القول الـذي يرجح قائلوه انها دفنت في مدينة جدها الرسول (ص) بعد رجوعها من السبي بأشهر معدودات او سنوات معدودات واثبات ذلك لا يحتاج الى مزيد من الاستدلال والبحث بعد العلم القطعي انها رجعت الى المدينة على رأس تلك القافلة من السبايا والاسرى وتؤكد جميع المصادر انها بقيت في المدينة لمدة من الزمن تندب وتبكي وتتلـــوى هي والهاشميين والهاشميات على ما حل بأهلها واخوتها ويبكي لحالها القريب والبعيـد والعدو والصديق واستمرت على ذلك حتى تأثرت المدينة بكل فئاتهـــا بمواقفها ومواقف العلويين وأحزانهم وأصبحت بكل فئاتها كالبركـان المهيأ للانفجار بين لحظة وأخرى، فرجوعها من الشام الى المدينة لا يختلف

فيه اثنان اما خروجها من المدينة بعد خمس سنوات على رجوعها اليها الى ضاحية من ضواحي الشام مع زوجها ووفاتها فيها كما يدعي القائلون بأن المرقد الزينبي الموجود في تلك الضاحية هو مرقدها . او خروجها الى مصر بعد اشهر معدودات من رجوعها الى المدينة ووفاتها في مصر وفي محلة الفسطاط من القاهرة فلم يخرج عن دائرة الشك او الاحتمال لان الادلة التي اعتمدها انصار القولين لا تكفي لنقض اليقين السابق المتعلق بوجودها في المدينة ولا تفيد اكثر من احتمال خروجها منها ووفاتها في خارجها وما لم يوجد لدينا دليل يفيد العلم او الظن المعتبر شرعا يتعين الرجوع الى استصحاب بقائها في المدينة الى حين العلم بوفاتها .

وهذا النوع من الاستصحاب ليس مثبتا كما تخيله بعض المؤلفين في هذا الموضوع لان المقصود منه اثبات عدم خروجها من المدينة الى زمان العلم بوفاتها فأحد جزئي الموضوع يثبت بالاستصحاب والثاني وهو وفاتها بالوجدان ، وهذا غير ما يسميه الاصوليون بالاصول المثبتة ويدعون ان أدلة الاستصحاب لا تشمل هذا النوع من الاصول التعبدية لان المقصود من الاصول المثبتة الاصل الذي يثبت امرا عاديا او عقليا لم يكن موضوعا للآثار الشرعية ، كاستصحاب حياة زيد لمدة من الزمن يلزم بحسب العادة نبات لحيته فيها فاستصحاب حياة زيد لهذه المدة يكون حجة شرعية لناحية الآثار الشرعية المترتبة على حياته كبقاء زوجته في عصمته ووجوب الاتفاق عليها وعلى اولاده وعدم انتقال امواله الى ورثته ونحو ذلك . اما نبات لحيته وزيادة طوله ووزنه مثلا فالاستصحاب لا يكون دليلا شرعيا بالنسبة لهذا النوع من الآثار ، ومن ذلك استصحاب بقاء زيد حيا الى زمن يلزمه بالقياس اليه ان يكون قد بلغ التسعين من عمره فان كونه من ذوي التسعين او المائة من اللوازم العقلية او العادية لبقاء زيد حيا لسنة الثمانين فيما لو كانت ولادته سنة تسعين وحصل الشك في

بقائه حيا سنة ثمانين من القرن الثاني مثلا فأدلة الاستصحاب لا تشمل هذا النوع من الآثار، وما نحن بصدد اثباته بأصالة عدم خروجها من المدينة هو بقاؤها فيها الى زمان القطع بوفاتها. ويرافق القطع بوفاتها القطع بأنها لم تنقل بعد وفاتها من البلد الذي توفيت فيه الى بلد اخر قد وقع عليه الاختيار ليكون مدفنا لها .

وممن رجح انها دفنت بالمدينة في البقيع الى جوار مرقد زوجها عبد الله بن جعفر عباس قلي خان في كتابه الطراز المذهب عن كتاب بحر المصائب والشيخ ميثم البحراني كما نقل عنه الشيخ مهدي المازندراني في كتابه معالي السبطين والسيد محسن الامين في المجلد الثالث والثلاثين من أعيان الشيعة [١] .

وجاء في المرقد الزينبي للشيخ فرج القطيفي ان لجنة الاوقاف الدينية في كربلاء اوردت في كتابها اجوبة المسائل الدينية بأن للامام علي (ع) ثلاثة من البنات كل منهن تعرف بزينب وتكنى بأم كلثوم اولاهن زينب شقيقة الحسين (ع) لأمه وأبيه وهذه سقط عليها الحائط وتوفيت فصلى عليها الحسين (ع) ودفنها بالمدينة والثانية زينب الوسطى وهي من فاطمة ايضا وهذه تزوجها عبد الله بن جعفر وهي التي رافقت الحسين(ع) الى كربلاء مع ولديها محمد بن عبد الله وعون بن عبد الله وهي التي كانت تدير شؤون العائلة والسبايا ، ولما عادت الى المدينة سافرت مع زوجها الى ضواحي الشام على اثر مجاعة اصابت اهل المدينة وتوفيت فيها فدفنها في ضيعته واليها ينسب المرقد الزينبي الموجود هناك وتعرف بزينب الوسطى .

والثالثة كانت تسمى بزينب الصغرى وتكنى بأم كلثوم ولكنها ليست من فاطمة الزهراء وأضافوا الى ذلك انها كانت من أشدهن بكاء ولوعة

---

١ ــ انظر المرقد الزينبي للشيخ عمران القطيف ص ٨٧ وما بعدها .

على اخيها الحسين في كربلاء وغيرها من المواقف وبعد وقعة الحـــرة واستباحة المدينة كانت تقيم النياحات والمآتم على الحسين وتشنع علـى يزيد وجوره وهي التي نفاها عمرو بن سعيد الاشدق الى مصر وتوفيت فيها ودفنت في المكان الذي يقدسه المصريون ويتبركون به الى غير ذلك من الاقوال التي لا تعتمد على غير الحدس والظن الذي لا يغني عـــن الحق شيئا .

ولقد تعرض الشيخ المفيد في ارشاده لاخوات الحسين (ع) خــلال حديثه عن اولاد امير المؤمنين وعد من بناته اللواتي ولدن له من غـــير فاطمة زينب الصغرى ، وخلال حديثه عن أحداث كربلاء وما رافقها من تقتيل وسلب وأسر وسبي لم يتعرض لغير زينب العقيلة شقيقة الحسين لأمه وأبيه وأسهب في الحديث عنها وتعداد مواقفها وما تجرعته من آلام وغصص من اجل اخيها وعياله وأطفاله ، اما زينب الصغرى هذه فلــم يتعرض هو وغيره من المؤلفين في مقتل الحسين لها ولم يسجلوا لهـــا موقفا من المواقف خلال أحداث كربلاء وما تلاها من المواقف في الكوفة وقصر الحمراء وغيرهما وجميع احاديثهم كانت عن العقيلة الحوراء . كما وان الذين كتبوا عن اهل البيت من أعــلام الشيعة الاوائـــل كالكليني والصدوق والمرتضى والطوسي والحلي وغيرهم من المتقدمين لم يتعرضوا لزينب العقيلة وما جرى عليها بعد رجوعها من السبي الـى المدينة بأكثر من انها كانت لا تدع البكاء والنحيب على اخيها ومن قتل معه ولا لمرقدها ومراقد غيرها من الزينبيات كما لم يتعرض لذلك احد من المؤرخين القدامى ومن مجموع ذلك تبين ان اقرب الاقوال الى الواقع انها دفنت في المدينة وفي البقيع مقبرة المسلمين الاوائل ولم تخرج من المدينة بعد رجوعها اليها من السبي مع النساء والاطفال وابن اخيهـــا السجاد ، واذا صح بأنه وجد على القبر الموجود في ضواحي الشام هذا

قبر زينب الوسطى بنت علي بن ابي طالب كما يدعي الشيخ فرج القطيفي يمكن ان يكون القبر المذكور لاحدى بنات امير المؤمنين (ع) ولكن ذلك وحده لا يبعث على الاطمئنان بهذا الامر ولا يمنع من ان تكون الصخرة وضعت على القبر بعد ذلك بمئات السنين حينما بني القبر وشيد بشكله الحالي اعتمادا على الشهرة او لاسباب اخرى . لعل أيدي الذين حكموا بلاد الشام من الشيعة ضالعة في ذلك .

المرقد الزينبي في القاهرة وضاحية الشام

الظاهر ان هذين المرقدين كما لعله اقرب الاحتمالات وبخاصة بالنسبة الى المرقد المصري ، ان احدهما وهو الموجود في ضاحية الشام وفـــي المكان الذي يعرف حاليا بقرية الست هو لزينب بنت عبد الله الاصغر بن عقيل من زوجته أم كلثوم الصغرى بنت امير المؤمنين ومن غير فاطمـــة الزهراء (ع) [1] ، والمرقد الزينبي الموجود في محلة الفسطاط عند قناطر السباع من القاهرة الذي يقدســه المصريون ويقصدونه من سائر الجهات ويبذلون الاموال الطائلة في سبيله تقربا الى اللهتعالى هو لزينب بنت يحيى المتوح بن الحسن الانور بن زيد بن الحسن السبط (ع) ولاجل وضع هذا الظن موضع الاعتبار والعناية وحتى لا يكون كغيره مـــن

---

١ ــ لقد نص في تاريخ الخميس ص ٢٨٦ من المجلد الثاني ان عبد الله الاصغر كان متزوجا من أم كلثوم الصغرى بنت امير المؤمنين ، وجاء فـــي اهل البيت لابي علم ان زينب الشام هي ابنة أم كلثوم كما ستتعرض لذلك خلال هذا الفصل وهي غير أم كلثوم التي تزوجها ابن الخطاب ومات عنها.

الاقوال العابرة حول هذا الموضوع ، لا بد من المرور ببعض الجوانب عن حياة الحسن الانور وابنته السيدة نفيسةالمعروفة عند المصريين بكريمة الدارين .

لقد ذكر جماعة من المؤلفين في احوال اهل البيت ومن بينهم المؤلف المصري توفيق ابو علم رئيس ادارة مسجد السيدة نفيسة ووكيل وزارة العدل الصادر بتاريخ ١٩٧٠ ، فلقد عد في كتابه المذكور كغيره من جملة اولاد الحسنزيد بن الحسن السبط ووصفهبكرم الطبعوجلالة القدر وكثرة البر والاحسان وان الناس كانوا يقصدونه من جميع الآفاق طمعا في بره واحسانه وانه كان يتولى صدقات رسول الله (ص) وبقيت في يده الى ان جاء للحكم سليمان بن عبد الملك فعزله عنها وأرجعها اليه عمر بن عبد العزيز الخليفة الاموي العادل ، ومضى يقول : ان محمد بن بشير الخارجي كان من جملة الشعراء الذين مدحوه وقال فيه :

اذا نزل ابن المصطفى بطن تلعة   نفى جدبها واخضر بالنبت عودها
وزيد ربيع الناس في كل شتوة   اذا اخفقت انواؤها ورعودها

وقد توفي زيد بن الحسن وله من العمر تسعون عاما وبكاه الناس ورثاه عدد من الشعراء ، ومن اولاده الحسن الانور ، وكان من علماء اهل البيت المبرزين وولاه ابو جعفر المنصور العباسي سنة ١٥٠ هجرية امارة المدينة بعد ان عزل عنها جعفر بن سليمان وبقي على المدينة لسنة ٦٥ فعزله عنها لوشاية عليه بأنه يساند الثوار العلويين لاعادة الخلافة اليهم ووضعه في حبسه الى ان جاء ولده المهدي الى الحكم فأخرجه من الحبس ، وكان معروفا بالصلاح والتقوى والبر والاحسان ومستجاب الدعاء على حد تعبير المؤلف .

وقد تخلف الحسن الانور كما يدعي توفيق ابو علم بتسعة ذكـور وبنتين وهما نفيسة وأم كلثوم ومن اولاده الذكور يحيى المتـوج . واشتهرت نفيسة من بين اولاده بالزهد والصلاح والمعرفة وكانت تلقب بنفيسة الدارين ونفيسة العلم والطاهرة والعابدة . ولما بلغت سن الزواج خطبها العلماء والاشراف من شباب العلويين وفتيانهم . فكان والدهـا يأبى عليهم ويردهم ردا جميلا ، وحينما خطبها اسحاق المؤتمن ابن الامام جعفر بن محمد الصادق (ع) زوجها اياه وذلك سنة ١٦١ وكان مـن المعروفين بالفضل والصلاح والخير ومن المحيطين بأحاديث ابيه وأجداده كما وصفه المقريزي في خططه وأولدها ولدين القاسم وأم كلثوم ، ومن نسل القاسم السادة بنو زهرة في حلب ونواحيها [1] .

ورحلت السيدة نفيسة الدارين مع زوجها من المدينة الى القاهرة وفي طريقها الى القاهرة مرت على دمشق الشام وزارت فيها بغوطة دمشق مقام السيدة زينب بنت ام كلثوم بنت امير المؤمنين وأم كلثوم هذه هي المعروفة بالصغرى من بنات امير المؤمنين ومن غير فاطمة الزهراء وكانت زوجـة لعبد الله الاصغر بن عقيل بن ابي طالب كما جاء في ص ٢٨٦ من المجلد الثاني تاريخ الخميس والظاهر ان زينب التي زارت قبرها نفيسة هـي ابنتها لان أم كلثوم الكبرى ابنة الزهراء كانت زوجة لعمر بن الخطاب وقد اولدها ولدا سماه زيدا وبعد وفاة ابن الخطاب عنها تزوجها محمد بـن عبد الله بن جعفر ولم تنجب منه كما جاء في تاريخ الخميس [2] .

ثم زارت قبر عمتها فاطمة بنت الحسن بن علي (ع) وقبر فضة جارية الزهراء (ع) وقد استقبلها جمهور كبير من اهالي دمشق وعلمائهـا مرحبين بقدومها ، وبعد دخولها دمشق بأيام قليلة رحلت منها الـى

---

١ ـ انظر ص ٢٨٣ و٢٨٤ و٥٣٨ لتوفيق ابو علم .
٢ ـ انظر ص ٢٨٥ و٢٨٦ .

القاهرة ودخلتها في شهر رمضان سنة ١٩٣ قبل ان يدخلها الشافعي بخمس سنين فاستقبلها المصريون رجالا ونساء احسن ستقبال ونزلت دارا لاحد التجار الكبار وأخيرا استقرت في البيت الذي أعد لها مع زوجها وراح الناس بمختلف فئاتهم يترددون عليها وعلى زوجها يأخذون عنهما العلم والحديث واستفادوا من علمهما واستمر الناس يتدفقون عليهما وأصبحت رمزا للطهر والقداسة في تلك الديار .

ولم يكن لاخيها يحيى المتوج سوى بنت واحدة تدعى زينب وكانت قد رحلت مع ابيها الى مصر وحينما دخلتها عمتها وغمرتها بعطفها وحنانها تعلقت بها وأبت ان تتزوج من احد بالرغم من توافد الخطاب على ابيها ولازمت عمتها ولاقت من عطف عمتها عليها والاحسان اليها ما جعلها تتفانى في خدمتها وتسهر على حوائجها لمدة طويلة من الزمن وبخاصة بعد ان بلغت من العمر سنا أقعدها عن القيام بأكثر حوائجها .

وروى عنها ابو علم انها كانت تقول : لقد خدمت عمتي نفيسة اربعين سنة فما رأيتها نامت بليل ولا أفطرت في نهار الا في العيدين وأيام التشريق .

ومضت تقول كما جاء في ص ٥٤٠ من كتاب ابو علم وكيل وزارة العدل المصرية : كانت عمتي نفيسة تحفظ القرآن وتفسيره وتقرأه وتبكي وكنت اجد عندها ما لا يخطر بخاطري ولا أعلم من يأتيها به فكنت أتعجب من ذلك فتقول لي : يا ابنة اخي من استقام مع الله كان الكون بيده وفي استطاعته .

ويدعي توفيق ابو علم في كتابه اهل البيت بأن للسيدة نفيسة عشرات الكرامات التي لا تجوز على غير الانبياء والصديقين من عباده الصالحين وهي جائزة عقلا ومن جملة الممكنات التي لا تستحيل على القدرة الالهية وقد غمر الله سبحانه آل بيت نبيه بفضله وشملهم بفيوضاته حتى ظهرت

على ايديهم الكرامات وتتابعت على الناس منهم البركات والنفحات من اجابة الدعوات وكشف الكربات وقضاء الحاجات ، وأضاف الى ذلك ان علماء اهل السنة قد اتفقوا على جوازها واختص بها الله من أحب من عباده وأوليائه وأصفيائه آل بيت نبيه الطاهرين .

وبقيت السيدة نفيسة في القاهرة نحوا من عشرين سنة ولما جاء أجلها على اثر مرض ألمّ بها احتضنتها ابنة اخيها زينب بنت يحيى وتوفيت في حضنها سنة ٢٠٨ وكانت قد أعدت لنفسها قبرا فدفنت فيه وراح الناس بعد ذلك يعدون قبورهم حولها تبركا بمرقدها وفي سنة ٥٤٤ أمر الحافظ لدين الله ببناء قبة على قبرها ولا تزال من اعظم المزارات عند المصريين . وكان اخوها يحيى قد توفي قبلها في مصر وقبره لا يزال من المقدسات عند المصريين يتبركون به ويتوسلون الى الله في قضاء حوائجهم ، وبعدهما توفيت زينب بنت يحيى ودفنت بجوار قبر عمرو ابن العاص ، ومضى ابو علم يقول : وكان اهل مصر يأتون لزيارة قبرها من كل فج ، وحتى ان الظاهر الخليفة الفاطمي كان يأتي لزيارتها ماشيا على قدميه ومعه جمهور من الناس ؛ وأضاف الى ذلك ان النيل توقف في بعض السنين عن الجريان فتوسل المصريون بقبرها الى الله فجرى النيل على عادته ، الى غير ذلك مما جاء في كتابه عن نفيسة الدارين وابنة اخيها زينب .

بعد هذه اللمحات عن حياة السيدة نفيسة حفيدة الحسن السبط (ع) يمكن القول بأن المرقد المنسوب لزينب العقيلة في مصر والذي لا يزال المصريون يقدسونه ويعظمونه هو لزينب بنت يحيى المتوج وبتعاقب العصور والاجيال اصبح ينسب لزينب العقيلة لانها اشتهرت من نساء العلويين الاوائل وأصبح اسمها مقرونا باسم اخيها الحسين (ع) بعد معركة الطف وتحدث الكتاب والمؤلفون عن مواقفها الخالدة من تلك المجزرة وما رافقها والالفاظ المشتركة تنصرف في الغالب الى أكمل الافراد

وأكثرها شيوعا ، وبلا شك فان أكمل الزينبيات وأعلاهن شأنا هي زينب العقيلة ، كما يحتمل ان يكون للفاطميين ضلع في نسبة ذلك المرقد لها ونسبة المرقد الثاني لرأس اخيها الحسين وهم الذين اشاعوا بأن الرأس كان مدفونا في عسقلان ونقلوه الى القاهرة وراحوا يعظمون المرقدين لاسباب سياسية او لغيرها .

اما المرقد الموجود في ضاحية الشام وفي بلدة الست بالذات الذي زارته السيدة نفيسة في طريقها الى مصر فليس لزينب الكبرى عقيلة الطالبيين وبطلة كربلاء كما هو الراجح، ومن الجائز ان يكون لزينب بنت عبد الله الاصغر بن عقيل من زوجته أم كلثوم الصغرى ابنة امير المؤمنين (ع) من غير الزهراء وهي ليست بأم كلثوم التي تزوجها عمر بن الخطاب وأولدها ولده زيدا ، وهذه قد تزوجت بعد ابن الخطاب من محمد بن جعفر ولم تنجب منه وهي شقيقة الحسين لأمه وأبيه .

ومهما كان الحال فلا يمكن الجزم بشيء حول واقع تلك المراقد ، وأعود لأكرر ما ذكرته سابقا من ان المراقد التي يقدسها الشيعة وبقية المسلمين المعتدلين لا يقدسونها الا بصفتها رمزا لمن تنتسب اليه وتقديرا لما كان يتمتع به من القيم والمثل العليا والجهاد والتضحيات في سبيل المبدأ والعقيدة ، لا للبناء والأحجار المزخرفة والنفائس التي فيها ، وسواء كانت رفات ذلك الشخص صاحب تلك الفضائل في داخل ذلك المرقد او لم تكن في واقع الامر ، فما دام يرمز اليه فان زيارته والتوسل به الى الله سبحانه من الامور الراجحة وتعظيما للدين وللقيم التي كان ذلك الشخص يجسدها ويستهين بحياته من اجلها .

ان الزائر حينما يتجه الى المسجد الذي فيه مقام رأس الحسين في القاهرة ومقام السيدة زينب في ضاحية الشام وفي محلة الفسطاط من القاهرة انما يتجه بقلبه وأحاسيسه لمن ترمز اليه تلك القباب الشامخة اي لرأس الحسين وللسيدة زينب وان لم تكن في واقع الامر قد ضمت

رفاتهما ، وليس بغريب على الله سبحانه اذا استجاب للموالين لاهـــل البيت علي والزهراء ومن تناسل منهما من الائمة الاطهار والصلحـــاء الابرار الذين عناهم النبي (ص) بقوله . كما جاء في رواية ابي بكر بن ابي قحافة انه قال : رأيت رسول الله (ص) قد خيم خيمة وهو متكىء على قوس له عربية وفي الخيمة علي وفاطمة والحسن والحسين وهـــو يقول : معاشر المسلمين انا سلم لمن سالم اهل هذه الخيمة وحرب لمن حاربهم وولي لمن والاهم لا يحبهم الا سعيد الجد طيب المولد ولا يبغضهم الا شقي الجد رديء الولادة [1] .

ليس بغريب اذا اجار الله من استجار بمراقدهم واستجاب لمن توسل اليه بهم في قضاء حوائجه لانهم قد بذلوا انفسهم وكل ما يملكون في سبيله وتركوا الدنيا ومتعها ونعيمها بعد ان اصبحت تحت أقدامهم من اجل اعلاء كلمة الله وخير الناس أجمعين ، ورحم الله القائل في وصفهم:

هم القوم من أصفاهم الود مخلصا تمسك في اخراه بالسبب الاقوى

هم القوم فاقوا العالمين مناقبـــا محاسنهم تحكى وآياتهم تـــروى

موالاتهـــم فرض وحبهم هدى وطاعتهـم ود وودهـــم تقـــوى

---

1 ـ اهل البيت لابو علم ص ٨ .

المآتم الحسينية

لقد كانت العشرة الاولى من شهر المحرم ولا تزال مأتما سنويا للاحزان والآلام عند الشيعة منذ مجزرة كربلاء التي كان على رأس ضحاياهـا الحسين بن علي سبط الرسول وسيد شباب اهل الجنة في اليوم العاشر من المحرم سنة احدى وستين للهجرة فكان الشيعة ولا يزالون في مختلف انحاء دنيا الاسلام يجتمعون في مجالسهم وندواتهم يرددون مواقف اهل البيت وتضحياتهم في سبيل الحق والعدالة وكرامة الانسان التي داستها أمية بأقدامها ، وما حل بهم من أحفاد أمية وجلاديهم من القتل والسبي والتشريد والاستخفاف بجدهم الاعظم الذي بعثه الله رحمة للعالمين .

هذه الذكريات الغنية بالقيم والمثل العليا والتي تعلمنا كيف نعيش احرارا وكيف نموت في مملكة الجلادين سعداء منتصرين لو ادركنـا اهداف تلك الثورة وأحسنا استغلالها هذه الذكريات قد اقترنت كمـا يبدو بعد الاحصاء الدقيق لتاريخها بتلك المجزرة الرهيبة التي ايقظت المسلمين على اختلاف فئاتهم وانتماءاتهم ونزعاتهم ، وأدركوا بعدها ان

كرامة الاسلام والمسلمين قد اصبحت بسبب تخاذلهم تحت أقدام الامويين وفراعنة العصور . فاستولى عليهم الخوف والندم لتقصيرهم في نصرته وتخاذلهم عن دعواته ففريق وجدوا ان التكفير عن تخاذلهم لا يكون الا بالثورة والثأر له من اولئك الطغاة وآخرون سيطر عليهم الخوف فخلدوا الى الهدوء ينتظرون الظروف المناسبة ولكن ذلك لم يكن ليسنعهم عن الاحتفال بذكراه كلما هلّ شهر المحرم من كل عام واستبدال جميع مظاهرهم بمظاهر الحزن والاسف وترديد الاحداث التي رافقت تلك المجزرة من تمثيل بالضحايا وأسر وسبي وما الى ذلك من الجرائم التي لم يعرف المسلمون لها نظير في تاريخ المعارك والغزوات قبل ذلك اليوم.

ومما يشير الى ان المآتم الحسينية يقترن تاريخها بتلك المجزرة ما جاء في تاريخ العراق في ظل العهد الاموي للدكتور علي الخرطبولي ان بيعة ابي العباس السفاح بدأت في الكوفة وشاء لها القدر ان تتم لابي العباس كأول خليفة من خلفاء تلك الاسرة في عيد الشيعة الاكبر وهو يوم عاشوراء العاشر من المحرم سنة ١٣٢ وفي نفس الوقت الذي كان الشيعة يحتفلون فيه بذكرى الحسين بن علي (ع) [1] .

ومعلوم ان كلمة عيد الشيعة الاكبر يوم العاشر من المحرم تشير الى ان الشيعة كانوا معتادين من زمن بعيد على الاحتفال بذكرى الحسين (ع) في ذلك اليوم من كل عام وانه كان من اعظم المناسبات التي اعتادوا فيها ان يندبوا الحسين ويبكونه ويرددون مواقفه وتضحياته من اجل الحق والمبدأ والعدالة التي تمكن كل انسان من حقه وتحفظ له كرامته وحريته .

وكما اتخذ الشيعة وأهل البيت تلك الايام ايام حزن وأسف وبكاء

---

١ ــ انظر ص ٢٢٦ من تاريخ العراق عن الاخبار الطوال للدينوري .

على ما جرى للحسين وأسرته من قتل وأسر وسبي اتخذها غيرهم من الاعياد يتبادلون فيها التهاني والزيارات ويتباهون بكل مظاهر الفرح والسرور في ملابسهم وندواتهم ومآكلهم وما الى ذلك من مظاهر الفرح تحديا لشعور الشيعة واستخفافا بأهل بيت نبيهم الذين فرض الله ولاءهم على كل من آمن بمحمد ورسالته .

وجاء في ص ٢٠٢ من البداية والنهاية لابن كثير المجلد الثامن ان النواصب من اهل الشام لقد عاكسوا الرافضة والشيعة فكانوا في يوم عاشوراء يطبخون الحبوب ويغتسلون ويتطيبون ويلبسون افخر ثيابهم ويتخذون ذلك اليوم عيدا يصنعون فيه انواع الاطعمة ويظهرون الفرح والسرور فرحا بقتله لانه حاول ان يفرق كلمة المسلمين بعد اجتماعها على حد تعبيره .

ولا يزال المسلمون من اهل السنة يعتبرون اول يوم من المحرم عيدا اسلاميا يتبادلون فيه التهاني والزيارات ويصرفون أكثر ساعاته في نوادي اللهو والطرب والحفلات ويسمونه بعيد الهجرة مع العلم بأن هجرة النبي من مكة الى المدينة كانت في السادس من ربيع الاول وفي الثاني عشر منه دخل المدينة ونزل ضيفا على ابي ايوب الانصاري .

ومهما كان الحال فلقد رافقت هذه الذكرى في اوساط الشيعة مصرع الحسين (ع) وكان الائمة يحرصون على تخليدها واستمرارها لتكون حافزا للاجيال على مقاومة الظلم والطغيان والاستهانة بالحياة مع الظالمين تقودهم بمعانيها السامية الخيرة للتضحية والبذل بسخاء في سبيل المبدأ والعقيدة .

لقد دخل الامام علي بن الحسين زين العابدين الى المدينة بعد ان أطلق سراحه وسراح عماته وأخواته يزيد بن معاوية وهو يبكي أباه وأهله واخوته وظل لفترة طويلة من الزمن يبكيهم حتى عده الناس من

البكائين ، وكان عندما يسأله سائل عن كثرة بكائه يقول : لا تلوموني فان يعقوب النبي فقد ولدا من اولاده فبكى عليه حتى ابيضت عيناه من الحزن وهو حي في دار الدنيا . وقد نظرت الى عشرين رجلا من اهل بيتي على رمال كربلاء مجزرين كالاضاحي أفترون حزنهم يذهب من قلبي .

وروى الرواة عن الامام الصادق (ع) انه قال ما وضع بين يدي جدي علي بن الحسين طعام الا وبكى بكاء شديدا وان احد مواليه قال له : جعلت فداك اني اخاف عليك ان تكون من الهالكين . فقال : انما اشكو بثي وحزني الى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون اني لم اذكر مصارع بني فاطمة الا وخنقتني العبرة .

وأحيانا كان الإمام السجاد يطلب المناسبة ويخلقها احيانا ليحدث الناس بما جرى للحسين وأهل بيته فيذهب الى سوق القصابين في المدينة ليسألهم عما اذا كانوا يسقون الشاة قبل ذبحها وانه ليعلم انهم يفعلون ذلك لانه من السنن المأثورة ولكنه يريد ان يحدثهم عما جرى لابيه ليبعث في نفوسهم النقمة على الظلم والظالمين ، فيقول لهم : لقد ذبح ابو عبد الله عطشانا كما تذبح الشاة فيجتمعون عليه ويبكون لبكائه ، وكان اذا رأى غريبا دعاه الى بيته لضيافته ثم يقول : لقد ذبح ابو عبد الله غريبا جائعا ، واستمر طيلة حياته حزينا كئيبا ، وهكذا كان غيره من الائمة يحرصون على بقاء تلك الذكرى حية في نفوس الاجيال خالدة خلود الدهر لانها لا تنفصل بمعانيها السامية عن اهداف الاسلام العليا ومقاصده الكريمة .

وقال الإمام الصادق (ع) لجماعة من اصحابه دخلوا عليه في اليوم العاشر : أتجتمعون وتتحدثون ؟ فقالوا : نعم يا ابن رسول الله ، فقال : أتذكرون ما صنع بجدي الحسين لقد ذبح والله كما يذبح الكبش وقتل

معه عشرون شابا من اهله وبنيه واخوته ما لهم على وجه الارض من مثيـــل •

وروى عنه معاوية بن وهب وقد دخل عليه في اليوم العاشر من المحرم فرآه حزينا كاسف اللون وهو يدعو ويقول : اللهم يا من خصنا بالكرامة ارحم تلك الوجوه التي غيرتها الشمس وارحم تلك الخدود التي تقلبت على قبر ابي عبد الله الحسين وارحم تلك الصرخة التي كانت لأجله ، ومضى يقول في دعائه لزوار الحسين والباكين عليه كما جاء في رواية ابن وهب : اللهم ارحم تلك الأنفس والابدان حتى توفيهم على الحوض يوم العطش الاكبر ، ولما استغرب معاوية بن وهب ما رآه من بكاء الإمام ومن دعواته لزوار قبر ابي عبد الله والباكين عليه ، قال له : يا ابن وهب ان من يدعو لزوار قبر الحسين والباكين لما اصابه في السماء اكثر ممن يدعون لهم في الارض . ودعاء الامام لزوار قبر الحسين يشير الى ان الشيعة كانوا يتوافدون لزيارته من ذلك التاريخ •

ودخل جعفر بن عفان عليه فقال له : بلغني انك تقول الشعر فـــي الحسين وتجيده فأنشدني من شعرك فيه ، ثم قام وأجلس نساءه خلف الستر فلما قرأ عليه من شعره في الحسين جعل يبكي وارتفع الصراخ والعويل من داخل الدار حتى ازدحم الناس على باب الدار مخافة ان يكون قد حدث فيها حادث فلما وقف الناس على واقع الامر تعالى الصراخ من كل جانب ثم قال له : لقد شهدت ملائكة الله المقربون قولك في الحسين وبكوا كما بكينا •

وكان جعفر بن عفان من شعراء اهل البيت ، وله مواقف مع ابن ابي حفصة شاعر العباسيين الذي كان يتملق اليهـــم بانتقاص العلويين ، وهجائهم ومن قصائده التي كان يتملق بها للعباسيين قوله في ابيـــات يخاطب بها العلويين :

خلو الطريق لمعشر عاداتهم حطم المناكب كل يوم زحام
ارضوا بما قسم الاله لكم به ودعوا وراثة كل اصيد حام
انى يكون وليس ذاك بكائن بني البنات وراثة الاعمام

فرد عليه جعفر بن عفان بقوله :

لم لا يكون وان ذاك لكائن لبني البنات وراثة الاعمام
للبنت نصف كامل من ماله والعم متروك بغير سهام
ما للطليق وللتراث وانما صلى الطليق مخافة الصمصام [1]

وكان الامام الرضا (ع) يجلس للعزاء في العشرة الاولى من شهر المحرم ولا يرى ضاحكا قط ، كما كانت مظاهر الحزن والاسف تستولي على الائمة الاطهار وأصحابهم وتبدو ظاهرة في بيوتهم ومجالسهم ويقولون لمن يحضر مجالسهم من الخاصة والعامة : قولوا متى ما ذكرتم الحسين وأصحابه : يا ليتنا كنا معك فنفوز فوزا عظيما ، انهم كانوا يريدون من اصحابهم وشيعتهم وجميع المسلمين ان يكونوا مع الحسين وأصحاب الحسين العاملين بمبادىء القرآن وسنن الانبياء والمصلحين العاملين لخير الانسان في كل زمان ومكان بأرواحهم وعزيمتهم وقلوبهم، وبقاء هذه الذكرى خالدة خلود الانسان وأن يشحنوا النفوس بالنقمة على الظالمين وفراعنة العصور الذين يتحكمون بكرامة الانسان وخيرات الارض التي اوجدها الله لاهل الارض لا للحاكمين والجلادين .

يريدون منهم ان يكونوا في كل زمان ومكان ثورة عارمة على من يحمل روح يزيد وجلاديه ولا يختلف عنهما الا بالاسم ويضحوا بأنفسهم

---

١ ـ انظر مقتل المقرم عن رجال الكشي ومعاهد التنصيص ص ١١٩ .

من اجل الحق والعدل كما ضحى الحسين وأصحابه في ثورته على يزيد زمانه . لقد ارادوا منهم ذلك صراحة تارة وتلميحا اخرى كما يبدو ذلك من حثهم وترغيبهم على زيارة الحسين وتحمل المشاق وان عظمت في سبيلها لتبقى مواقفه وتضحياته ماثلة لدى الاجيال تتخذ منها دروسا في الجهاد والتضحيات في سبيل العقيدة والمبدأ .

انهم كانوا يحثون ويرغبون في زيارته في اكثرمن فصل من فصول السنة لان الزائر عندما يقف امام ضريحه الطاهر اذا كان مدركا لواقعه لا بد وأن يتصور موقف الحسين وحيدا في مقابل تلك الحشود التي اجتمعت لقتاله غير هياب ولا وجل يدافع ويناضل عن شريعة جده وكرامة الانسان بعزيمة أثبت من الجبال الرواسي كما وصفها بعض شعراء الطف بقوله :

من تحتهم لو تزول الارض لانتصبوا   على الهوى هضبا ارسى من الهضب

هذه الخواطر التي تعترض زائر الحسين لا بد وأن تحدث في نفسه نقمة على الظلم والظالمين وتدفعه على الصمود في الشدائد والاهوال وتؤكد صلاته بأهل هذا البيت الذين يجسدون الاسلام فكرا وقولا وعملا ، هذا بالاضافة الى ان الزائر يعاهد الله ورسله وملائكته بالمضي على خطا الحسين وآبائه وأبنائه ومتابعتهم في القول والعمل ومواقفهم من الظالمين حينما يقف على ضريحه ويخاطبه بقوله : وأشهد الله وملائكته ورسله اني سلم لمن سالمكم وحرب لمن حاربكم وولي لمن والاكم وعدو لمن عاداكم واني بكم مؤمن ولكم تابع في ذات نفسي وشرائع ديني وخواتيم عملي في منقلبي ومثواي .

ان هذا التأكيد من الائمة الاطهار على زيارة الحسين (ع) والترغيب المغري بها في عدد من المواسم خلال كل عام لم يصدر منهم بالنسبة لزيارة غيره من الائمة ولا لزيارة من هو اعظم منه كجده المصطفى وأبيه

المرتضى في حين ان كل واحد منهم كان يجسد الاسلام بجميع فصوله وخطوطه في اقواله وأفعاله وقد وهب حياته لله ولخير الناس اجمعين وهانت عنده الدنيا بكل ما فيها من متع ونعيم ومغريات . ان ذلك لم يكن الا لان شهادة الحسين (ع) بما رافقها من الجرائم والفظائع تثير الاحاسيس وتحرك الضمائر الهامدة وتحث على مقارعة الظلم والصبر في الشدائد والاهوال في سبيل المبدأ والعقيدة ولاجل ما رافقها من تلك الاحداث القاسية التي لم يسجل التاريخ لها نظيرا فقد اتخذها الائمة (ع) وسيلة لاثارة العواطف والهاب المشاعر وبعث الروح النضالية في نفوس الجماهير المسلمة لتكون مهيأة للثورة على الظلمة والجبابرة في كل ارض وزمان وفي الوقت ذاته فان تلك المآتم والذكريات تكشف عن طبيعة القوى التي تناهض اهل البيت وتناصبهم العداء ومدى بعدها عن الاسلام ، وتبين في الوقت ذاته ان جوهر الصراع بينهم وبين الحاكمين ليس ذاتيا ولا مصلحيا كما جرت العادة عليه في الصراعات بين الناس بل هو من اجل الاسلام وتعاليم الاسلام والجور الذي اصاب الناس .

لقد كان موقف الائمة (ع) من تلك المآتم والحث عليها والترغيب بها منذ قتل الحسين (ع) من جملة الدوافع التي جعلت الشيعة يلتزمون بها بدون انقطاع في كل بلد حلوا فيه بالرغم مما كانوا يتعرضون له من الحاكمين وأعداء اهل البيت من التنديد والتنكيل والسخرية ومع كل ما قام به الحاكمون من جور وارهاب فلم يفلحوا في كبح ذلك التيار الشيعي الجارف الذي بقي يتعاظم باستمرار مع الزمن وبقي في تصاعد مستمر حتى في عهد العباسيين الذين وصلوا الى الحكم على حساب العلويين كما تؤكد ذلك عشرات الشواهد ومع ذلك فقد كانوا عليهم أشد من الامويين وحاربوهم على جميع الجبهات وتعرضوا في عهودهم لأسوأ انواع العسف والجور والتشريد .

فلقد قال المنصور العباسي عندما عزم على قتل الامام الصادق : قتلت من ولد فاطمة الفا او يزيدون وتركت إمامهم وسيدهم جعفر بن محمد كما جاء في شرح ميمية ابي فراس والادب في ظل التشيع [1] .

وترك لخليفته المهدي ميراثا من رؤوس العلويين كان قد وضعها في غرفة من غرف قصره ودفع مفاتيحها لزوجة خليفته ريطة وأوصاها بأن لا تفتحها الا هي وزوجها بعد وفاته فأيقنت انها مملوءة من التحف والاموال ، ولما توفي فتحها المهدي هو وزوجته ليلا فوجدها مملوءة من رؤوس العلويين بينها رؤوس شيوخ وأطفال وشبان وفي كل رأس رقعة باسمه ونسبه [2] .

وهو القائل لعمه عبد الصمد بن علي عندما لامه على تسرعه في القتل والعقوبات ان بني مروان لم تبلى رممهم وآل ابي طالب لم تغمد سيوفهم ونحن بين قوم رأونا بالامس سوقة واليوم خلفاء ولا نستطيع ان نبسط هيبتنا الا بنسيان العفو واستعمال العقوبة [2] .

لقد وصل المنصور الى الحكم على حساب آل ابي طالب كما ذكرنا وبعد ان استتبت له الامور قتل منهم الفا او يزيدون ووضع السيف في رقابهم لا لشيء الا لانه يخاف منهم على هيبته وسلطانه والخوف وحده يبرر له ويغره من الحاكمين قتل الملايين من البشر في كل عصر وزمان وفي الوقت ذاته يتغنون بالحرية والديمقراطية والسلام وما الى ذلك من الشعارات كما كان العباسيون والامويون يتسترون بالاسلام ورسالة الاسلام ويتقربون من الوعاظ وشيوخ السوء ليصنعوا لهم المبررات

---

١ ــ ص ١٥٩ من الميمية.وص ٦٨ من الادب في ظل التشيع وتاريخ الطبري والنزاع والتخاصم للمقريزي .

٢ ــ تاريخ الخلفاء للسيوطي .

لجرائمهم .

وجاء في مناقب ابن شهراشوب ان المنصور قال للامام الصادق (ع): لاقتلنك ولأقتلن اهلك حتى لا ابقي على الارض منكم قامة سوط ولقد هم بقتله اكثر من مرة وكان يستعين عليه بالله وحده فأنجاه الله من شره .

ويدعي عبد الجواد الكليدار آل طعمة في كتابه تاريخ كربلاء انه اول من تجرأ على قبر الحسين وهدمه عندما رأى الشيعة يتوافدون الى زيارته ويرددون تلك المأساة الدامية التي حلت بأهل البيت .

وجاء في مروج الذهب للمسعودي انه جلس يوما مع المسيب بن زهرة وكان من أعوانه وجلاديه فذكر الحجاج بن يوسف ووفاءه للمروانيين في معرض التعريض والتنديد بأعوانه ففهم المسيب غايته فقال له المسيب : يا امير المؤمنين والله ان الحجاج لم يسبقنا الى امر من الامور ، ولم يخلق الله على وجه الارض احدا أحب الينا من نبينا محمد ابن عبد الله (ص) ومع ذلك فقد أمرتنا بقتل اولاده وعترته فأطعناك وقتلناهم فهل كان الحجاج أنصح لبني مروان منا لك ، فسكت المنصور ولم يرد عليه .

وروى الرواة عن اساليب تعذيبه للعلويين انه كان يضع العلويين في الاسطوانات ويسمرهم في الحيطان وأحيانا يضعهم في سجن مظلم ويتركهم يموتون جوعا ويترك الموتى بين الاحياء فتقتلهم الروائح الكريهة ثم يهدم السجن على الجميع كما جاء في تاريخ اليعقوبي . ولقد فر ابو القاسم الرسي بن ابراهيم بن طباطبا المعروف باسماعيل الديباج الى بلاد السند خوفا من المنصور وقال كما جاء عنه :

لم يروه ما اراق البغي من دمنا   في كل ارض فلم يقصر من الطلب
وليس يشفي غليلا فيحشاه سوى   ان لا يرى فوقها ابنا لبنت نبي

وحكم المسلمين من بعده ولده المهدي بنفس الروح اللئيمة الحاقدة على العلويين وصلحاء المسلمين وخفت في عهده حدة القتل الجماعـــي للعلويين وشيعتهم ومطاردتهم ولكنه سخر جماعة من أعوانه ومرتزقته لانتحال صفة الزندقة لكل من يناوئه من العلويين وشيعتهم ، وأصبح الاتهام بالزندقة من أيسر التهم التي تلصق بالابرياء كما جاء في التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية .

وقال عبد الرحمن بدوي : ان الاتهام بالزندقة في ذلك العصر كان يسير جنبا الى جنب مع الانتساب الى مذهب الرافضة وفي ذلك يقول الطغرائي من جملة أبيات له :

ومتى تولى آل احمد مسلـــم   قتلوه ووصموه بالالحاد

ولما جاء دور خليفته الهادي العباسي سلط على العلويين جلاديـــه وجلاوزته فألحوا في طلبهم ومطاردتهم وقطع ارزاقهم وأعطياتهم وكتب الى سائر المقاطعات الاسلامية يهدد ويتوعد كل من يأويهم ويحسن اليهم وكانت معركة فخ التي قتل فيها اكثر من مائة وخمسين مـــن رجال العلويين ونسائهم وأطفالهم بسبب ما لحقهم من الاضطهاد يومـــذاك وتولى قيادتها الحسين بن علي بن الحسن بن علي بن ابـــي طالب (ع)، وكان موسى الهادي قد استخلف على المدينة اسحاق بن عيسى فأوعـــز اسحاق الى رجل من ولد عمر بن الخطاب يعرف بعبد العزيز بن عبد الله فحمل على الطالبيين وأفرط في التحامل عليهم ومضايقتهم فاجتمع على الحسين بن علي صاحب فخ جماعة من الشيعة فخرج بهم وكانت المعركة في القرب من مكة وفي المكان المعروف بفخ وقتل الحسين ومن معه من العلويين وشيعتهم وحملت رؤوسهم الى موسى الهادي ، ولما بلغ العمري

والي المدينة ما جرى للحسين بن علي قائد معركة فخ أمر بهدم داره ودور الطالبيين وصادر اموالهم وممتلكاتهم .

وجاء في مقاتل الطالبيين للاصفهاني ان النبي (ص) مر بفخ فنزل وصلى ركعتين وقبل ان ينتهي منهما بكى وهو في صلاتــه فلما رآه المسلمون بكوا لبكائه ولما سألوه عن سبب بكائه قال : نزل عليّ جبريل لما صليت الركعة الاولى وقال : يا محمد ان رجلا من ولدك يقتل في هذا المكان وأجر الشهيد معه أجر شهيدين ، فبكيت لما يجري على ذريتي من بعدي [1] .

ولما جاء دور الرشيد الخليفة العباسي الخامس مثــل أسوأ الادوار معهم وأقسم كما جاء في الاغاني طبع دار الكتب بالقاهرة على استئصالهم وكل من يتشيع لهم وقال : حتام اصبر على آل ابي طالب والله لأقتلنهم وأقتل شيعتهم أينما حلوا وأمر باخراجهم من بغداد الى المدينة وأمر واليه عليها ان يأخذ الضمانات منهم ويتعهد بعضهم ببعض وعندما ارســـل الجلودي لحرب محمد بن جعفر بن محمد أمره ان يغير على دور آل ابي طالب ويسلب ما على نسائهم من الثياب ولا يترك لكل واحدة منهن الا ثوبا واحدا يسترها .

ولم يكتف بذلك حتى هدم قبر الحسين وقطع السدرة الكبيرة التي كانت الى جانبه لا لشيء الا لان زوار قبر الحسين (ع) كانوا يستظلون تحتها من حرارة لشمس ، وقد تولى له تنفيذ هذه المهمة موسى بن عيسى ابن موسى العباسي [1] .

---

١ ــ انظر مقاتل الطالبيين لابي الفرج ص ٢٩٠ وما بعدها .

١ ــ تاريخ الشيعة للمظفر والكنى والالقاب للشيخ عباس القمي والمناقب لابن شهراشوب والكامل لابن الاثير .

وتوج موبقاته كلها بحبس الامام موسى بن جعفر (ع) وأخيرا بقتله بالسم بواسطة جلاديه وجلاوزته وفي عهده امتلأت سجونه من العلويين وشيعتهم وكل من يتهم بالتشيع لهم على حد تعبير احمد امين في المجلد الثالث من ضحى الاسلام ٠

واشتهر المتوكل بعدائه الشديد للعلويين ، فقد جاء في تاريخ ابن الاثير وهو يستعرض حوادث سنة ٢٣٦ ان المتوكل العباسي كان شديد البغض والكراهية لعلي وآل علي واذا بلغه ان احدا يتولى عليا وآل علي صادر أمواله وقتله وأضاف الى ذلك انه كتب الى واليه في مصر يأمره باخراج آل ابي طالب منها وطردهم الى العراق وكانوا في مصر يرددون في مجالسهم ما صنعه الامويون مع الحسين وأسرته وأصحابه ويبكون لما اصابهم فأخرجهم الوالي منها واستتر اكثر من كان فيها من شيعة اهل البيت ، كما استعمل على المدينة ومكة المكرمة عمر بن الفرج الرجحي فمنع من البر بآل ابي طالب كما منع العلويين من التعرض للناس والاتصال بأحد ، ولم يبلغه عن احد بر علويا الا أنهكه عقوبة وأثقله عزما فساءت حالة العلويين واضطر نساؤهم الى التزام بيوتهن عاريات يتبادلن القميص المرقع في الصلاة الواحدة تلو الاخرى ويجلسن عاريات على منازلهن لكي يشترين ما يسد رمقهن من خبز الشعير بأثمان غزلهن ٠

لقد قضت مشيئة خليفة المسلمين العباسي في نسبه الاموي الحاقد في روحه ومشاعره ان تعتكف العلويات الطاهرات في بيوتهن عاريات يتبادلن القميص المرقع اذا حضرت اوقات الصلاة ، ثم يجلسن على مغازلهن عاريات ليشترين بأثمان غزلهن ما يسد رمقهن من الخبز ، وأن تختال نساؤهم وجواريهم الفاجرات الراقصات بالحلي وحلل الحرير والديباج بين الغلمان والسكارى من حواشي الخليفة ، ويجلسن على موائد الطعام المؤلفة من جميع المأكولات والخمور وأهل البيت ونساؤهم

وأطفالهم يتلوون من آلام الجوع أذلاء صاغرين ، وكان يقرب اليه كل من يكره عليا امير المؤمنين كعلي بن الجهم وأمثاله ممن كانوا يشتمون عليا (ع) ونظرا لان أباه الجهم بن بدر كان من الموالين لعلي قال بعض شعراء الشيعة في علي بن الجهم :

لعمرك ليس الجهم بن بدر بشاعر   وهذا علي ابنه يدعي الشعـــرا
ولكن ابي قد كان جارا لأمـــه   فلما ادعى الاشعار أوهمني امـــرا

يشير بهذين البيتين الى الحديث الشائع عن النبي (ص) انه قـــال لعلي (ع) بحضور جماعة من المهاجرين والانصار : يا علي لا يبغضك الا ابن حيض او زنا .

وكان ابن السكيت من كبار العلماء والادباء في زمانه وقد ألزمـه المتوكل بتعليم ولديه المعتز والمؤيد ، فقال له يوما : أيهما أحب اليك ابناي هذان او الحسن والحسين ؟ فرد عليه ابن السكيت بقوله : والله ان قنبرا خادم الحسن والحسين أحب الي منك ومن ولديك فأوعز المتوكل الى جلاديه من الاتراك ان يستخرجوا لسانه من قفاه ففعلوا به ذلك ومات من ساعته وكان يقول :

يصاب الفتى من عثرة بلسانـــه   وليس يصاب المرء من عثرة الرجل
فعثرته في القـــول تذهب رأســه   وعثرته في الرجل تبرأ على مهـــل

لقد نسي رحمه الله هذين البيتين اللذين كان يرددهما وكأنه كان يعني نفسه بهما ، لقد سيطر عليه الولاء لاهل البيت واستفزه استخفاف المتوكل بهم فأبت له نفسه الكبيرة ان يتقيه ويقول ما لا يؤمن به فذهب في قافلة الشهداء ولعله كان من أفاضلهم بمقتضى قول النبي (ص) أفضل الشهداء عمي الحمزة ورجل قال كلمة حق في وجه جائر فقتله .

لم يكتف المتوكل بالتنكيل بشيعة اهل البيت ومطاردتهم فأراد ان يمنعهم عن زيارة الحسين ففرض عليهم الضرائب وهددهم وتوعدهم بالقتل ومصادرة اموالهم وممتلكاتهم فلم يخضعوا لتهديده ولا لوعيده واستمرت وفود الشيعة على كربلاء في تصاعد مستمر يكمنون بالنهار ويسيرون ليلا ولما لم يجد سبيلا لاستئصال هذه الظاهرة الشيعية اتخذ قرارا بهدم القبر وازالة معالمه ليضيع مكانه ولا يهتدون اليه ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره المشركون •

لقد اراد معاوية من قبله ان لا يتحدث احد بفضل علي وآثاره فكتب الى عماله في جميع المقاطعات الاسلامية برئت الذمة ممن يروي حديثا في فضل عليّ وآل علي وممن يذكرهم بخير ، وكتب المتوكل الهاشمي وابن عم العلويين الى عماله برئت الذمة ممن يبر العلويين ويحسن الى احد منهم ، وقتل معاوية الحسن بن علي والمئات من صلحاء المسلمين لانهم لم يعلنوا براءتهم من علي وآل علي ، وكذلك فعل المتوكل وأسلافه من أحفاد هاشم وعبد المطلب ، وقتل يزيد بن معاوية الحسن بن علي وعشرين شابا من أحفاد ابي طالب ، وقال المنصور العباسي حفيد عبد المطلب : قتلت من ولد فاطمة الفا او يزيدون وترك لولده المهدي غرفة من غرف قصره مملوءة برؤوسهم ومع كل رأس رقعة باسمه ونسبه ليقتدي بـه خليفته من بعده [1] وهدم المتوكل قبر امير المؤمنين وقبر الحسين حتى لا يهتدي اليهما احد من الشيعة ويذهب لزيارتهما ، ولكن طيب تراب القبر دل على القبر •

فكان معاوية بمحاولاته الفاشلة اخفاء فضائل امير المؤمنين كأنه يأخذ بضبعه الى السماء على حد تعبير الشعبي وعبد الله بن عروة بن الزبير

---

١ ـ انظر الطبري والنزاع والتخاصم للمقريزي •

لولديهما ، وكان المتوكل بمحاولاته لاخفاء قبر الحسين (ع) ان يجعله من الابراج التي تناطح السحاب وتثير أحقاد الحاكسين من حكام العصور.

ونعود بعد هذه اللمحات القصار عن مواقف العباسيين من العلويين الى الحديث عن مرقد الحسين لنعود الى اعطاء صورة اوسع عن جور العباسيين بعد الفراغ من هذا الفصل الذي خصصناه للمآتم الحسينية وزيارة مرقده ، وما دمنا بصدد الحديث عن المآتم الحسينية وزيارة مرقد الحسين نعود لابي الفرج الاصفهاني لنرى ما فعله المتوكل بقبر الحسين ومع زائريه ، فقد جاء في مقاتل الطالبيين ان المتوكل الهاشمي كان شديد الوطأة على آل ابي طالب غليظا على جماعتهم وشديد الحقد والغيظ عليهم وكان وزيره عبيد الله بن يحيى بن خاقان يشاركه في سوء الرأي بهم فحسن له القبيح في معاملتهم وبلغ فيهم ما لم يبلغه احد من بني العباس قبله ، وكان من سوء فعله ان كرب قبر الحسين وعفى آثاره ووضع على سائر الطرق المؤدية اليه مسالح من جنده لا يجدون احدا في طريقه لزيارته الا قتلوه او انهكوه تعذيبا ، ومضى يقول : لقد حدثني احمد بن الجعد الوشا وقد شاهد بنفسه ذلك فقال : كان السبب في حراثة قبر الحسين ان بعض المغنيات كانت تبعث بجواريها الى المتوكل قبل خلافته يغنين له اذا شرب ، فلما تولى الخلافة بعث الى تلك المغنية فعرف انها كانت غائبة في زيارة الحسين (ع) ولما بلغها خبره اسرعت في الرجوع وبعثت اليه بجارية من جواريها كان يألفها فقال لها : اين كنتم ؟ فقالت : لقد خرجت مولاتي الى الحج وأخرجتنا معها وكان ذلك في شعبان ، فقال : والى اين حججتم ونحن في شعبان ؟ فقالت : قصدنا قبر ابن عمك الحسين بن علي (ع) ، فاستشاط غضبا وأمر بمولاتها فوضعها في سجنه وصادر أملاكها وبعث برجل من اصحابه يقال له (الديزج) وكان يهوديا الى مرقد الحسين وأمره بهدمه وأن يكرب محله ولا يترك له أثرا

كما أمره بهدم كل ما حوله من الابنية ، فمضى لذلك ونفذ جميع ما أمره به المتوكل فهدم ما حوله من البناء والبيوت التي كان اصحابها يستقبلون الزوار فيها وكرب نحوا من مائتين جريب حوله ، فلما بلغ الى القبر لم يتقدم لهدمه احد ممن كانوا معه من جنود المتوكل وأنصاره فأحضر قوما من اليهود فهدموه ثم كربوه وأجروا الماء عليه وعلى ما حوله من الاراضي ، وأوكل امر ملاحقة الزوار الى جنوده وجلاوزته فكل من وجدوه متوجها لزيارته اعتقلوه وأرسلوه اليه ، وأضاف الى ذلك الاصفهاني في مقاتله ان محمد بن الحسين الاشناني قال :

لقد بعُد عهدي بالزيارة في تلك الايام خوفا من السلطة الحاكمة ، ثم عملت على المخاطرة بنفسي فيها وساعدني رجل من العطارين على ذلك فخرجنا زائرين نكمن النهار ونسير الليل حتى اتينا نواحي الغاضرية وخرجنا منها نصف الليل فسرنا بين مسلحتين حتى اتينا محل القبر وقد خفي علينا فجعلنا نشمه ونتحرى جهته حتى اتيناه وقد قلع الصندوق الذي كان حواليه وأحرق وأجري الماء عليه فانخسف موضع اللبن وصار كالخندق فزرناه ثم انكببنا عليه فشممنا منه رائحة ما شممت مثلها في جميع انواع الطيب ، فقلت للعطار الذي كان معي: أي رائحة هذه؟ فقال: لا والله ما شممت مثلها شيئا من العطر ، فودعناه وجعلنا حول القبر علامات في عدة مواضع ، فلما قتل المتوكل اجتمعنا مع جماعة من الطالبيين والشيعة حتى صرنا الى القبر فأخرجنا تلك العلامات وأعدناه الى ما كان عليه [1] .

وجاء في الامالي للشيخ الطوسي عن عبد الله بن دانية الطوري انه قال : حججت سنة ٢٤٧ فلما انتهيت من اعمال الحج ورجعت الى العراق

---

١ ــ انظر مقاتل الطالبيين لابي الفرج ص ٣٩٥ و٣٩٦ .

زرت امير المؤمنين علي بن ابي طالب على حال خيفة من السلطان ، ثم توجهت الى زيارة الحسين (ع) في كربلاء فاذا مرقده قد حرث وفجر فيه الماء وأرسلت الثيران والعوامل في الارض . فبعينـــي وبصري رأيت الثيران تساق في الارض فتنساق لهم حتى اذا وصلت القبر حادت عنه يمينا وشمالا فتضرب بالعصي الضرب الشديد فلا ينفع ذلك ولا تطأ القبر بحال ابدا فلم أتمكن من الزيارة فتوجهت الى بغداد وأنا اقول :

تالله ان كانت أميـــــة قد اتت   قتل ابن بنت نبيهـا مظلومـــــا
فلقد اتـــاه بنو ابيه بمثلــــه   هـــذا لعمرك قبره مهدومـــــا
اسفوا على ان لا يكونوا شاركوا   فـــــي قتله فتتبعوه رميمـــــا

وقيل كما هو الشائع ان الابيات للشاعر البسامي ويجوز ان يكون عبد الله بن دانية قد استشهد بها بعد شيوعها .

وقال الطبري في المجلد التاسع وفي أحداث ٢٣٦ ان عامل صاحب الشرطة نادى في الناحية التي فيها القبر من وجدناه عند قبر الحسين بعد ثلاثة ايام بعثنا به الى المطبق ، فهرب الناس من حواليه [١] .

وقد أثر هذا الارهاب الى حد ما على نشاط تحركات الشيعة نحو زيارة مراقد الائمة (ع) وبخاصة زيارة الحسين ، بعد ان تعاظم أسلوب القمع والارهاب لبعض الوقت الى حد حمل الامام الثاني عشر محمد بن الحسن (ع) الى اصدار توجيه عام الى الشيعة ينهاهم فيه عن زيارة مرقد الامامين موسى بن جعفر ومحمد الجواد في مقابر قريش وحرم الحسين في كربلاء كما جاء في أعلام الورى وغيبة الطوسي ، ولكـــن اساليب

---

١ ــ المطبق سجن تحت الارض لا يرى الشمس ولا الهواء غالبا وقلما ينجو احد ممن يدخلون اليه وهو سجن المحكومين بالاعدام .

القمع والارهاب لم تدم طويلا وكان لها ردة فعل واسعة في الاوساط الشيعية فما ان أحس الشيعة بالانفراج حتى اخذوا يتوافدون على زيارة مرقد الحسين بكثافة وبصورة أشد تنوعا مما كانت عليه قبل ان يصدر الحاكمون اوامرهم بالمنع والتنكيل بالزائرين .

واعتقد الشيعة ان المرقد الشريف لم يتأثر ابدا بالماء وظل على حاله والشيعة يتوافدون عليه في مواسم معدودة من كل عام . وبعد قرن من الزمن كتب ابن حوقل عن المشهد الذي بني فوق ضريح الحسين (ع) ووصفه بأنه غرفة واسعة تعلوها قبة لها باب من كل جهاتها الاربع ، وفي عهد البويهيين هاجم البلدة المحيطة بضريح الحسين (ع) فريق من الأعراب جاءوا من عين التمر وضربوا المشهد وغيره من الاماكن المجاورة له فصب عليهم بنو بويه جام غضبهم وعاقبوهم بأقسى ما يكون من العقوبات وأعاد عضد الدولة بناء المرقد وما تهدم حوله الى ما كان عليه وبسط عليها الحماية فجعل الناس يتهافتون الى زيارته من كل مكان .

وفي ربيع الاول من سنة ٤٠٧ هجرية ، ١٠١٦ ميلادية ، شب حريق في البناء فتهدمت القبة التي على المرقد والاروقة واحترقت وأعاد بناءها الحسين بن الفضل وبنى سورا حول كربلاء ، ومن ذلك الوقت تشابه تاريخ النجف وكربلاء فاحترمهما الاتراك الذين احتلوا العراق ، وزار ملك شاه سنة ٤٧٩ المشهدين ووزع الصدقات والاموال على اهالي البلدتين ونجتا من غزو المغول وتوالت زيارة أمراء الشيعة وحكامهم الى البلدتين ورعايتهما وخلال القرن السابع زار كربلاء الخان غازي احد حكام ايران وحمل معه الى المرقد الشريف بعض الهدايا الثمينة وشق ارغون من نهر الفرات الى البلدة قناة اصبحت تعرف فيما بعد بنهر الحسينية كما حافظ العثمانيون على المشهدين في كربلاء والنجف وكانت الاوامر تصدر الى

الولاة في بغداد بالمحافظة عليهما والعناية بهما [1] . وبقي مرقد الحسين ومراقد الائمة (ع) كعبة تتوافد اليهما الملايين في كل عام من مختلف انحاء العالم للتبرك بهما والعبادة والتوسل الى الله سبحانه بقضاء حوائجهم بالرغم من جميع وسائل الارهاب والقمع التي استعملها الحاكمون للتنكيل بالوافدين على مراقدهم وبقي اعداؤهم لعنة على لسان الاجيال ومراقدهم محلا لتجمع النفايات في البلاد التي دفنوا فيها .

ومهما كان الحال فلقد انفرجت الازمة التي اجتاحت الشيعة بموت المتوكل العباسي الى حد ما واستيلاء ولده المنتصر على السلطة من بعده كما نص على ذلك ابن الاثير وغيره من المؤرخين فلقد قال في معرض حديثه عن حوادث سنة ٢٤٨ ان المنتصر أمر بزيارة قبر الحسين وعلي(ع) وآمن العلويين وأطلق سراحهم ورد عليهم فدكا وكان اول ما أحدثه ان عزل عن المدينة صالح بن علي الذي كان يتتبعهم بكل انواع الاذى والظلم والجور وعين مكانه علي بن الحسن بن اسماعيل بن العباس بن محمد ، ولما دخل عليه ليودعه وهو في طريقه الى المدينة قال له : يا علي اني موجهك الى لحمي ودمي وساعدي فانظر كيف تكون للقوم وكيف تعاملني فيهم .

واستمر الشيعة أينما حلوا يحتفلون بذكرى الحسين الاليمة ويرددون ما جرى عليه وعلى اسرته وعائلته من القتل والسبي والتمثيل وبكل مظاهر التشيع في العشرة الاولى من المحرم وغيرها من المناسبات سواء في ذلك البلاد التي غلب عليها التشيع كالعراق او غيرها من المقاطعات التي كان

---

١ ـ انظر ص ١٣٥ من كتاب الحسين وبطلة كربلاء للشيخ محمد جواد مغنية .

الشيعة فيها يشكلون الاقلية بالنسبة الى غيرهم كما هو الحال في مصر يوم كانت في سلطة كافور الاخشيدي الذي كان كما يصفه بعض المؤرخين شديد التعصب على اهل البيت وشيعتهم ، ومع ذلك فقد اظهروا فيها من الصلابة والتماسك مع قلتهم بالنسبة لغيرهم ما فرض على كافور ان يصانعهم ويتغاضى عما يقومون به في كل عام من مظاهر الحزن والجزع لما اصاب اهل البيت (ع) .

ولم تنفرج الازمة في مصر انفراجا كاملا الا بعد ان تغلب عليها الفاطميون وحكمها المعز لدين الله الفاطمي فارتفعت معنويات الشيعة بوجودهم وهيأوا لهم جميع الاجواء المناسبة واشتركوا معهم في احياء تلك الذكرى وبذلوا في سبيلها الاموال بسخاء لا مثيل له ، وكان ذلك منهم كما لا يبعد ردا على حملات التشكيك في نسبهم التي شنها عليهم العباسيون وساهم فيها كبار علماء السنة يومذاك .

وقال المقريزي في خططه : كان الفاطميون في يوم عاشوراء ينحرون الابل والبقر لإطعام الناس ويكثرون النوح والبكاء ويتظاهرون بكل مظاهر الحزن والاسف واستمروا على ذلك حتى انقرضت دولتهم وجاء عهد الايوبيين الذين مثلوا أدوار الامويين والعباسيين مع الشيعة ، وأضاف المقريزي الى ذلك بروايته عن ابن ذولاق في سيرة المعز لدين الله انه في يوم عاشوراء من سنة ٣٦٣ انصرف خلق من الشيعة الى قبري أم كلثوم ونفيسة ومعهم جماعة من فرسان المغاربة ورجالهم بالنياحة والبكاء على الحسين ومن قتل معه من اسرته وبنيه وكسروا اواني السقائين .

وفي سنة ٣٩٦ جرى الامر على ما كان يجري في كل عام من تعطيل الاسواق وخروج المنشدين الى جامع القاهرة ونزولهم مجتمعين بالنوح والبكاء والنشيد ، واستطرد المقريزي في وصف ما كان عليه حال

الفاطميين من قيامهم بمناسبة ذكرى مصرع الحسين بمظاهر الحـــزن والاسف حكومة وشعبا ، ومضى يقول : اذا كان يوم العاشر احتجب الخليفة عن الناس لمدة من الوقت فاذا ارتفع النهار ركب قاضي القضاة والشهود وغيروا زيهم ومضوا الى مشهد الحسين ، فاذا دخلوه اخذوا ينشدون الشعر في رثاء اهل البيت (ع) الى ان تمضي عليهم ثلاث ساعات والنشيد متواصل وبعدها يستدعيهم الخليفة الى قصره فيدخل قاضـــي القضاة والداعي ومن معهما الى باب الذهب فيجدون الدهاليز قـــــد فرشت بالحصر فيجلس القاضي والداعي الى جانب الخليفـــة ويجلس الباقون من سائر الطبقات في الاماكن التي أعدت لهم فيقرأ القراء شيئا من القرآن . ثم ينشدون المراثي ويتقدمون بعد ذلك الى المائدة لتناول الطعام المؤلف من الاجبان والالبان والعسل وغير ذلك وبعد الفـــراغ يتوجه فريق من الناس والمنشدين ينوحون ويبكون في شوارع القاهرة وقد أغلقت المحلات والحوانيت وتعطلت جميع الاعمال في ذلك النهار حتى المساء الى غير ذلك من المظاهر التي كانت تعم المدن والقرى فـــي جميع انحاء مصر طيلة العهد الفاطمي وظلت هذه المظاهر تتصاعد وتشتد في مصر وغيرها من الاقطار الى ان جاء دور الايوبيين فحاربوا هـــذه المظاهر وتوعدوا الناس والشيعة بأقصى العقوبات اذا استمروا عليهـــا واستبدلوا مظاهر الحزن والاسى بمظاهر الفرح والسرور عند دخول شهر المحرم وأصبح اليوم العاشر منه من اعظم اعيادهم يتباهون فيه بالملابس الفاخرة وأنواع الطعام والحلوى والاواني الجديدة وما الى ذلك ممـا يعبر عن ارتياحهم واغتباطهم في ذلك اليوم ليرغموا بذلك أنوف الشيعة على حد تعبير المقريزي في خططه .

وفي عهد البويهيين كان الشيعة والحكام يمثلون دور الفاطميين وجاء في تاريخ ابي الفداء خلال حديثه عن أحداث ٣٥٢ ان معز الدولة كان في

اليوم العاشر من المحرم يأمر بتعطيل الاسواق كما يأمر الناس ان يخرجوا بالنياحة والنساء ناشرات الشعور قد شققن ثيابهن ولطمن وجوههن ، وأيد ذلك ابن كثير في بدايته وهو يتحدث عن البويهيين وما كانوا يصنعونه في بغداد في الايام الاولى من شهر المحرم والعاشر منه في كل عام الى غير ذلك مما رواه الرواة والمؤرخون عن مواقف الشيعة وحكامهم من ذكرى مجزرة الطف منذ حدوثها خلال القرون التي حكم الشيعة فيها بعض المناطق الاسلامية وغيرها من القرون التي كان الحكم فيها لاعداء الشيعة كالامويين والعباسيين والايوبيين والاتراك ، وبالرغم من كل وسائل العنف التي مارسها الحاكمون ضد التشيع ومظاهره فقد بقيت المآتم الحسينية تقام ولم تتأثر بالاخطار ووسائل العنف من الحاكمين وأعداء اهل البيت الذين ادركوا ان المآتم الحسينية في واقعها ليست الا تعبيرا عن المعارضة لحكمهم الجائر وادانة صريحة لتجاوزاتهم واستغلالهم لخيرات الشعوب والمستضعفين في الارض ، ولعل هذا المحتوى للمأتم الحسيني كان من اولى الدوافع لدعوة الائمة (ع) على احياء هذه الذكرى والالتزام بها مهما كانت النتائج والمضاعفات ، كما كان لتلك المآتم التي كانت تعقد هنا وهناك حتى في أشد الادوار تعقيدا وقسوة آثار واضحة في حدوث تلك الانتفاضات الشيعية التي كانت ترفع شعارات الثورة الحسينية وتجعل منها منارا وشعارا لبعث الروح النضالية والتضحية في سبيل الحق والعقيدة الى أبعد الحدود وفي الوقت ذاته فلقد كانت تلك الشعارات التي ترفع هنا وهناك كما يبدو من اقوى الدوافع على تمكين الثورة الحسينية في عقول الناس وقلوبهم سواء في ذلك ما كان منها في العصر الاموي او العباسي ، فانتفاضات الحسينيين في العصر العباسي ردا على ما ارتكبه اولئك الطغاة من قتل وتشريد وأسر وتفنن في اساليب التعذيب ، هذه الانتفاضات كانت روح كربلاء تحركها وتدفعها الى المضي

في المقاومة مهما كلفها ذلك من التضحيات وما زالت الانتفاضات التي تحدث على مرور الزمن هنا وهناك تستلهم من ثورة الحسين (ع) التي لم يحدث التاريخ عن ثورة اكثر منها عطاء وتصميما .

لقد واجهت هذه الذكرى في تاريخها الطويل قمعا واضطهادا كانا يضطرانها الى الخمود والتستر كما شهدت انفراجات محدودة حينا وأحيانا انفراجات واسعة ، ولكن اعمال القمع والاضطهاد لم تفلح في القضاء التام عليها بل بقيت تقام في مواعيدها وفي جو من التستر حتى في العصر الاموي ، وفي عصري المنصور والمتوكل اللذين يعتبران من أشد العهود قسوة وظلما ، وكانت عندما تتوفر لها الانفراجات الواسعة تنفجر كالبركان كما حدث لها في عهود الفاطميين والبويهيين في بغداد وجهاتها والحمدانيين في سوريا والموصل وعندما اصبح الحكم في بلاد الفرس وغيرها بيد الشيعة لان اساليب العنف والاضطهاد من الصعب ان تستأصل المبادىء والمعتقدات وحتى العادات بل تزيدها ترسيخا وصلابة، وعندما تتوفر لها الظروف والمناسبات تبرز بشكل اقوى وأشد مما كانت عليه وقديما قيل : لا شيء أجدى وأنفع للافكار والمعتقدات من محاربتها .

ان الذين يحاربون الافكار والمعتقدات يساهمون في ترسيخها وحياتها من حيث لا يريدون ، ولا شيء أدل على ذلك من مواقف الامويين والعباسيين المسعورة بل وجميع الحاكمين من اهل البيت وفضائلهم وآثارهم ، ومع كل ما بذلوه من جهود للقضاء عليها فقد بقيت من افضل الرموز الشامخة وأقدسها وظلوا في القمة بين عظماء التاريخ ، وظهر من صحيح فضائلهم وآثارهم مأملا لخافقين وما زالت محاسنهم تحكى وآياتهم تروى ، هذا بالاضافة الى ما اضافه عليها المحبون مما كان اهل البيت انفسهم يحاربونه ويرونه اساءة لهم ويقولون لعن الله من قال فينا ما لم نقله في انفسنا وكانوا في مجالسهم ومجتمعاتهم يلعنون اصحاب

تلك المقالات ويتبرأون منهم ومن مقالاتهم ، ويقولون لمن يجتمعون اليهم من اصحابهم وغيرهم : لعن الله من قال فينا ما لم نقله في انفسنا .

لقد كان لتلك المواقف الجائرة التي وقفها الحاكمون من المآتم الحسينية ومن زيارة الحسين وأبيه التي تعني فيما تعنيه الادانة لاولئك الطواغيت والمعارضة المستترة لسياستهم الجائرة كان لها ردود فعل في الاوساط الشيعية جعلتهم يتصلبون في تمسكهم بتلك المآتم ويعتبرونها وسيلة للتنفيس عن عواطفهم الحزينة الغاضبة والكبت النفسي الذي كان الشيعي يعانيه من ضغط الحاكمين وقسوتهم .

ومهما كان الحال فلقد مرت تلك المآتم والذكريات منذ ان ولدت بعد مصرع الحسين (ع) وحتى عصرنا الحالي بأدوار كثيرة ولم تثبت على صيغة واحدة في تلك العصور المتعاقبة ، وكان من الطبيعي ان تتطور حسب متطلبات العصر وأن تخمد وتنطلق بين الحين والاخر حسب الظروف المحيطة بها .

لقد انطلقت بشكل لم يكن معروفا ومألوفا من قبل خلال الحكم الشيعي في مصر وبغداد وحلب وجهاتها وفي فترات متعاقبة من الزمن وعادت الى ما كانت عليه في العصر الذي سبق عصر الفاطميين بعد ان تقلص ظل حكام الشيعة في تلك المقاطعات وظلت تقام في مواعيدها في أجواء تتسم بالسرية والتكتم كما كانت عليه في تلك العصور المظلمة . وفي العصور المتأخرة تطورت بشكل أخرجها عما وجدت من اجله وعما كان الائمة (ع) قد رسموه لها لتبقى منطلقا ورمزا لمعارضة الحكم المستبد الظالم وأدخلت عليها بعض الزيادات التي تسيء اليها والى التشيع ويستغلها اعداء الشيعة للتنديد والتشويه والسخرية وهذه الزيادات لقد أدخلت عليها كما هو الراجح عن طريق الاقطار الشيعية بعد ان حكمها الشيعة وغلب على اهلها التشيع كايران وأفغانستان وغيرهما من الاقطار التي تسربت اليها عادات الهنود القدامى كالضرب بالسلاسل الحديدية

والسيوف وما الى ذلك من المظاهر التي لا يقرها الشرع ولا تحقـــق الاهداف التي كان الائمة يحرصون عليها من تلك الذكريات .

ولا يزال هذا النوع من المظاهر الدخيلة يمارس خلال الايام الاولى من شهر المحرم في العراق وايران ، في حين ان الذين يضربون ظهورهم بالسلاسل الحديدية ورؤوسهم بالسيوف ليصبغوا أبدانهم بالدماء ليسوا من الملتزمين بالدين ويمارسون الكثير من المنكرات ؛ وقد انتقلت هذه الظاهرة الشاذة عن طريق بعض الفئات الى بعض القرى الشيعية مـــن جنوب لبنان في مطلع النصف الثاني من القرن الهجري المنصرم ولا تزال حتى يومنا هذا مصدر لسخرية الاجانب الذين يقصدون تلك البلدة في اليوم العاشر من المحرم ويسمونه يوم جنون الشيعـــة ، وبلا شك ان الائمة (ع) لا يرضون بهذه المظاهر ويتبرأون منها .

اما بقية القرى الشيعية من جنوب لبنان فلا تزال تحتفظ بذكـــرى مجزرة كربلاء في العشرة الاولى من شهر المحرم وفي بعض المناسبـــات الطارئة بين الحين والاخرى ولكن بالشكل المألوف الذي لا يتعـــدى قراءة أبيات في رثاء الحسين ومن قتل معه لبعض شعراء الطف بأسلوب يستثير العواطف وبعض الجوانب المثيرة من السيرة الحسينية التي تلهب المشاعر وتحض على الظالمين وفي اليوم العاشر يتولى احد الحضور قراءة المصرع بكامله مع الاحتفاظ بمظاهر الحزن في الغالب .

وستبقى تلك المآتم مع الزمن تستمد اصالتها واستمرارها من مواقف الحسين وبطولاته الخالدة التي ضرب فيها اروع الامثلة في البذل والعطاء وعلم ابناء آدم كيف يعيشون احرارا ويموتون كراما في مملكة الجبابرة وفراعنة العصور لو ارادوا ان يعيشوا احرارا ويموتوا كراما .

صور من جرائم العباسيين على العلويين

لقد كان بيت ابي طالب الوحيد من بيوت الهاشميين الذي احتضن محمدا ورسالته ووقف زعيم ذلك البيت ابو طالب في أشد الازمات التي اعترضت مسيرة الدعوة الى جانب ابن اخيه هو وأولاده وزوجته يحمونه من عدوان قريش ومخططاتها الهادفة الى القضاء علىه وعلى رسالتـــــه وأبو طالب يردد ويقول لابن اخيه :

والله لن يصلوا اليــك بجمعهــم حتى اوسد في التراب دفينـــــا

ويلتفت الى ولده جعفر عندما رأى محمدا يصلي وعلي عن يمينـــه ويقول له : صل جناح ابن عمك يا بني وذلك في الايام الاولى لبعثتــه ثم يقول :

ولقد علمت بـــأن دين محمد مـــن خير اديان البرية دينـــــا

الى كثير من مواقفه وتضحياته في سبيله التي تؤكد بأنه كان مــــن أصدق المسلمين اسلاما ووفاء لرسالة الاسلام وعملا بكل ما جاء به محمد

من عند الله وكانت مصلحة الاسلام تفرض عليه ان لا يتجاهر في بعض الاعمال والواجبات . وما ورد حول اسلامه في مجاميع الحديث السنية كله من صنع الامويين كما تؤكد ذلك عشرات الشواهد ، ولا ذنب له الا انه والد الامام امير المؤمنين (ع) كما ذكرنا ذلك اكثر من مرة .

ولم يحدث التاريخ عن موقف للعباس ولا لغـــيره من الهاشميين باستثناء الحمزة بن عبد المطلب في مطلع الدعوة يتسم بالحزم والصلابة في مقابل قريش وتحدياتها لمحمد بن عبد الله (ص) وما انزلته به مـــن الاذى والمطاردة والاساءة ، وبعد ان استقامت الامور للرسول الاعظـم وانتشرت رسالته وخضعت لها الجزيرة العربية وانطلقت الى ما ورائها لم يرد لغير عبد الله بن العباس الذي لازم امير المؤمنين واستفاد من علمـه وأصبح بما اخذه عنه من أعلام المسلمين الاوائل وأحد المراجع الكبـار فيما أشكل عليهم من المسائل ، لم يرد لغيره ذكر من تلك الاسرة يلفت الانظار اليهم وكانوا يعتزون بقرابتهم لامير المؤمنين وأبنائه كاعتزازهم بالنبي (ص) ولكنهم لم يكونوا بنظر الناس شيئا بالقياس الى العلويين ، وجاء عن المنصور انه كان اذا ركب محمد بن عبد الله بن الحسن يأخذ بركابه ويسوي له ثيابه على سرج فرسه ويمشي الى جانبه اجلالا واكبارا له وحينما توالت الانتفاضات على الامويين بعد النقمة العارمة عليهـــم التي خلفتها مجزرة كربلاء وبعد الظلم الفادح الذي لحق بالمسلمين منهم ومن ولاتهم في العراق وغيره من المقاطعات انضم العباسيون الـــى العلويين بعد ان وجدوا ان وقوفهم الى جانب بني عمومتهم ربما يهيىء لهم الاجواء التي تفيدهم ولو بعد حين ، واتفقوا على محمد بن عبد الله ابن الحسن المثنـــى وكان ممن بايعه ابراهيم والسفاح والمنصـــور الدوانيقي وكان المنصور أشدهم حماسا لبيعته وعقدوا اجتماعا دعوا اليه الامام الصادق (ع) لأخذ رأيه في هذه البيعة ولما حضر معهم طلبوا منه

ان يبايع لمحمد الذي كان يعرف يومذاك بذي النفس الزكية فقال لهم الامام (ع) : ان هذا الامر لا يتم الا لهذا وضرب بيده على كتف السفاح ثم لهذا وأشار الى المنصور والتفت الى عبد الله بن الحسن وقال له : ان ولديك ابراهيم ومحمد سيقتلهما المنصور ٠

وجاء في رواية ابي الفرج الاصفهاني انه قال له : والله ان الامر ليس اليك ولا لولديك وانما هو لهذا وأشار الى السفاح ثم لهذا وأشار الى المنصور ثم لولده من بعده ولا يزال فيهم حتى يؤمروا الصبيان ويشاوروا النساء ٠

ومضى الاصفهاني يقول : ان عبد الله بن الحسن المثني قال للامام: ان الله لم يطلعك على غيبه ولم تقل ذلك الا حسدا لابني فرد عليه الامام بقوله :

لا والله ما حسدت ابنك وان هذا وأشار بيده الى ابي جعفر المنصور يقتل ابنك على احجار الزيت ثم يقتل اخاه ابراهيم بعده بالطفوف وقوائم فرسه في الماء وقام مغضبا ، فتبعه المنصور وقال له : أتدري ما قلت يا ابا عبد الله ؟ قال : اي والله وانه لكائن ٠

وكان المنصور يحث الطالبيين على النهوض بالامر ويحرض العباسيين والعلويين على التماسك في بيعتهم وهو بذلك يحاول ان يجرهم الى المعركة ضد الامويين في الشطر الاخير من خلافتهم التي اوشكت على الانهيار وكان هو وأسرته وعلى رأسهم السفاح وداود بن علي بن عبد الله وصالح بن علي وغيرهم من العباسيين يعملون في الخفاء لصالح العباسيين ويتظاهرون بالعمل لصالح العلويين لعلمهم بأن الناس لا ينقادون الا للعلويين ولا يعملون الا لحسابهم ٠

ويؤيد ذلك ما رواه المؤرخون عن المدائني عن سحيم بن حفص ان نفرا من بني هاشم قد اجتمعوا بالابواء في ضواحي مكة فيهم ابراهيم

الملقب بالامام بن علي بن عبد الله والسفاح والمنصور وصالح بن علي وعبد الله بن الحسن وابناه ابراهيم ومحمد وأخو عبد الله بن الحسن لأمه محمد بن عبد الله بن عمر بن عثمان . فقال لهم صالح بن علي : انكم القوم الذين تمتد أعين الناس اليهم وقد جمعكم الله في هذا الموضع فاجتمعوا على بيعة احدكم وتفرقوا في الآفاق وادعوا الناس لعل الله ان يفتح عليكم وينصركم ، ثم وقف المنصور وقال : لأي شيء تخدعــون انفسكم والله لقد علمتم ما الناس الى احد أميل اعناقا ولا أسرع اجابة منهم الى هذا الفتى وأشار الى محمد بن عبد الله بن الحسن ، فبايعــه الجميع بما في ذلك السفاح والمنصور ، ثم تفرقوا ولم يجتمعوا الى ان جاء دور مروان بن محمد اخر حكام الامويين الملقب بالحمار [١] وفــي عهده اجتمعوا فبينما هم يتشاورون اذ جاء رجل الى ابراهيم بن علي بن عبد الله فشاوره بشيء ثم قام وتبعه العباسيون فسألوا عن ذلك فــاذا الرجل قد قال لابراهيم : قد اخذت لك البيعة بخراسان . فلما علم بذلك عبد الله بن الحسن احتشم ابراهيم وخافه وتوقاه ، وكان الامويــون يعرفون نوايا العباسيين ويراقبون تصرفاتهم اكثر من العلويين في تلك الفترة . وعندما قيل لمروان بن محمد : ان عبد الله بن الحسن يدعــو لولديه محمد وابراهيم ، قال : لست اخاف اهل هذا البيت لانه لا حظ لهم في الملك انما الحظ لبني عمهم العباسيين [٢] .

ومهما كان الحال فلقد استغل بنو العباس النقمة العامة على الامويين ومعارضة الشيعة لحكمهم وتعلق الناس بالعلويين والعمل لصالحهــم فمضوا مع تلك التيارات المعادية لبني أمية يندون بما ارتكبوه مــع

---

١ ــ انما لقب بذلك لصبره وتحمله في تلك الظروف التي كانت من احرج ما مر على الامويين وعلى غيرهم من الدول .

٢ ــ انظر المقاتل ص ١٧٦ وما بعدها .

العلويين ويتباكون على الحسين وأسرته ويرددون ما جرى عليهم في كربلاء والشام من يزيد وابن زياد وأظهروا في خراسان وغيرها من المناطق التي دخلها دعاتهم انهم يعملون بدافع الثأر لابناء فاطمة واختيار الصالح من ابنائها لقيادة الامة .

بهذه الاقنعة والاساليب كان أحفاد العباس بن عبد المطلب يتقنعون ومن خلالها كانوا يعملون ويتحركون بعد ان ادركوا ان ليس باستطاعتهم ان يحققوا شيئا من امانيهم وأحلامهم الا على حساب العلويين من ابناء فاطمة ، وبالفعل فقد استجابت لهم الجماهير الاسلامية وبخاصة الشيعية منها وقاوموا وانتصروا في معاركهم مع أنصار الامويين في خراسان التي كانت من اعظم معاقل الامويين بقيادة نصر بن سيار .

لقد ارتفع شأن العباسيين على حساب العلويين وعلى أكتاف شيعتهم ثم تنكروا لهم وعاملوهم بكل انواع العسف والجور والقتل والتشريد حتى انسوهم جور الامويين وجرائمهم وأصبحوا يتمنون ايامهم بكل مرارة وألم ان تعود .

لقد كان أحفاد العباس بن عبد المطلب يتباكون على الحسين وأسرته ويرددون تلك المأساة في مجالسهم ومجتمعاتهم ليخدعوا بذلك شيعة الحسين وأبيه الذين ذاقوا الامرّين من جور الامويين ، كما كان يتباكى عليهم الزبيريون حيث وجدوا يومذاك ان لا سبيل الى استقطاب المسلمين الا بذلك ، فلما أتيح لهم ان يحكموا كانوا أشد على العلويين من يزيد وأبيه .

لقد مرت ظروف وأحداث على العلويين بلغت اقصى حدود الشدة والقسوة في عهد معاوية وولده وغيرهما من الامويين لم يشترك فيها احد من ابناء العباس وأحفاده الى جانب ابناء عمومتهم . ففي معركة الامام الحسن مع معاوية كان عبيد الله بن العباس الذي ولاه الامام قيادة

الجيش في طليعة الخونة الذين انحازوا الى جانب معاوية لقاء مبلغ من المال كما فعل غيره من قادة العراق . ولما جاء دور الحسين وأصبح مستهدفا ليزيد بن معاوية وفرضت عليه أحداث يزيد وأبيه من قبله معركة الطف التي ضحى فيها من اجل الاسلام والانسان بنفسه وأهله وأطفاله لم يشترك فيها احد من العباسيين لا من شيوخهم ولا من شبابهم . وقامت المعركة بسواعد الطالبيين كما لم يشتركوا في معركة زيد بن علي ولا في غيرها من معارك الموالين لاهل البيت مع اعدائهم التي كانت تحركها روح كربلاء وتمدها بالصبر والتضحية الى ابعد الحدود .

وحينما وجدوا ان مصلحتهم تلتقي مع التباكي على الحسين والعلويين وقفوا الى جانب العلويين وشيعتهم وتظاهروا بالدعوة اليهم وحينما وصلوا الى الحكم لم يختلفوا عن الامويين في شيء لا في الظلم والقسوة ولا في الفسق والفجور ولا في الاستهتار والزندقة . وقديما قيل ان الغاية تبرر الواسطة فقطع الرؤوس وهدم الدور على الاحياء وزج الابرياء والصلحاء في السجون كل ذلك سهل ومألوف لدى اصحاب المطامع والاهواء ما دام يوفر الحكم والتسلط على عباد الله ، لقد ارسل ابراهيم الملقب بالامام الى ابي مسلم الخراساني بأن يستعمل السيف ولا يرحم صغيرا او كبيرا ، وكان فيما كتبه اليه كما جاء في رواية المقريزي من كتاب النزاع والتخاصم : وان استطعت ان لا تدع في خراسان من يتكلم بالعربية فافعل وأيما غلام بلغ خمسة اشبار تتهمه فاقتله واقتل جميع من شككت فيه ، كان ذلك منه لان من كان في خراسان من العرب كانوا يميلون الى الامويين .

لقد اوصى ابراهيم العباسي دعاته في خراسان ونواحيها بقتل جميع من يشكون فيه ويتهمونه بموالاة الامويين كما اوصى معاوية عماله في جميع المقاطعات الاسلامية بقتل الشيعة وكتب اليهم كتابا جاء فيه : انظروا

من تتهموه بموالات اهل البيت فنكلوا به واهدموا داره ، ان معاوية الاموي وابراهيم الهاشمي لم يأمرا بذلك الا لان مصلحتهما تقتضي ذلك وحينما تتحكم المصالح بالانسان لم يعد يرى غيرها ويستحل كل شيء في سبيلها .

لقد حكم الفاطميون والبويهيون وغيرهم ممن كانوا ينتسبون الى الشيعة ولم يختلفوا عن غيرهم من الحاكمين الا بطلاء خفيف من التشيع وأداء بعض الطقوس الشيعية وكانوا يمارسون كغيرهم جميع انواع المنكرات ويستحلون كل شيء يتعارض مع مصالحهم ، ونظرا لان الدين وحده هو الذي يسير الانسان في الطريق الصحيح ويضع حدا لنزواته وشهواته كانت العصمة او العدالة في الحاكم من الضرورات التي لا يجوز تجاهلها بحال من الاحوال .

وجاء في المجلد الرابع من ابن الاثير ان السفاح ارسل محمد بن حول واليا على الموصل فامتنع اهلها عن طاعته وسألوا السفاح ان يولي عليهم غيره فأرسل اخاه يحيى في اثني عشر الف مقاتل فخافه اهل الموصل والتزموا منازلهم فنادى بالامان ، ولما زال من نفوسهم ما يحاذرونه منه فتك بهم وقتلهم قتلا ذريعا وأسرف في القتل حتى غاصت الارجل في الدماء ، فلما كان الليل سمع صراخ النساء والاطفال فأمر جلاديه بقتل النساء والاطفال وما بقي من الشيوخ واستمر القتل والتنكيل بالابرياء والنساء والاطفال ثلاثة ايام .

لقد بقي عبد الله الملقب بالسفاح اربع سنين في الحكم قضاها في تتبع فلول الامويين وما يشك في ولائه للبيت العباسي كأبي سلمة الخلال وأصحابه الذين كانوا يحاربون معه من الشيعة الى جانب ابي مسلم الخراساني لصالح البيت العلوي واشتهر بهذا اللقب لكثرة من قتله من الامويين وغيرهم ، ولم يكن الحجاج بن يوسف مولعا بالقتل

والتشفي من أخصامه اكثر من السفاح ، بل يمكن القول بأنه لم يصل الى مستوى الخليفة الهاشمي من هذه الناحية فلقد نص المؤرخون انـه استدرج من الامويين ثمانين رجلا وأعطاهم الامان وأمرهم بأن يحضروا لاخذ جوائزهم وعطائهم ويتناولوا معه الطعام ، فلما حضروا أمر بقتلهم ثم بسط عليهم فراشا ووضع الطعام عليه وجلس هو وأصحابه يأكلـون فوقهم وهم يضطربون ويستغيثون الى ان نزفت دماؤهم وماتوا عـــن آخرهم ولما فرغ من تناول الطعام قال : ما اكلت اكلة قط أهنأ ولا اطيب من هذه الاكلة .

ومهما بالغ الامويون في الجرائم وأسرفوا في قتل الابرياء والصلحاء كما هو واقعهم فالاسلام لا يقر الاقتصاص منهم بهذا النحو ولو انتهى الحكم بعد الامويين الى العلويين لم يبلغ بهم التشفي الى هذه الحدود ولا أعتقد انهم كانوا يقتلون بريئا بمجرم ولا ينسون كلمة جدهم امـير المؤمنين (ع) الذي عفا عن عمرو بن العاص في صفين وعن مروان بن الحكم في البصرة وهما رأس الفتن يومذاك وسقى معاوية وجنده الماء بعد ان منعه معاوية عن اهل العراق وكادوا يموتون عطشا لا ينســـون كلمته التي كان يرددها : اذا قدرت على خصمك فاجعل العفو شكرا على المقدرة والذي كان يقول : اذا ظفرك بخصمك فليكن العفو احلـــــى الظفرين ، وكانوا يسيرون على خطاه اذا كانوا من المعصومين حقا ، واذا لم يكونوا منهم فلا أعتقد بأنهم سيسرفون في اراقـــة الدماء اسراف غيرهم .

وجاء في تاريخ ابن الاثير ان داود بن علي بن عبد الله لما اراد ان يقتل من كان في المدينة ومكة من الامويين وأنصارهم جاءه عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط (ع) وقال له : يا بن العم اذا قتلت هؤلاء فيمن تباهي بالملك ؟ أما يكفيك ان يروك غاديا رائحا فيما يذلهم ويسوءهم

فلم يقبل منه وقتلهم عن آخرهم ٠

لقد كانت السنوات الاربع التي حكم فيها السفاح مرحلة انتقالية بين عهدين عهد مضى وعهد أطل على العالم الاسلامي استقبله المسلمـــون بشوق ولهفة وبخاصة الشيعة الذي قام على أكتافهم وبنـــي بسواعدهم راجين ان يحقق لهم عدالة الاسلام ورحمته وسماحته ولكن آمالهـــم قد تبددت وظنونهم قد خابت فما ان استتبت لهم الامور وقضوا علـــى أخصامهم الاساسيين حتى عادوا الى سيرتهم وسياستهم ولكن بشكـــل اسوأ وأفظع مما كانوا عليه ٠

صحيح لم يتعرض السفاح في عهده لاحد من العلويين وشيعتهـم ولكن ذلك لم يكن منه شرفا ووفاء لمن مهدوا له الامور وأجلسوه على كرسي الحكم بل لانه كان يتتبع فلول الامويين ويطاردهم من مكان الى مكان وخلال تلك المدة بالاضافة الى الشطر الاخير من عهـد الامويين حيث كانت الدولة في طريقها الى الانهيار وجـد الامامان الباقـــر والصادق (ع) فرصة مؤاتية لبث علوم اهل البيت ونشرهـا بين الناس وللوقوف في وجه تلك التيارات الغريبة التي غزت الفكر الاسلامي ومهد لها الحاكمون لإلهاء المسلمين بتلك الصراعات العقائدية عن واقعهـــم المريـــر ٠

لقد وقف الائمة من اهل البيت في وجه تلك التيارات الغريبة التي غزت القلوب والافكار بحزم وصلابة وتركوا للعالم صورا عن العقيـدة الاسلامية خالية من كل ما كان يخططه لها الحاقدون من زيف وتحريف ؛ بعد الرقابة الشديدة والتهديد بالقتل لمن كان يروي حديثا عن علي وبنيه او ينسب لهم فضلا او اثرا كريما ، وكان علماء التابعين اذا ارادوا ان يحدثوا عن علي يتحاشون التصريح باسمه فيقولون روي عن ابي زينب وجاء عن ابي حنيفة انه كان يقول : لقد كانت العلامة بيننا وبين المشايخ

اذا اردنا ان تنقل عن علي (ع) ان نقول قال الشيخ حتى لا تتعـــــرض للاذى والمطاردة وكان من آثار تلك الفترة الانتقالية التي امتدت مــــن اواخر العهد الاموي الى السنين الاولى من عهد المنصور شيوع الحديث والآثار العلية التي اغنت المكتبة العربية في مختلف العلوم وبخاصة ما كان منها في التشريع والفلسفة والاخلاق والتفسير وغير ذلك من انـــواع المعرفة. وقد انتشر التشيع في تلك الفترة وأحس الناس بالانفراج وراحوا يتحدثون عن العلويين وآثارهم في كل بلد ومكان فدب الخوف في نفس المنصور وأسرته فأخذوا يقربون فقهاء المذاهب ويعملون على انتشـــار آثارهم واعتنقوا هم مذاهبهم للحد من انتشار التشيع ومذهب اهـــل البيت واشتدت الحملات المسعورة على العلويين وبدأت الفجوة تتسع بين البيتين حتى بلغت اقصى حدودها .

قال المسعودي في مروجه والمقريزي في كتابه النزاع والتخاصم : ان المنصور جمع ابناء الحسن وأمر بجعل القيود والسلاسل في أرجلهـــم وأعناقهم وحملهم في محامل مكشوفة للناس وبغير وطاء كما فعل يزيد بن معاوية بأسرى كربلاء وأودعهم مكانا تحت الارض لا يعرفون فيه الليل من النهار ولا اوقات الصلاة وعز عليهم ان تفوتهم الصلاة حتى وهم في أشد الاحوال ضيقا وحرجا فجزأوا القرآن خمسة أجزاء وكانوا يصلون عند فراغ كل واحد من حزبه ، ويقضون الحاجة الضرورية في مواضعهم فاشتدت عليهم الروائح الكريهة وتورمت أجسامهم وماتوا من الجــوع والعطش والمرض .

وجاء في المجلد الرابع من ابن الاثير ص ٣٧٥ ان المنصور دعا محمد ابن عبد الله بن عثمان وكان شقيقا لعبد الله بن الحسن من امه فأمر بشق ثيابه حتى بانت عورته وضربه مائة وخمسين سوطا فأصاب سوط منها وجهه فقال للجلاد : ويحك اكفف عن وجهي ، فسمعه المنصور فقـــال

للجلاد : الرأس الرأس ، فضربه على رأسه ثلاثين سوطا فأصابت سياطه احدى عينيه فسالت على وجهه . ومضى ابن الاثير يقـــول : وأحضر المنصور محمد بن ابراهيم بن الحسن وكان يعرف بالديباج لجمـــال صورته فقال له : انه الديباج الاصغر لأقتلنك قتلة لم اقتلها احدا ، ثـم أمر به فبنـــي عليه أسطوانة وهو حي فمات منها .

ومع كثرة الجرائم التي ارتكبها الامويون مع العلويين وشيعتهم فلم يحدث التاريخ عن احد منهم انه كان يعذب ويقتل بهذا النحو ونظرا لانهم كانوا يتفننون في جرائمهم بشكل لم يسبقهم اليه احد ، قال بعـــض الشعراء : والله ما فعلت أمية فيهم معشار ما فعلت بنو العباس .

وطلب الدوانيقي القاسم بن ابراهيم طباطبا ففر منه الى بلاد السند ، فأرسل في طلبه وهو يفر من بلد الى بلد على قدميه حافيا والدم يسيل منهما فقال :

عسى جابر العظيم الكسير بلطفه سيرتـــاح للعظم الكســير فيجبر
عسى الله لا تيأس مـــن الله انه ييسر منـــــه ما يعـــز ويعسر

وقد ذكرنا سابقا بعض جرائمه خلال حديثنا عن زيارة الشيعة لقبر الحسين وقبور الائمة والاولياء ، وكان هو يتباهى بجرائمه ويقول : لقد قتلت من ذرية فاطمة الفا او يزيدون هذا بالاضافة الى عشرات الالوف الذين أبادهم وشردهم في الآفاق ، وكان يتفنن في اساليب القتل والتعذيب بنحو لم يعرف عمن سبقه من الحاكمين كما تتفنن الدول الكبرى فـــي عصرنا الحالي باختراع وسائل الخراب والدمار والتسلط على عباد الله والشعوب الضعيفة وكما تتفنن دول البترول بوسائل اللهو والطـــرب والفساد ومعاشرة الشقراوات اللواتي يتهافتن عليهم من كل انحـــاء اوربا ، وكان المنصور مع تلك الجرائم يتباهى بقرابته القريبة من رسول

المحبة والعفو والرحمة كما تتباهى دول البترول بعروبتها واسلامهـــا وتستعمل جميع امكانياتها لمساعدة حكام العراق في حربهم لمن يسمونهم بالمجوس في حين ان اسرائيل جاثمة على رؤوسهم وقلوبهم تعلن عـــن أطماعها في بلادهم وخيراتها .

وبعد ان استعرض المقريزي جرائم المنصور وما ارتكبه مع العلويين وغيرهم قال : وأين هذا الجور والفساد من عدل الشريعة المحمدية وسيرة أئمة الهدى . اين هذه القسوة الشنيعة مع القرابة القريبة من رحمـــة النبوة . وتالله ما هذا من الدين في شيء بل هو من باب قول الله سبحانه فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم اولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم .

هذا كله بالاضافة الى ما كان يصنعه المنصور مع الامام الصادق من التهديد والوعيد بين الحين والاخر ولكن الله سبحانه انجاه من شره ومن وعيده وتهديده وهلك المنصور وذهب في متاهات الفناء مع الجبابرة والطغاة وبقي جعفر الصادق مع الخالدين من ذوي الرسالات الى قيـام يوم الدين .

وكان المنصور مع كل ذلك يقرب اليه العلماء والوعاظ ليستر بذلك جرائمه . وجاء في المجلد الاول من عقد الفريد ان المنصور كان يجلس والى جانبه احد الوعاظ فتأتيه الجلاوزة وفي أيديهم السيوف يضربون بها أعناق الناس فاذا وصلت الدماء الى ثيابه يقول للواعظ عظني فاذا ذكره الواعظ بالله اطرق برأسه كالمنكسر ، ثم يعود الجلاد لضرب الاعناق فاذا اصابت الدماء ثياب المنصور ثانية يقول للواعظ عظني .

ان المنصور وغيره من الحاكمين حينما يقربون رجل الدين والوعاظ انما يفعلون ذلك لإلهاء الناس عن جورهم وظلمهم واستخفافهم بأوامر الله ونواهيه وحقوق عباده ، لقد كان المنصور يقول : القينا الحب الى العلماء

فالتقطوه الا ما كان من سفيان الثوري فانه أعياهم فرارا وكلمة القينا الحب تكاد تكون صريحة في انه كان باتصاله بهم كالصياد الذي يلقي الحب للطيور لتقع في شباكه .

لقد هلك المنصور مع الهالكين ولم يترك احدا ممن بقي حيا من العلويين الا وهو خائف مشرد من جور ظلمه وترك غرفة من غرف قصره مملوءة من رؤوس العلويين لولده المهدي ليسير من بعده على خطاه مع العلويين ، وبالفعل لقد مارس المهدي سياسة ابيه فيمن استطاع ان يقبض عليه ممن بقي مع الاحياء منهم وكانوا قد تفرقوا في البلدان خائفين متسترين وظفر بعلي بن العباس بن الحسن المثني بن الحسن السبط (ع) فأخذه ووضعه في سجنه وأخيرا دس اليه السم فتفسخ لحمه وتفشت اعظاؤه واشتد طلبه لعيسى بن زيد بن علي بن الحسين (ع) وكان كما يصفه المؤرخون من افضل الطالبيين دينا وعلما وورعا وزهدا وأشدهم بصيرة في امره ومذهبه على حد تعبير الاصفهاني في مقاتله ففر من طريقه الى الكوفة واختبأ في بعض دور الشيعة واتفق مع صاحب جمل لينقل عليه الماء لقاء أجر زهيد يسد فيه رمقه وتزوج من امرأة فقيرة لا تعرف عن اصله ونسبه شيئا وأولدها بنتا بلغت سن الزواج وماتت وهي لا تعرف عن ابيها شيئا ، وظل عيسى في الكوفة بزي الأعراب متنكرا يكتم نسبه عن جميع الناس وكان اذا لم يجد عملا يعتاش منه يلتقط ما يرمي به الناس من الخبز وقشور الفواكه والخضار ليتقوت به هو وعائلته .

لقد عاش عيسى بن زيد ما بقي من حياته مشردا ينفر من الناس كما ينفر من الوحوش الضواري ولم يعلم احد من العلويين بمكانه سوى اخيه الحسين بن زيد ودل عليه ولده يحيى فذهب الى الكوفة متخفيا يفتش عنه حتى انتهى اليه واجتمع به لفترة قصيرة كانت اخر عهده به .

لقد عاش ابن رسول الله وابن عم الخليفة مشردا متنكرا ينفر من الانس كما ينفر من الوحوش الضواري لا لشيء الا لانه كان عالما عاملا بما امر الله ويطالب بالحق والعدل ، وعاش المخنثون والعاهرات وأهل الفسق والجور في دعة وأمان يوفر لهم الخليفة وأعوانه جميع الملذات ويغدق عليهم الاموال بلا حساب ، ومضى المهدي العباس وهو يتتبع فلول العلويين ليتشفى بقتلهم والتنكيل بهم وترك الحكم لولده موسى الملقب بالهادي وكان كما يصفه المؤرخون قاسي القلب شرس الاخلاق يتلذذ بالتنكيل بأبناء عمومته العلويين وغيرهم من الصلحاء والابرياء . وفي عهده كان على المدينة رجل من ولد عمر بن الخطاب يتحامل على الطالبيين ويسومهم صنوف الالوان من العذاب ويفرض عليهم الاقامة الجبرية في المدينة على ان يثبتوا وجودهم لدى السلطة الحاكمة بين الحين والاخر ويلصق بهم التهم المشينة كالخمر والفجور ونحو ذلك ليبرر اساءته اليهم، وفي عهده كانت معركة فخ التي قتل فيها اكثر من مائة وخمسين علويا بقيادة الحسين بن علي بن الحسن كما اشرنا الى ذلك في الفصول السابقة ، والحسين قائد المعركة في فخ امه زينب بنت عبد الله بن الحسن بن الحسن ابن امير المؤمنين علي بن ابي طالب : وقد قتل المنصور اباها واخوتها وعمومتها وزوجها علي بن الحسن وقتل حفيد المنصور ابنها الحسين وكانت تلبس المسوح على جسدها لا تلبس بينها وبينه شيئا حتى لحقت بالله باكية نادبة.

وما اشبهها بالعقيلة الكبرى زينب ابنة علي (ع) فلقد اشترك معاوية في قتل ابيها وقتل اخاها الحسن بالسم وقتل ولده يزيد بن ميسون اخاها الحسين وولداها عونا ومحمدا وأخيها العباس وخمسة عشر شابا من اولاد اخوتها وبني عمومتها وظلت تندبهم حتى ماتت كمدا وحزنا ، وقد

لاقت تلك ما لاقته من اعداء رسالة جدها الامويين وهذه لاقت ما لاقته من ابناء عمومتها الذين قامت دولتهم على حساب العلويين ورحم الله القائــل :

فانظر الى حظ هذا الاسم كيف لقي   من الاواخر ما لاقى مـــن الاول

وهلك موسى الهادي بعد مضي خمسة عشر شهرا من حكمه ليترك الحكم لاخيه هارون الرشيد الذي مثل أدوار جده المنصور مع العلويين وشيعتهم وأدوار الامويين في الفسق والفجور والملاهي ونثر الملايين من الدنانير تحت أقدام الراقصات والمغنيات العاهرات ، ومع انه كان مـــن اسوأ حكام تلك الاسرة الظالمة فقد شاع عنه انه كان من اعظم ملــوك العالم شأنا وأسماهم مكانة ، وتحدث المؤرخون والناس عن شهرتـــــه وأدواره في تشجيع العلوم والآداب وادارة شؤون الملك وبناء المساجد والقناطر والمستشفيات وما الى ذلك من المشاريع العمرانية والاقتصادية التي تشبه الاساطير ، وألبسته تلك الاساطير ثوبا فضفاضا من العظمـــة والجلالة تركته في الاذهان من اعاظم ملوك العالم وأقواهم ، في حين انه كان كغيره من السلاطين منصرفا الى الملذات والشهوات والجواري والتنكيل بالعلويين وكل من ينكر عليه جورا وظلما وفسادا في الارض، وفي الوقت ذاته كان محظا وموفقا بتلك الاسرة الكريمة البرامكة التي كانت تدير شؤون الدولة وتعمل ليل نهار لبنائها وادارة شؤون البلاد : وكانت مقدرة تلك الاسرة ونزاهتها ونزعة التشيع التي ظهرت عليها هي السبب لانزال تلك النكبة بها واستئصالها ولا صحة لما يرويه المؤرخون عن قصة اخته العباسية وزواجها المشروط من جعفر البرمكي وحملها منه الذي اغضب الرشيد بل هو من الاساطير المفتعلة لتغطية تلك الجريمة

وتبرير ما أنزله فيهم من الظلم والتنكيل : ولعل نزعة التشيع التي ظهرت في بعض تصرفاتهم ومواقفهم من بعض العلويين كان لها الدور الاكبر في القضاء عليهم واستئصالهم .

ومهما كان الحال فلقد جاء في ثمرات الاوراق والاغاني ان الرشيد كان منصرفا الى الملذات والشهوات وانه اول خليفة لعب بالصولجـــان والشطرنج والنرد وكان مع ذلك مصمما على القضـــاء على العلويين واستئصالهم على حد تعبير المؤلف .

ستون شهيداً

لقد جاء في كتاب عيون اخبار الرضا ص ١٠٩ ان حميد بن قحطبة الطائي الطوسي قال : طلبني الرشيد في بعض الليالي وقال لي فيما قال: خذ هذا السيف وامتثل ما يأمرك به الخادم فجاء بي الخادم الى دار مغلقة ففتحها واذا فيها ثلاثة بيوت وبئر ففتح البيت الاول وأخرج منه عشرين نفسا عليهم الشعور والذوائب وفيهم الشيوخ والكهول والشبان وهم في السلاسل والاغلال وقال لي : يقول لك امير المؤمنين اقتل هؤلاء ، وكلهم من ولد علي وفاطمة بنت محمد (ص) فقتلتهم الواحد بعد الواحـــد والخادم يرمي رؤوسهم وأجسامهم في البئر ، ثم فتح البيت الثاني واذا فيه ايضا عشرون من نسل علي وفاطمة وكان مصيرهم كمصير مـــن تقدمهم ، ثم فتح البيت الثالث واذا فيه عشرون من ابناء علي وفاطمة فألحقتهم بمن سبقهم وبقي منهم شيخ فقال : تبا لك يا ميشوم أي عذر لك يوم القيامة عند جدنا رسول الله ، فارتعشت يدي وارتعدت مفاصلي فنظر الي الخادم مغضبا وهددني فقتلت الشيخ ورمى به في البئر كمـا

فعل بأصحابه .

وجاء في مقاتل الطالبيين عن ابراهيم بن رياح ان الرشيد حين ظفر بيحيى بن عبد الله بن الحسن بنى عليه أسطوانة وهو حي كما كان يفعل جده المنصور معهم ، وأضاف الى ذلك مؤلف أخبار عيــون الرضا : ان المنصور لما بنى الابنية ببغداد جعل يطلب العلويين طلبا شديدا ويضع من ظفر به منهم في الاسطوانات المجوفة المبنية من الجص والآجر فظفر ذات يوم بغلام منهم حسن الوجه اسود الشعر من ولد الحسن بن علي (ع) فسلمه الى الباني وأمره ان يجعله في جوف اسطوانة ويبني عليه ووكل من يراقبه في ذلك وحين اراد الباني ان يدخله حيا الى الاسطوانة اخذته الرقة والشفقة فأدخله الاسطوانة وترك فيها فرجة صغيرة يدخل منهــا الهواء وقال للغلام لا بأس عليك فاجر فاني سأخرجك في جوف الليل ، وفي الليل جاءه وأخرجه وقال له اتقي الله في دمي وغيب وجهك فاني قد اخرجتك خوفا من ان يكون جدك خصمي يوم القيامة ، فقال له الغلام : سأفعل ولكن أريد منك ان تذهب الى امي وتخبرها بأني قد نجوت . فذهب الباني الى الموضع الذي وصفه له فسمع فيه البكاء والنحيب فدخله وأخبرها بنجاة ابنها .

وطلب الرشيد يحيى بن عبد الله بن الحسن وكان قد فر منه الــى الديلم واجتمع عليه الناس وأخيرا استسلم الى الرشيد بعد ان اعطـــاه الامان والعهود بأن لا يمسه بسوء ولكنه لم يف بعهوده ولا بمواثيقــه وقتله بفتوى بعض الشيوخ الذين أفتوه بأن عهوده لا يجب الوفاء بهــا وحبس محمد بن يحيى بن عبد الله وقتله في حبسه كما ضرب الحسين ابن اسماعيل بن عبد الله بن جعفر ضربا مبرحا حتى مات ودخل عليــه احد العلويين من نسل الحسين (ع) فقذف هارون امه فرد عليه العلوي بالمثل فأمر جلاديه بقتله فضربوه بعمود من حديد فمات لاول ضربة وأخيرا لم يستطع ان يرى الامام موسى بن جعفر طليقا يتابع رسالته والشيعــة

يزدحمون على بابه فأرسل جلاوزته اليه وهو الى جانب قبر جده رسول الله فأخرجوه ووضعوا سلاسل الحديد في يديه ورجليه وأرسله الى البصرة وكان عليها عيسى بن جعفر بن المنصور فوضعه في سجنه سنة كاملة فانصرف الى العبادة فكتب عيسى بن جعفر الى الرشيد : اني قد اجتهدت ان آخذ عليه حجة فما قدرت على ذلك وما وجدته خلال هذه المدة الا صائما مصليا فان لم تستلمه خليت سبيله ، فاستدعاه الرشيد ووضعه في سجون بغداد وأخيرا دس اليه السم القاتل بواسطة السندي ابن شاهك ، الى غير ذلك من الجرائم التي ارتكبها مع العلويين هو وغيره ممن حكم بعده من العباسيين وقد عرضت بعض الجوانب من سيرتهم مع العلويين أحياء وأمواتا بنحو لم يسبقهم اليه الامويون من قبل خلال حديثنا عن المآتم الحسينية في الفصل السابق ويجد المتتبع لتاريخ الحاكمين في تلك العصور عشرات الشواهد على ان العباسيين كانوا أشد على ابناء عمومتهم العلويين من الامويين وغيرهم من الحاكمين لانهم لم يستطيعوا بسط هيبتهم الا بنسيان العفو واستعمال العقوبة كما قال المنصور لابن عمه عبد الصمد بن علي بن عبد الله .

ومن مجموع ذلك يتبين ان الانسان مهما بلغ من المرتبة والعظمة اذا لم يكن معصوما مسير لمصالحه وأهوائه والمصالح وحدها هي التي تكيفه وتخلق منه بعد وجودها انسانا اخر ويتحول من حقيقته قبل الحكم وغيره من المصالح الى حقيقة اخرى بعد ان يصبح حاكما .

لقد انحدر الامويون والهاشميون من اب واحد وأم واحدة ولما شب وترعرع هاشم ونبغ من بين اخوته وبخاصة أمية صاحب الطموح استحكم الصراع والعداء بينه وبين هاشم على الزعامة ومضى يتصاعد مع الزمن واتساع شهرة هاشم الى ان اصبح العداء أصيلا بين الحيين ، وبعد ان ظهر محمد بن عبد الله (ص) برسالته ودعوته اتسع العداء بين الحيين واكتسب أبعادا جديدة لان الاسلام يقضي على جميع امتيازات الحزبين

القرشي والاموي ؛ وبلا شك لو ان قريشا وجدت ان الاسلام لا يتعارض مع مصالحها لم تقف منه ذلك الموقف . ولو ان عليا (ع) صاحب الحق الشرعي في الخلافة وقف من المهاجرين الذين استولوا على الخلافة بعد وفاة النبي (ص) موقفا أشد صرامة واستمر عليه لوقفوا منه نفس الموقف الذي وقفه الحزب الاموي منه ومن ولديه الحسن والحسين وشيعتهم ؛ ولكنه كان مسيرا لمصلحة الاسلام وقد وجد ان مصلحة الاسلام تفرض عليه ان يهادن ويسالم ويقف الى جانبهم لإرساء قواعده وانتشاره . وما كان من الامويين معه ومع ولديه وشيعتهم لم يكن من اجل العداء المستحكم بين الحيين بل من اجل الملك والحكم الذي يغير حقيقة الانسان قريبا كان او بعيدا . وبلا شك فان البيت العباسي كان على وفاق تام مع البيت العلوي وكان يحس بأحاسيسهم ويتلوى لما اصابهم من الامويين والزبيريين ، وحينما تجسدت له الآمال بالوصول الى السلطة والحكم وانهارت دولة الامويين وتمت البيعة للسفاح تصوروا ان خطر ابناء عمومتهم على ملكهم من أشد الاخطار ومن اجل ذلك تتبعوهم بالقتل والتشريد وقتل منهم المنصور وحده الفا ويزيدون ولو كان الحسين ابن علي موجودا في عهدهم لقتلوه وأصحابه ونساءه وأطفاله ومثلوا بهم كما كانوا يصنعون مع الامويين ولو حكم العلويون من ابناء الحسن والحسين فلا أستبعد ان يصنعوا مع من يخافون منهم على حكمهم ما كان يصنعه معهم ابناء عمومتهم لان المصالح وبخاصة ما كان منها من نوع الحكم والزعامة هي التي تكيف الانسان علويا كان او أمويا وتجعل منه انسانا اخر ما لم يكن معصوما او حائزا على مرتبة عالية من العدالة تجعله قادرا على التحكم بميوله وأهوائه وحتى ان الزعيم الديني لا يبقى على ما كان عليه قبل الزعامة ويصبح وكأنه انسان اخر بالقياس الى ما كان عليه قبل زعامته ومن اجل ان الانسان حينما يصل الى الحكم والسلطة يصبح انسانا اخر مسيرا لمصالحه كانت العصمة او المرتبة العليا

من العدالة من الضرورات الاولية التي لا بد منها في الحاكم •

وسلام الله على الامام الصادق الذي قال : والله ما ذئبان ضاريان في زريبة غنم بأشد فتكا في تلك الزريبة من فتك الجاه والمال في ديـن المسلم • وصدق من قال :

والظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عفـة فلعلة لا يظلـم

مصادر الكتاب

تاريخ الطبري
تاريخ ابن الاثير
مروج الذهب للمسعودي
تاريخ الخميس
مقاتل الطالبيين للاصفهاني
زينب الكبرى للشيخ رجب القطيفي
عيون اخبار الرضا
الشيعة والحاكمون
اهل البيت لتوفيق ابو علم
ثورة الحسين للشيخ محمد مهدي شمس الدين
بطلة كربلاء لبنت الشاطىء
تاريخ ابن كثير
تاريخ ابي الفداء

زينب بنت علي لعبد العزيز سيد الزجل
كتاب ابراهيم باشا لاحد المستشرقين
العراق في ظل العهد الاموي للخرطبولي
مقتل الحسين للسيد عبد الرزاق المقرم
تاريخ اليعقوبي طبع النجف
النزاع والتخاصم والخطط للمقريزي
الكنى والالقاب للشيخ عباس القمي

الفهرس

صدر للمؤلف

١	عقيدة الشيعة الامامية	
٢	تاريخ الفقه الجعفري	الطبعة الثالثة دار القلم
٣	المبادئ العامة للفقه الجعفري	الطبعة الثانية دار القلم
٤	الشيعة بين الاشاعرة والمعتزلة	الطبعة الثانية دار القلم
٥	نظرية العقد في الفقه الجعفري	مفقود من الاسواق
٦	دراسات في الكافي والصحيح للبخاري	الطبعة الثانية دار التعارف
٧	المسؤولية الجزائية في الفقه الجعفري	مفقود من الاسواق
٨	من الاحاديث الموضوعة	الطبعة الثانية دار القلم
٩	[illegible] والشفعة والاجارة في الفقه الاسلامي	دار القلم
١٠	[illegible] المصطفى	الطبعة الثالثة لدار القلم
١١	[illegible] الائمة الاثني عشر	الطبعة الثالثة لدار القلم
١٢	[illegible] التشيع والتصوف	دار القلم
١٣	[illegible] التشيع	دار القلم
١٤	[illegible] والوقف وإرث الزوجين	دار القلم
١٥	[illegible] الشيعية عبر التاريخ	دار القلم
١٦	[illegible] الثورة الحسينية	دار القلم
١٧	[illegible] الفقه الجعفري	دار القلم
١٨	[illegible] جديدة في الفرق والمذاهب الاسلامية	دار القلم